

محمد كامل سليم
سكرتير سعد زغلول الخاص

كتاب اليوم
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

الأمة العربية المتحدة
مكتبة محمد كامل سليم



0112504



Bibliotheca Alexandrina

ثقافة اليوم وكل يوم
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

كتاب اليوم

رئيس مجلس الإدارة :

على أمين

رئيس التحرير :

أمين محمد عدلى

نائب رئيس التحرير :

عبد العزيز عبد العظيم

مدير التحرير :

هسيب فريد

العدد ١٠٧

مارس ١٩٧٦

ربيع الأول ١٣٩٦

الإدارة : دار أخبار اليوم ٦ شارع
الصحافة ٩٧٧٧٧٧ سيدة غنم

الاشتراكات

الجمعية الأولى بـ ٣,٥٠٠ ج.م. واتحاد البريد العربى والأفريقى

البريد العربى

الجمعية الثانية بـ ٢,٣٠٠ باقى دول العالم ..

الجمعية الأولى بـ ٢,٣٠٠ ج.م. اتحاد البريد العربى والأفريقى

البريد البحرى

الجمعية الثانية بـ ٣,٠٠٠ باقى دول العالم ..

ترسل القيمة إلى الاشتراكات (٣) شارع الصحافة بالقاهرة ٧٧٧٧٧٧/٧٧٨٦٠

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف:
رقم التسجيل:



ثقافة اليوم وكل يوم

أزمة الوفد الكبرى سعد وعدي

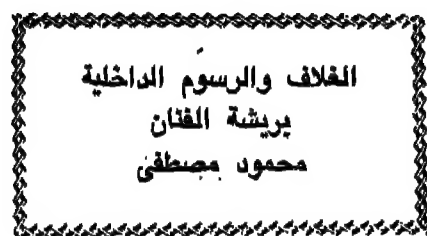
بقلم محمد كامل سليم

سكرتير سعد زعnel والخاص



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة



المقدمة

من دواعي الاسى والاسف ان حياة الوفد فى أوربا كانت مضطربة .
اشد الاضطراب ، حافلة بالمتاعب والخلافات والمنازعات والانفعالات
والازمات من أول يوم وصل فيه الوفد الى باريس فى ١٩ من أبريل
١٩١٩ ، الى أول يوم وصل فيه الى لندن يوم ٦ يونيو ، والى آخر
يوم فى المفاوضات التى جرت بين الوفد ولجنة ملنر حتى انتهت
فى ١٠ من نوفمبر . وقد سجلت تفصيلات كل هذه المراحل فى
كتابى « ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها » و « صراع سعد فى
أوربا » وفيهما بيان مفصل لكل الخلافات والاعتراضات والازمات
واسبابها ونتائجها .

وفى هذا الكتاب الثالث « أزمة الوفد الكبرى » تاريخ مفصل
لكل ما حدث فى باريس بعد أن عاد اليها الزعيم سعد زغلول
والوفد ثم عدلى اثر انتهاء المفاوضات المستطيلة المتعثرة مع لجنة
ملنر .

استمرت الخلافات والنزاعات والصراعات بين سعد وأغلبية
الأعضاء فى الوفد حتى عادوا فى ٢٦ من يناير ١٩٢١ الى مصر
غاضبين منشقين وراغبين فى تأييد عدلى علنا .

وفى أبريل ١٩٢١ عاد الزعيم سعد زغلول الى مصر واستقبل
استقبالا شعبيا رائعا لم يسبق له مثيل فى تاريخ البلاد .

سر هذه الازمات الخطيرة ان أغلبية الأعضاء فى الوفد حاولوا
المستحيل هذه المرة ، حاولوا فى استماتة وإصرار حمل الزعيم
سعد زغلول على تأييد عدلى فى الوزارة الجديدة التى سيؤلفها
بإيحاء وتأييد من ملنر ، وقد ألفها بعد أيام . وحاولوا حمل
الزعيم على ترك عدلى يتولى المفاوضات الرسمية وحده مع الحكومة
الانجليزية على أساس مشروع ملنر كما هو وبدون تعديله
بالتحفظات التى جعلها الزعيم شرطا أساسيا لقبول المفاوضات

الرسمية ، واخيرا حاولوا ما هو اكثر استحالة ، وهو أن يتنحى الوفد والزعيم نفسه عن الاشتراك فى هذه المفاوضات المقبلة ، وترك الفرصة لعدلى كرئيس للوزارة يتولاها ويمارسها وحده عسى أن ينجح فيما سبق أن فشل فيه الوفد مع منظر .

ردود الفعل عند الزعيم سعد زغلول فى هذا الموضوع يمكن تصورها ولا يمكن تلخيصها ، ولكن يمكن قراءتها فى هذا الكتاب بكل تفصيلاتها .

حسبى أن أسجل كلمة موجزة ، لقد اعتبر الزعيم اقتراحات الاغلبية سخافة وحماقة ، وأكد أنه لن يقبلها بحال من الاحوال ، ثم قال فى غضب وسخرية : « كيف يتنحى زعيم الامة ووكيلها عن مهمته الاصلية وممارسة واجباته ويتركها لعدلى ، وما أدراك ما عدلى ، مجرد دخيل وعميل للانجليز والاستعمار وموافق على « الحماية » . ثم قال : « من يتشكك فى ذلك انما هو خادع أو مخدوع » .

هنا انفجرت قنبلة هذه الازمة الوفدية الكبرى ، انما كانت القارعة الحاسمة القاتلة التى قضت على الوفد قضاء مبرما وانتهت حياته فى أوروبا الى غير رجعة .
والآن ارى من واجبى أن أميط اللثام عن حقيقة شخصية عدلى وطبيعته التى فطر عليها ، واسلوب تفكيره ونظرته الى الحياة ، وفلسفته الخاصة الفريدة . ساحاول وقد عرفته مدة طويلة أن أرسم صورة قلمية له وللزعيم سعد زغلول ، للمقارنة بينهما وتفهم أهداف كل منهما وبيان رسالته فى الحياة كما حددها كل منهما لنفسه وسعى فى تحقيقها ، ولعل القارئ بعد هذه المقارنة يستطيع أن يحكم بين الرجلين ، أيهما كان أهدى سبيلا وإى الاثنين كان أصلح وأولى بخدمة القضية الوطنية للبلاد .

سعد : رجل الشعب ، ديمقراطى ، فلاح ابن فلاح ، نبت فى بيئة المحكومين واشتعل قلبه وعقله بمشاعر المحكومين ، وكان يتحرق الى الحرية للشعب والاستقلال لمصر :

وعدلى : رجل الديوان ، أرستقراطى ، فيه دم تركى أجنبى ، عظيم الثراء ، نبت فى بيئة الحكام ، وليس فى قلبه ما يضرم الشوق الى الحرية والاستقلال .

سعد : ثقافته عربية أدبية دينية اسلامية ، تعلم الفرنسية على

كبر واتقنها كلاما وكتابة ، وعرف الحضارة الغربية بكثرة اطلاعه
وقراءاته وكثرة أسفاره الى الخارج .

وعلى : ثقافته فرنسية ، ونشأته وتربيته وعاداته فرنسية ،
وتعلم الانجليزية على كبر ، وكان أقدر على الكلام بالفرنسية
أضعاف قدرته على الكلام بالعربية العامية ، ولم يعرف العربية
الفصحى ، ولم يقرأ كتابا من كتب الادب العربى .

سعد : رجل أخلاق ومبادئ ، مطبوع على الصراحة والشجاعة
والثقة بالنفس والصدق والامانة .

وعلى : رجل مصالح أولا وأخيرا ولا يعنى بسواها ، وكل
وسيلة تحقق مصالحه هى مقبولة فورا مادامت لا تعرضه للمتعاب
والاخطار ، ويرى أن المساومة وحدها هى سر النجاح فى الحياة ،
والنعومة والمكر وانتهاز الفرص خير الوسائل فى الحياة .

سعد : رجل عاطفى مشبوب العواطف يحب بكل قلبه مع العطف
والحنان ، ويكره مع السخط والاحتقار ، ويغضب فى عنف على
كل منحرف عن الصدق والامانة والفضيلة والاستقامة ، ويحزن فى
عمق على ما يصيب أحبابه ومن يثق فيهم . لهذا كان حزنه أشد
سا يكون سوادا وعمقا عندما علم بالقبض على عبد الرحمن فهمى
ومساعديه من شباب المصريين الأبرياء ، وبلغ من حزنه وغضبه
وانفعالاته أن صمم على قطع المفاوضات مع ملتر سخطا واحتجاجا
على غدر الانجليز وجرائمهم ضد الأبرياء من مواطنيه ، وفى
طلبعتهم عبد الرحمن فهمى الذى اعتمد عليه كل الاعتماد فى
الاشراف على الثورة والثوار ، وكان فى نظره مثالا أعلى فى
الاخلاص والنشاط والاستقامة ومضاء العزيمة والقدرة على
التنظيم . وقال لى سعد بعد أن قبض الانجليز على عبد الرحمن
فهمى : « ان الفراغ الذى حدث بعد هذا القبض لا يمكن أن يملأه
شخص ولا لجنة ، وان جريمة الانجليز مؤامرة لثيمة لا تغفر » .

وعلى : متكبر لا يترك أية عاطفة تسيطر عليه ، فهنو يقلد
الانجليز فى البرود ولا يسمح لاية عاطفة أن تفوت عليه مصلحة
يريدها . وهو بحكم مزاجه البارد وطبيعته الجامدة وبيئته ونشأته
لا يعترف بالمثل العليا ولا يعرف الفداء ، ولا يتأثر كثيرا بما يصيب
الآخرين . سلوكه يتوقف على ما يراه ، فان كان ما يراه صعبا
جدا أعرض عنه وانصرف الى سواه ، وان كان ما يراه مقيدا

وممكننا بمجهود يسير أقبل عليه ودافع عنه وقام بالعمل لتحقيقه ،
ومصلحته الشخصية هي الهدف الاول والاخير على الدوام .

لا يرى أى معنى للتمسك بالمبدأ أو الثبات على عهد أو مقاومة
القوة القاهرة ، ويرى أن التمسك بذلك إنما هو من مظاهر الغياف
وقلة العقل وانعدام الزوج المعنوية ، وأن المثل العليا والتضحية في
سبيلها عبث في عبث وتصرفات خيالية لا تليق .

لهذا كان عدلى مثل رشدى يعتقد اعتقادا جازما بأن الاستقلال
الذى يطلبه سعد ويسعى اليه إنما هو ضرب من المحال ، وأن مصر
في طورها الحالى وضعفها المتناهى لا قبل لها بمقاومة بريطانيا ،
وهي في ذروة قوتها وسلطانها وغناها ونفوذها بين الدول ، وكان
يرى كذلك أن تعريض الانسان حياته لخطر السجن أو النفي أو
الموت في سبيل الاهداف الوطنية جنون في جنون .

عدلى ورشدى في هذا كله توأمان متفقان ومنسجمان ..
ولكن عدلى وسعد : كيف يتفقان ويتفاهمان وينسجمان ؟ ..
وأخيرا لا بد من كلمة عن أسلوب سعد في الكلام والخطابة ،
وأسلوب عدلى فيهما .

كان أسلوب سعد في الكلام أسلوب المحامى القدير ، يصغى
أولا في صبر وأناة الى من يحدثه ويسجل في ذاكرته كل ما يسمع
لا سيما النقاط الضعيفة والحجج الهزيلة ، ثم يبدأ في الرد بحج
هدوء وتؤدة ، يفند المزاعم والحجج الواهية ويرد على مطالب الخصم
وأسانيده وأهدافه ومرامييه ويظهر ما فيها من فساد وبطلان وكثيرا
ما يسخر منها قبل أن يسحقها سحقا وبعد ذلك يدلى برودده
القائمة على الحق ، ويعرض قضيته في سلسلة من الحجج القوية
المرتبة المتناسكة المتدفقة في جد صارم وفي وضوح عجيب يدعمه
المنطق ويزينه جمال الاسلوب وروعة الفصاحة في الاداء والادلاء
وفي فن الخطابة كان سعد المثل الاعلى يهز المناير وبفصاحته
واسلوبه البديع الأخاذ يسحر الملايين .

أما أسلوب عدلى فكان من طراز آخر يختلف كل الاختلاف عن
أسلوب سعد في الكلام ، هو أسلوب السياسى الناعم الملمس الذى
لا يؤذى ولا يجرح ، وكان يفضل الكلام بالفرنسية ، كما سبق أن
ذكرت ذلك عنه ، حتى اذا اضطر الى الكلام بالعامية فان الياجاز
كان ميزته الظاهرة ، وهو على عكس سعد لا يتناول أية حجة ضعيفة

من خصمه ليرد عليها ، وانما كان يبدأ بتلخيص ما سئمه من خصمه مما يهمه ويعلق عليه فى رفق وابتسام بغير كلمة نقد أو تجريح فيرضى بذلك صاحبه . وكان يتكلم دائما فى هدوء وصوت خفيض .

وكان ملنر يحب الاصغاء الى عدلى ويستريح الى أسلوبه الخالى من كل انتقاد ، وكان ملنر يشكو من سعد ويتهيب الاجتماع والاشتباك معه فى مناقشة ، ويتبرم من أسلوبه الناقد الجريء القوى الصريح .

واما فى فن الخطابة فعلى صفر ولا يرتجل أبدا ، وكان اذا اضطر الى القاء خطبة أعدها له عبد الخالق ثروت أو الاستاذ محمود عزمى ، يضع له الشكل على كل كلمة حتى لا يخطئ فى النحو أو فى النطق الصحيح للكلمات ، ولعله بذلك كان السياسى الوحيد فى مصر الذى لا يعرف الخطابة ولا يحبها ويتفادها بقدر الامكان .

بقيت ملاحظة على أعظم جانب من الاهمية ، فالوفد لم يخطر بباله أن يدعو عدلى الى الحضور الى باريس الا بناء على الحاج عدلى نفسه وطلبه ، وعدلى فى الواقع لم يكن رسول الوفد لدى ملنر ، بل كان على العكس رسول ملنر الى الوفد ، مهمته أن يقنع الوفد بالدخول فى المفاوضة مع ملنر ، وهو يعلم أو كان يجب أن يعلم أن ملنر ولجنته لم يذهبوا الى مصر للمفاوضات ، وانما لتحقيق فى اسباب الثورة واقتراح نظام جديد لحكم مصر فى دائرة الحماية . فى حين أن سعد يهدف الى الغاء الحماية وتحقيق الاستقلال والجلاء ، ومع ذلك أراد عدلى من الوفد أن يعود الى مصر ليساعد ملنر على انجاز مهمته على أحسن وجه حتى يتمكن من وضع تقرير شامل بعد سماع ذوى الراى من المصريين ، فلما فشل عدلى فى هذه المهمة أراد الحضور الى باريس ليقنع الزعيم والوفد بمفاوضة ملنر فى أوروبا تحقيقا لرغبة ملنر فى سماع الوفد حتى يخرج تقريره شاملا كاملا .

وان جميع مراسلات عدلى الى الزعيم فى باريس كلها ناطقة بأنه حاول اقناع الوفد بوجهة نظر ملنر ، وحتى جريدة التيمس نفسها نشرت فى ذلك الحين أن عدلى سيسافر الى باريس للراحة « كما زعم عدلى » ولكن لاغراء سعد والوفد للاتصال والمفاوضة مع ملنر .

وكان عدلى بذلك ينشد الخطوة لمدى ملنر وقد نجح فى نيلها واستمتع بها ، ولم يكتثر مطلقا بصداقة الزعيم ولا بتوكيل الامة للوفد فى تحقيق المطالب الوطنية .

ولهذا يمكن القول بأن عدلى كان مجرد سمسار فى قضية مصر بينما كان سعد وكيل الامة ، هو صاحب قضية مصر ، يحيا ويموت من أجلها ، ويحتمل الاحوال فى سبيل تحقيقها .

ولم يكن لعدلى رسالة فى الحياة الا أن يصل الى كرسى الوزارة ثم يصبح رئيس الوزراء ، وقد نجح فى ذلك وتحققت شهوته . . .

وأما الزعيم سعد زغلول فكانت له رسالة ، ورسائله كانت ذات شعبتين :

الشعبة الاولى - ذات طابع سياسى له أربعة أهداف أساسية وهى : إلغاء الحماية البريطانية ، الاعتراف لمصر بالاستقلال التام ، انتهاء الاحتلال وتحقيق الجلاء ، وأخيرا اقامة نظام ديمقراطى برلمانى يضمن حرية الفرد ويحدد سلطة الحاكم ، فتقوم الوزارات وتسقط بناء على الثقة البرلمانية .

والشعبة الثانية - ذات طابع اجتماعى وهو توحيد صفوف الامة ، وخلق اتحاد بين المسلمين والاقباط ، وكان هدفه اتحاد اندماج وحب وثقة ، وتجلت عملية الانصهار والاتحاد فى بوتقة الجهاد فى الثورة العارمة سنة ١٩١٩ ، كما عمل على تحرير المرأة بعد قاسم أمين ودعاها وشجعها على النزول الى ميدان الجهاد الوطنى فاشتريكت النساء مع الرجال فى المظاهرات وفى اجتماعات اللجان ، وبهذا تم تحرير المرأة المصرية وزال الحجاب بعسد أن كانت المرأة سجينه وراء الابواب .

ونجحت رسالة الزعيم سعد زغلول فى النهاية بعد أن ذاق الامرين ودفع الثمن غاليا ، وكان الثمن هو العذاب والنفى من وطنه ثلاث مرات وهو فى شيخوخته وكثرة أمراضه ، مرة الى جزيرة مالطة ، والثانية الى جزيرة سيشل على خط الاستواء حيث الحر القاتل ، والثالثة الى جبل طارق بعد أن اشتد عليه المرض فى جزيرة سيشل .

ولو سئلت مصر الثائرة عن المقارنة بين سعد وعدلى لقلت : ان المقارنة بين سعد وعدلى كالمقارنة بين الذهب والرماد .

محمد كامل سليم

الفصل الأول

سعد وعدلى

باريس فى ١٢ نوفمبر الى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٠ :

لم يعقد الوفد جلسة واحدة • وكان الاعضاء أعطوا لانفسهم اجازة للاستجمام •

والاعضاء الذين حضروا لزيارة الرئيس والاجتماع به كل يوم هم :

واصف غالى ومصطفى النحاس وعلى ماهر وويصا واصف والدكتور حافظ عقيفى •

وبقية الاعضاء زاروا الرئيس واجتمعوا به مرتين فى هذه الفترة •

لم يحضر عدلى من لندن الا بعد أربعة أيام من سفرنا منها • والظنون حوله وحول تأخيرته كثيرة حائمة هائمة : فالرئيس سعد يظن أن سبب تأخره راجع الى ما يجرى بينه وبين ملتر الآن من رغبة فى التفاهم والاتفاق بينهما على ما ينبغى احداثه من التغيرات التمهيدية فى مصر وذلك بمناسبة قرب عودة عدلى الى مصر قبل نهاية هذا الشهر ، والرئيس لا يشك لحظة واحدة فى أن عدلى سيؤلف الوزارة القادمة •

بينما عبد العزيز فهمى واخوانه يظنون أن عدلى قد يكون متوجعا منحرف المزاج ، وبين هذين الظنين الرئيسيين ظنون كثيرة صغيرة ولا أرى فائدة من تسجيل الهواجس والظنون •

ولما حضر عدلى الى مسكن الرئيس مساء ١٥ نوفمبر (وكان عنده أعضاء الوفد جميعا وكانوا على علم بوصول عدلى وزيارته) ، لم يتحدث عن أسباب تأخره فى لندن فى هذه المدة ، ولم يسأله أحد كذلك ، ما دام أنه لم يتطوع بالاخبار من تلقاء نفسه • اذ ليس عدلى عضوا فى الوفد ولا هو ملزم بتقديم

بيان عن تصرفاته الشخصية ، ولكن الحقيقة التى لا مرية فيها أن الرئيس سعد قد استاء أشد الاستياء من سكوته هذا ومن امتناعه المريب عن الادلاء ببيان - ولو موجزا - عن سبب تخلفه فى لندن

نداء الى الامة

أملى على الرئيس نداء موجزا الى الامة يهدف الى دعم الصوف وشحن الهمم وهذا نصه :

أيها المواطنون الاعزاء :

« لقد رفعت منذ عامين عن كبرياتكم القومى ذلك العبء الذى كان يثقل كاهله . وبصيغة الاستقلال أعلنتم فى وجه العالم بأسره حقكم فى الحياة . وما زلتم منذ ذلك اليوم تثبتون أنكم جديرون بامانيكم الوطنية . وجاءت نتيجة الاستنارة بראيكم فى مشروع الاتفاق مثبتة أن الاستقلال ليس فى نظركم كلمة تردد فى الفضاء يغير معنى ، بل أنتم تريدونه استقلالا حقيقيا خليقا بكم وبمستقبلكم الذى سيرسل غدا أشعته الوضاعة على مصر الحرة »

وهذا الاستقلال سنحصل عليه باتحادنا وبروح التضحية والايمان بانفسنا وبعدالة قضيتنا المقدسة ايماننا هادئا عميقا صادقا »

(سعد زغلول)

انفجار قبيلة نجيب

١٦ نوفمبر ١٩٢٠ :

حدث اليوم ما هو أفظع مما توقعت ، وانى لمحزين .

ولكن مالى أتعجن الحوادث فأحكم على اليوم كله ؟ يجب أن أبدأ من البداية .

فى الساعة الثامنة صباحا خرجت من الدنسيون وأنا منشرح الصدر عظيم الشعور بجمال باريس وجمال الحياة وشاعرا بأن المتاعب خلفناها وراءنا ، وأن هذا اليوم على الأقل سيكون يوما هادئا ناعما سعيدا إذ لا عمل لدى الرئيس أو الاعضاء ، والجميع سيستريحون فى هذا اليوم المشمس وسيخرجون جميعا للرياضة بعد متاعب العمل وطول العناء ، وفكرت فى الذهاب الى فرساي أو قضاء اليوم فى غابة بولونيا الجميلة .

كانت هذه خواطرى حتى وصلت الى مكتبى فى الشقة التى يسكنها الرئيس ، وفى الساعة التاسعة نادانى الرئيس فدخلت



زعيم الامة : سعد زغلول

عليه ، فكلفنى بأن اتصل بالاعضاء تليفونيا لكى يحضروا جلسة للوفد تعقد فى مركز الوفد فى الساعة العاشرة والنصف صباحا ، فذهلت ودهشت وخرجت ..

كنت مستعدا منذ دقائق، معدودات أن أراهن على أن الوفد لن يجتمع اليوم وما هو على وشك الاجتماع .. وبعد أقل من نصف ساعة أبلغت الرئيس أن اجتماع الوفد سيتم فى الموعد الذى حددته ، ولكن كل عضو سألنى عن سبب الاجتماع فقلت : لا أعلم ، ثم

استطردت فقلت فى شىء من الایحاء (يظهر یا باشا انهم كانوا ينتظرون الاستراحة ٠٠ هذا اليوم كأجازة)

فاجاب الرئيس متجاهلا ما رميت اليه : « لقد تسلمت صباح اليوم برقية من محمود سليمان باشا رئيس اللجنة المركزية جساء فيها أن اخبارا لم تنشر سببت قلق الخواطر بسبب الخلاف القائم بينى وبين عدلى ، ويرجو ملحا حسم الخلاف محافظة على وحدة الصفوف » . فقلت : « كيف تقلق الخواطر بسبب اخبار لم تنشر ؟ » فسكت الرئيس ولم يرد فخرجت مسرعا وتذكرت برقيه نجيب .

وفى الموعد المحدد اجتمع أعضاء الوفد وفتحت الجلسة فاطلعهم الزعيم على البرقية فسكتوا جميعا ولم ينس أحدهم بكلمة ، فاستغرب الرئيس هذا السكوت المريب فخرجت الى مكتبى ، وبعد قليل حضر عدلى ووجهه مغبر مكفهر ، لونه مزيج من الصفرة والسواد ، وملامحه تصرخ بالعبوس والتجهم والغضب المكتوم الظاهر ، ودخل قاعة الجلسة فى سرعة مضطربة (على غير عادته) ، فلما استقر به المقعد تلا الرئيس مرة ثانية برقية محمود سليمان باشا ، فقال عدلى فى هدوء متكلف : « انه تسلم كذلك برقية أقطع منها » . وقدم صورة طبق الاصل للبرقية التى أرسلها أحمد نجيب مراسل الاخبار الى أمين الرافعى ، ثم قال :

« ان مراسل الاخبار الذى يدفع الوفد له مصاريف أسفاره وأقامته وبرقياته يتهمنى ويقول أن عدلى قسم الوفد وعرقل المفاوضات وسعى فى عدم قبول تحفظات الامة ، وهذا كله كذب بهتان » .

ثم قال فى مرارة ظاهرة : « اننى منذ أربعة أيام فقط كنت مع ملنر وقلت له ان الشعب المصرى لا يمكن أن يقبل مشروعه بدون النص على الغاء الحماية ، فهل هذه البرقية جزائى ؟ »

فاجاب الرئيس . « لا علم لنا بهذه البرقية ، وليس فى الوفد احد يعلم بها » .

« ولقد نشرت جريدة التيمس يوم سفرنا من لندن فى ١١ نوفمبر رسالة لمراسلها جاء فيها : ان الامة المصرية قابلة لمشروع ملنر وان كل ما طلبته هو مجرد رغبات ، ولكن زغلول هو الذى قلبها الى تحفظات ، وان أعضاء الوفد وعدلى باشا لا يؤيدون ذلك » . فما حيلتنا اذا كانت اخبار الوفد أصبحت معروفة للجميع ، ونحن نتألم اشد الالم لهذه الحال » .

وقال عبد العزيز فهمي : « ليس هذا هو الموضوع ، وانما الموضوع هو كيف يجبر أحمد نجيب مراسل الاخبار على ارسال برقية كاذبة مضللة كهذه البرقية من غير علم أحد في الوفد » .

وقال المكباتي : (موجها الكلام الى الرئيس سعد) ان محمد على بك علوبة أمين الصندوق كثيرا ما شكنا من أنه يدفع أجور برقيات الى مصر دون أن يطلع عليها ، وقد أخبرني الآن أنه دفع أجرة هذه البرقية الخطيرة الى نجيب رأسا دون أن يطلع عليها » .

فصرخ الرئيس في وجهه : « ما دليلك ؟ انت توجه التهم الخطيرة جزافا ومن غير تفكير » .

وهنا حاول لطفي السيد أن يشرح قصد المكباتي . فقاطعه الرئيس قائلا : « لماذا تحاول شرح شيء واضح وقصده من الاتهام ظاهر » ؟

فقال لطفي السيد : « انني كعضو ويمكنني أن اتكلم ومن حقي أن ابدى الرأي » .

وقال محمد محمود : ان المكباتي لم يقصد شيئا .

فقال الرئيس في غضب : انك تتكلم ضد ضميرك .

فصرخ محمد محمود وانفعل قائلا : « كيف تنسب الى ذلك ، انا لا أقبل هذا الكلام ولا هذا الاسلوب ، وهذه المعاملة الجافة » .

فوقف الرئيس سعد وخرج من الجلسة وهو في أشد حالات الغضب والانفعال . واستمرت المناقشات حوالي عشر دقائق والاصوات مرتفعة والالفاظ الجارحة تتناثر يمينا وشمالا تخرج من هنا وهناك ، وتصيب هذا أو ذاك ، ثم تبعثر المجتمعون وانصرفوا ، خرجوا أفرادا وجماعات ، ثم فلتحت النوافذ بعد خروجهم حتى تخرج الزوبعة التي شهدتها هذه القاعة والتي ملأت جوها في شكل خانق اليم .

هكذا انفجرت قنبلة نجيب في دوى هائل ، والله وحده يعلم نتائجها المستورة الأخرى .

هكذا قامت الزوبعة وهكذا انتهت ، ولكن هل هي حقا انتهت ؟ وما كاد الرئيس ينسحب من الجلسة غضبا واحتجاجا حتى صاحبه الدكتور حامد محمود الذي كان جالسا بجوارى ، واضطرتت الى البقاء حتى أرى نهاية هذه المأساة .

فلما خرج الاعضاء جميعا جمعت أوراقى وذهبت فورا الى مسكن الرئيس لاطمئن عليه لان وجهه كان محتقنا شديدا الاحمرار ، وخشيت أن يصاب بمكروه وهو مريض بقلبه وارتفاع الضغط ومرض السكر . دخلت عليه ومعه الدكتور حامد فأخذ يحدثنا بما دار فى الجلسة بما لا يخرج عما كتبت آنفا ، وبعد قليل حضر على ماهر والنحاس وسبنوت حنا وواصف غالى ووصفا واصف وتكلموا فى شأن التفاهم مع عدلى ومع كل واحد من جماعته ، وذكروا أنهم خمسة والآخرين أغلبية ، وذلك تلافيا للانقسام .

الاعتراف الخامس عشر

فقال الرئيس : انى افعل ما تطلبون ولكن عليكم أن تعلموا من الآن أن هذا الترقيع لا يجدى ولا يفيد لأن عدلى قد جربته طويلا وخرج على وسعى فى اسقاطى لغير ما سبب اثبته . ولقد مكنته من نفسى . ودافعت عنه ضد خصومه ، ومن غير طلب منه ، وهو يجد الآن نفسه فى مأزق ويريد الاستعانة بى للخروج منه ، حتى اذا خرج قرب لى ظهر المجن ، وفعل ما لا يفعله اعداؤنا الحقيقيون .

« خذوا ذلك منى واحفظوه عنى . أن اصحابه مهما حصل الاتفاق معهم لا تخلص نياتهم ولا تصفو سرائرهم ولا يتأتى العمل معهم لخير البلاد بل يكونون دائما حجر عثرة فى طريقنا ، ولقد تحممت من الآلام كثيرا ، والعمل مع المخالفين من أشق ما يكون وخطر مما يتصوره الانسان ، ومع ذلك فأنى لا أريد أن أخيب رجاءكم هذه المرة » . فانصرفوا شاكرين .

الاعتراف السادس عشر

بعد خروجهم قال لى الرئيس :

« والله أن فراقهم خير وأولى ، وإن الفرصة سانحة الآن ولكن الأعداء يشمتون ، والاتحاد ينثلم . فما الذى انا صانعه ، ودوام الحال على هذا المتوال مسئولية كبرى ، ومع ذلك لا أعجل ، وعلى بالصبر الجميل فله تدبير وهو أحكم الحاكمين » .

وفى المساء حضر لطفى السيد وعبد العزيز فهمى وحمد الباسل ومحمد على علوبة ، كما حضر الاعضاء الخمسة المناصرون للرئيس ، ولم يحضر المكباتى ومحمد محمود وعدلى .

وكانت جلسة هادئة أريد بها تسوية الامور وإزالة ما فى النفوس
من آلام لا خير فيها ، أعادت الحياة الى مجاريها الطبيعية .
وانفضى الاجتماع فى الساعة الثامنة مساء والاعضاء باسمون .

حديث بينى وبين محمد على علوية



وبعد العشاء نزلت الى « كافيه فوكيه » فى
الشانزليزيه كالعادة فحضر صدفه صديقى محمد
على عسويه ، وعلمت منه أن أمين الرافعى أراد
نشر بترقية نجيب ولكن الرقيب منع نشرها .
وأمين الرافعى هو صاحب جريدة الاخبار
وسكرتير لجنة الوفد المركزية فى غياب مصطفى
النحاس ، وأن اسماعيل صديقى باشا اطلع على
البرقية وأخذ صورتها وأرسلها الى عدلى .

تم التفت الى صاحبه وقال فى جد ظاهر : محمد على علوية
« يا اسنان كامس .. انى اريد أن أوجه سؤالاً
الى ضديرك وأن اسمع جوابك الصريح وأنت مطلع على كل الدقائق
من سياسة الوفد وأعضائه ومسلك عدلى ، ماذا كان رأيك وشعورك
لاول وهلة عندما علمت ببرقية نجيب الحاملة لهذه الاتهامات
الخطيرة ضد عدلى ؟ »

فقلت : يا سيدى لست فى حاجة الى أن تستنجد بضميرى
وتناشده لى أعطيك الجواب الصريح ، أن هذه البرقية قد صدمتنى
وأحدثت فى نفسى دهشة وألماً لأنها خطيرة ونشرها يؤدى حتماً
الى توسيع هوة الخلاف فى الوفد وفى الأمة » .

فقال : حسن جداً . ولكن ما رأيك الآن اذا كان سعد باشا لم
يشعر بدهشة ولا بالألم عندما عرضها عدلى فى الجلسة . بل نفى
علمه بها وأخذ يتكلم فى موضوع آخر .

فقلت : أتريد أن تستدرجنى ببراعة المحامى المحقق الى الاعتراف
بأن الرئيس يعلم بأمرها سلفاً .

فقال : « ما فى ذلك شك . والا كان يشعر بالدهشة مثلك » .

فقلت : « هذا ليس بدليل ، وإن من يعرف سعد باشا يدرك
لاول وهلة أنه رجل أخلاق ، بل لعله يسرف فى اقحام الأخلاق فى

السياسة ويحكم على السياسيين أحكاما خلقية قبل أن تكون سياسية . وأنا أجزم بوازع من ضميرى أن سعد باشا لا يمكن أن يحارب عدلى فى الظلام ببرقية كهذه ، لأن سعد باشا قوى جسدا وصريح جدا وشجاع جدا ويشعر بلذة ما بعدها لذة فى الكفاح . فإذا أراد أن يحارب عدلى فستكون حربا صريحة علنية وهو المنصر لا محالة وعدلى هو المهزوم لا محالة فى أية حرب تقوم بينهما . » فقال محمد على علوبة : « هذا صحيح . وأنا كذلك أستبعد الدس على سعد ، ولكن أغلب الظن أن مصطفى النحاس هو الذى أوحى بها وشجع على إرسالها . »

فقلت : « ولماذا تريد توجيه التهم بمجرد الظن ، ولا تصبب التهمة كلها على رأس نجيب وحده . أنه رجل مثقف وناضج وقد جاوز الخمسين وعليه وحده تقع المسئولية كاملة ، ومع ذلك ما رأيك أنت فيما حدث فى جلسة الصباح من تهور المكباتى ؟ »

فقال : « ان جلسة الصباح كانت محمومة ، والمكباتى رجس متهور ومجنون ، وأنا الذى اطلقت عليه اسم « المدبأتى » عندما كنا أعضاء فى الجمعية التشريعية . »

فقلت : « ولماذا حضرتم لمقابلة الرئيس فى المساء ، ولماذا خرجتم باسمين ؟ »

فقال : « ان الخصام لا معنى له ولقد اعتذرنا لسعد عما حدث فى جلسة الصباح وأرضيناه ووعده هو من ناحيته ان يزور محمد محمود باشا . أما المكباتى فسعد لا يريد أن يجتمع به او يراه او يسمع عنه كلمة واحدة . ثم اتفقنا كذلك على أن يحضر عدلى غدا لزيارته . »

ثم استطرد قائلا : « ان عدلى هذا رجل نبيل حقا وهو عائد الى مصر بعد أيام . ولا يريد أن يعود الا وهو وسعد على وفاق وسلام ، وقد رحب سعد بزيارة عدلى له غدا وقال لنا انه سيعمل على تصفية الجو واعادة مياه السلام الى مجاريها . » فشكرناه وخرجنا باسمين كما تقول . .

١٨ نوفمبر ١٩٢٠ :

فى الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم حضر عدلى لزيارة الرئيس سعد وظل معه ساعتين كاملتين . وعلمت من الرئيس قبيل حضوره بأن على ماهر لعب الدور الاكبر فى التوسط بين عدلى وسعد للصالح بينهما .



سعد زغلول .. وعدلى يكن

محادثة ثاية فى الصراحة بين عدلى وسعد

قال لى الرئيس بعد ظهر اليوم :

« ان عدلى اراد اول الامر ان يظهر عدم اهتمامه بكل ما حصل فعاملته بالمثل » واتجه الكلام بعد ذلك الى خطته مع الوفد . فقلت انها خطة تفريق ، وانه لم يكن ينبغي له ان يضع نفسه على راس قسم من الوفد بعد العمل على تقسيمه . وسردت له وضعه بمشروع مع بعض اعضاء الوفد وارسلته الى ملتر من غير اطلاقى عليه أولا ، ثم كثرة اجتماعه بمن ليسوا مثلى فى صداقته اجتماع تامر ، وتصرفه فى الكلام مع ملتر بالانجليزية مرتين وعدم اخبارى بما دار بينهما .

فقال عدلى : « ان ملتر قال فقط (هل ضاع ما املناه »
وسقط ما بيناه) »
فقال الرئيس : « ألم يكن هذا مهما لتعرفا مقدار حرصه وضرورة
نشيتنا بما هو فى الواقع حياتنا »
فقال عدلى بعد ان (مط بوزه) ان ذلك كله لا اهمية له .
سعد : عظيم جدا ، ولكن جاء فى كلامك او فى لهجتك ما يدل
على انك نطن ان لى دخلا فى هذه البرقية .
عدلى : لا بل اعتقد انك غير اهل لذلك ، ولكن كنت انتظر منك
عندما تطلع على البرقية ان تستنكرها او تقول ان عدلى غير اهل
لهذه التهم .
(وهنا دخل عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ثم خرجا بعد دقيقة
واحدة) . وبعد خروجهما قال عدلى :
- انى اريد ان اوضح الحالة فى هدوء ومن غير غضب او انفعال .
سعد : اتى اسمع بكل ارتياح .
عدلى : انى خدمت القضية المصرية باخلاص . واذا كان لى
راى يخالف راىك او راى الوفد فلا ضرر فى ذلك ، وما الزمت
أحدا برأى ، ولا عطلت على الوفد رأيه ولا ذنب لى أن يكون بعض
الاعضاء من رأى . ولكنى شكرت محمد محمود امتداحه لى فى
بعض الحفلات . وما أشرت عليه وعلى اخوانه بزيارة السراى الا
لان الكتابة منك اليهم تعتبر تعليمات ، وعدم اخبارى اياك بموعد
عودتى من (فيتل) لم يكن تقصيرا منى فى حقك ، وانما كان لما
علمته من مصادر مختلفة من انك عائد من (فيشى) فى ١٦ سبتمبر
ووجدت ان هذا الوقت يناسب انتهاى من العلاج ، وجاء فى
كلامك معى فى اول مقابلة بعد العلاج ان الامة أبدت رغبات وامانى
وفوضت لكم الراى لتحقيق ما تستطيعون تحقيقه لها وانكم اذتم
جعلتموها شروطا وتحفظات . ومع هذا كله فقد قلت للملتر فى
المقابلة الاخيرة ان الامة المصرية لا تريد المفاوضات الرسمية الا
بعد الغاء الحماية ، وجلست معه ساعة كاملة لاقنعه باهمية ذلك .
قلم يقتنع . وقال لى ملتر « انك اذا كلمتنى عشر سنين لتقنعنى
بذلك فانى لا اقتنع » ، فسكت كمدا ولم أخبرك بذلك حتى لا تغضب
وتثور ، وتركت لك الامر حتى تعالجه انت بما تراه مناسبا ولعلك
تكون أكثر توفيقا منى فى ايجاد حل لذلك مع ملتر وما كنت احضر
عندك فى الاغلب الا تفاديا من المناقشة والجدل العقيم مع أولئك
الاطفال .

سعد : انى لاحظ عليك أنك اطلعت على برقية ملتر الى اللنبى بواسطة الاعرج فى ٣٠ يونيو ، واجتمعت بى بعد ذلك ولم تحدثنى عنها مع ان ذلك كان ضروريا جدا على الاقل للاتفاق على ما يجب علينا عمله ازاءها . وعلمت من محمد محمود أنك قلت له أنك ستؤلف الوزارة القادمة ، وأنتك ولطفى السيد متفقان على ألا يكون للوفد رأى فيمن تختارهم العمل معك . ثم توالى الاجتماعات بينك وبين فريق من الاعضاء ووضعتم مشروعا قدمتموه الى ملتر ولم تطلعونى عليه ، وكان ذلك بالاشتراك مع رشدى ولطفى السيد . ولم اطلع عليه الا بعد ارساله الى ملتر بخمسة أيام . فهل هذا يليق ؟ تم انى قلت لك مرارا ان مشروع ملتر مشروع حماية ولا يمكننى تأييده . كما أنك لم تفعل شيئا لازالة الخلاف والتوفيق بين الطرفين بل بالعكس ازددتم التصاقا بفريق من اعضاء الوفد . وروج المندوبون المشروع بعد أن اتفقوا معى على عرضه على الامة بالنزاهة وعدم التحيز ، وكتبنت انت الى بعض اصداقك فى مصر بالمسعى الى حمل الامة على قبوله كما يطلب ملتر ، وبدأت التفكير والعمل فعلا للتأليف وزارة لاجل الدخول فى المفاوضات الرسمية ، وفى الجلستين اللتين عقدتا مع لجنة ملتر بحضورك لم تشترك فى المفاوضات بكلمة واحدة ولم تساعد بشئ ، بل قلت لى فى الاولى عندما كنت اعارض وظائف المستشارين البريطانيين «أنك رضيت باستشارة المالى» قلم ارد عليك .

« وفى الثانية سالتنى عما اذا كان فى الامكان أن اقول للامة ان الغاء الحماية محتمل احتمالا كبيرا . فاجبك بانى لا أستطيع أن اقول هذا ، اذ ليس لدى ما يؤيده .

« كل هذا جعلنى اعتقد أنك فى طريق آخر ، وكنت تأخذ صور بعض البرقيات من علويه وتبلغها للاعرج بقبول الامة للمشروع مع بعض الرغبات والامانى حتى اقتنع ملتر كل الاقتناع بأن التحفظات آتية مدى وحدى لا من الامة ولا من باقى اعضاء الوفد . وكان هذا هو السر فى عناده وعدم مسالمته وتشبته برفضها ، فلو أنك اعلنت أنك لا تعمل الا بالاتفاق مع الوفد .»

وهنا قاطع عدلى الزعيم قائلا : « ان هذا الزام مما لا يلزم » . فقال سعد : « أنك الآن متهم . ووطنيتك قد وضعت موضع الشك » .

فقال عدلى باسم : « أمن اجل هذا ارسل مراسل الاخبار برقية باتهامى فى وطنيتى ؟ »

سعد : « ان الواجب عليك ان تدافع عن نفسك وان تعلن أنك متضامن مع الوفد »
 (وهنا سكت عدلى قليلا ووعد بالتفكير)
 وافترق الصاحبان على ان يجتمعا فى المساء .

برقية عدلى وبرقية سعد

وفى الساعة السادسة مساء حضر عدلى لمقابلة الرئيس سعد ،
 ومعه البرقية الآتية نصها ، اعدما لارسالها الى محمود سليمان
 رئيس اللجنة المركزية :

« منذ تأليف الوفد وأنا أبذل كل ما فى وسعى لمساعدته فى
 جهوده وسابقى محافظا على هذه الخطة ، وساعمل بالاتفاق معه ،
 وليس فى اعمالى ولا فى اقوالى ونياتى ما يبرر تلك الاشاعات السيئة »
 اغتبط الرئيس سعد بهذه البرقية كل الاغتباط ولا أخاله الا
 اعتبر نفسه منتصرا . وهل بعد ذلك انتصار ؟ ولعله لهذا الاعتبار
 وحده أرسل من ناحيته البرقية الآتية الى محمود سليمان :

« الاشاعات الخاصة بعدلى لا اساس لها . وان الاتفاق تام
 بينه وبين الوفد ، وأنه لا يعمل عملا الا باتفاق سابق معه » .
 وهكذا وضعت الاوراق على الجدار المشقوق مرة أخرى لكى يبدو
 سليما للعيان ، متين البنيان . وهو فى الواقع متداعى الركان
 مززعج الكيان والله المستعان . ومهما يكن من أمر فان الجو قد
 صفا فجأة وتحسن تحسنا ملحوظا .

وقد علمت اليوم ان عدلى سيسافر يوم ٢٠ نوفمبر عائدا الى
 مصر . ولعل هذا هو السر فى حرصه على تحسين الجو بهذه
 السرعة ، وعلى ارضاء الرئيس سعد بأى ثمن . وقد دفع الثمن
 باهظا فيما اعتقد ، والمضطر يركب الصعب من الامور وهو عالم
 بركوبه .

مأدبة غداء لتوديع عدلى

باريس فى ١٩ نوفمبر :

حضر على ماهر مبكرا فى الصباح وخلا بالرئيس نصف ساعة
 اقترح فيها عليه ان يقيم مأدبة غداء توديعا لعدلى ويدعو اليها جميع
 اعضاء الوفد ، فرفض الرئيس اول الامر ولكن على ماهر رجا

والح فقبل الرئيس أخيرا وكلفه بأبلاغ الدعوة ، وعلمت أن عدلى قبل الدعوة مغتبطا وبغير تردد كما قبلها الاعضاء جميعا ما عدا محمد محمود الذى اعتذر بسبب مرضه .

وبدأت المادبة ، واستمرت وانتهت فى جو من البشر والانشراح . كان الرئيس يوجه بعض الكلمات الطيبة والنكات الى من كانوا بالامس القريب مخالفين ، وكان يمازحهم جميعا كأن لم يكن شيء . ثم زار بعد الوليمة محمد محمود فى فندقه للاطمئنان على صحته ، ومكث عنده ساعة كاملة تعاتبا فيها طويلا واقتربا بسلام وابتناسا ، وقبل خروج الرئيس حضر عدلى فدهش الرئيس لهذه الزيارة والمقاء الثانى على غير انتظار . وقال لعدلى : « سارك مسرة أخرى غدا فى المحطة » .

فأجاب عدلى : « انك كريم أرجوك الا تكلف خاطرك بالحضور فان الجو شديد البرودة » وقدم الشكر جزيلا .

عدلى يسافر من باريس عائدا الى مصر

باريس فى ٢٠ نوفمبر :

اليوم سافر عدلى من باريس عائدا الى مصر ، وحضر لتوديعه فى المحطة جميع أعضاء الوفد وعلى رأسهم الرئيس سعد . وقد لاحظت أن جو التوديع ومظهره كان باردا ومتكلفا ، إذ وقف الرئيس فى ناحية ومعه بعض الاعضاء ، ووقف عدلى فى ناحية ومعه البعض الآخر وكان القطبان يلتقيان من آن لآخر فى شيء من التكلف ولا يطول لقائهما . ولم ينتظر الرئيس حتى تحرك القطار لاشتداد البرد فاستأذن وانسحب مع واصف غالى . وسمعت عدلى يقول لعبد العزيز فهمى « ان نكران الجميل متأصل فى النفوس » وما هو فنزيلوس قد سقط بعد أن جعل اليونان قوية وأصبحت مساحتها ضعفين » . قالها وعلى وجهه كل سمات الحزن والانقباض والكآبة .

تمنيت أن استرق السمع لأعرف رد عبد العزيز فهمى ، ولكنى جفلت وامتنعت وتحركت من مكانى .

ويا لليت شعبرى ، ما الذى كان يعتمل فى نفس عدلى حين قال قولته ، ورمى فى حسرة جملته ؟

ما الخاطر الحزين الذى دار فى رأسه وكشف لى عن يأسه ؟

هل ذكر الماضي القريب فانقبض وجزع ، أم ذكر المستقبل القريب
فخاف وفزع ؟

الم يفارق سعدا وهما على صفاء ، أم استوى عنده الصفاء
والجفاء لانه يعلم أن الظاهر غير الباطن ؟

هل ظن أن ما بينهما طلاء فى طلاء ، وأن ما خفى فيه البلاء
كس البلاء ؟

الحقيقة واضحة

وأخيرا تحرك قطار الشرق السريع فى الساعة الثامنة قاصدا
البندقية ، انطلق القطار يطوى الارض طيا وفى جوفه (عدلى)
كنزه الثمين .

وجلس عدلى وحيدا يطوى الذكريات طيا ، وفى جوفه همه
الدفين .

وانصرف المردعون وهم بين رجلين لفراقه : رجل يساوره الالم
ويداعبه الامل ، ورجل يشعر بالغبطة ويتنفس الصعداء .

أما أنا فلمست أحد الرجلين ، وانصرفت شاعرا بأن صفحة من
تاريخ مصر الحديث قد طويت ، وأن صفحة جديدة قد فتحت ،
ومشيت مفكرا فيما كان وما يكون .

ونكرت قول الشاعر :

سهرت أعين ونامت عيون	لامور تكون أو لا تكون
فاطرد الهم ما استطعت عن	النفس فحملاك الهم جنون
ان ربا حماك فيما مضى	سيحملك فى غد ما يكون

باريس فى ٢١ نوفمبر ١٩٢٠ :

خرجت من البانسيون هذا الصباح الباكر وفى رأسى سؤال
حائر وجملته محيرة . أما السؤال فهو :

لماذا كانت حفلة الغداء لتوديع عدلى خالية من التكلف وغلب
عليها المزاح والانشراح ، وكانت حفلة التوديع فى المحطة غاية فى
التكلف ، وغلب عليها البرود والجفاء ؟

أما الجملة المحيرة فهي التي قالها عدلى لمعبد العزيز فهمى
« ان نكران الجميل متاصل فى النفوس » هل أنقلها الى الرئيس
سعد ؟ هذا محال ، فان هذه الجملة لم يقلها عدلى ليسمعها سعد .

ان الجملة وقعت على أذننى على الرغم منى ، وبغير قصد من
عدلى وهو رجل مكروب أراد أن يفرج عن نفسه بالقائها فى أثناء
همساته الى صديقه الحميم عبد العزيز فهمى .

ما كدت أصل الى مكتبى حتى نادانى الرئيس وطلب الى ان
أجلس كعادته معى كلما أراد ان يتحدث الى طويلا ، أو ان يملئ
عنى شيئا اكثبه ، سألنى عما اذا كنت بقيت فى المحطة أمس حتى
تحرك القطار بعدلى . فاجبت بالإيجاب . وحدثته فى كل شيء إلا
عن « نكران الجميل المتاصل فى النفوس » فسكت سعد . وأطرق .
ثم رفع رأسه وقال :

الرئيس ياسف على ارسال برقيته

« لمعك تدهش يا كامل اذا قلت لك انى آسف على ارسال
تلغرافى الذى دافعت به عن عدلى . ذلك لانه تلغراف حاسم وجازم
ولا يندفع مع الحقيقة والواقع » .

فقلت : ان عدلى سببك بارسال برقية حاسمة جازمة وهى
تنطوى على تعهد منه باستمرار العمل والتضامن معك ومع الوفد ،
وجاءت برقيتك ردا طبيعيا يتفق مع الحقيقة الجديدة والواقع
الجديد .

فقال سعد : ان الترفيع لا يفيد . وسيعمل عدلى ما يريد فى جو
اكثر ملائمة له الآن ، وبدلا من أن يلقى استنكارا على تصرفاته
وشكا فى ذنباته ، سيقبلى عند وصوله حسن الاستقبال من الشعب ،
وسيفهم ملئرا والانجليز أنه الحصان الرابع فى الكاسب بالبرقيتين :
برقيته وبرقيتى . ومتى بدأ بداية حسنة فسيقبلى لى ظهر المجن عن
قريب . اننى عندما حادثته وعاتبته على بعض تصرفاته معى لم
أسره منه اعتذارا عنها ، ولا أقرأرا بجميل بذلناه ، وخرجت بعد
كلامه بأنه فعل ما فعل عامدا متعمدا وأنه غير آسف على ارتكاب
ما ارتكبه مما يخالف الصداقة الخاصة والأمانة العامة ، ولعله
لم ينكشف إلا على افترساح عمله ، وخيبة أمله ، ولا يخالجنى شك
فى أنه لا يتأخر عن متابعة خطته اذا تهيأت له الوسائل والظروف .»



حافظ عفيفي



ويصا واصف



مصطفى النحاس

ثلاثة من الاعضاء يقررون العودة الى مصر

هنا حضر لزيارة الرئيس مصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفي الذي ظهر اخيرا انه في غاية الاعتدال ، وأنه يميل ميل على ماهر في حب الوساطة لاصلاح العلاقات وازالة الخلافات ، وتصفية الجو من المعكرات . وقال الدكتور حافظ عفيفي :

« يا باشا اننا نعتمد على حكمتك في اصلاح الحال ودوام صلاحه وفي استمرار الوحدة والوثام ، واننا عائدون الى مصر بعد اسبوع وكلنا امل في قدرتك على ذلك وتدعو لك بدوام الصحة والتوفيق » .

فاجاب سعد : « لقد عزمتم انتم الثلاثة على العودة الى مصر مع اني سبق ان راجعتكم في ذلك . ولكن محمد علي علويه اخبرني بانكم اشترىتم التذاكر وازمعتهم السفر في ٢٧ نوفمبر فشعرت بان هذا تصرف غير لائق من جانبكم لانكم لم تخبروني به قبل البت فيه . واذا كنتم تريدون مساعدتي حقا فلماذا تتعجلون العودة في هذه الظروف قبل ان نتعاون معا على تسوية كل الخلافات الموجودة الآن في الوفد ؟ »

فسكنوا قليلا . ثم اظهروا الاسف ، وقدموا الاعتذار ، ولكنهم مصممون على السفر .

نبتت للرئيس فكرة !

وبعد خروجهم أخبرنى الرئيس أنه يتوقع أن كثيرين من أعضاء الوفد سيعودون الى مصر مثلهم • فانه قد فكر فى الامر وقرر الا يعارض أحدا له رغبة فى العودة • وأما هو فسيظل يجاهد فى أوروبا بكل ما لديه من وسائل حتى تنال مصر استقلالها التام • ويكفيه فى هذه الحالة أن يكون معه اثنتان فقط (واصف غالى وأنا) كمساعدين له • وأما باقى الاعضاء فمن الخير أن يعودوا كلهم توفيراً للمال وحسماً للخلاف •

سمعت هذا الكلام من الزعيم فأثرت السكوت •

جلسة لتحديد موقف الوفد

٢٣ نوفمبر ١٩٢٠ :

حضر الى مقر الوفد لطفى السيد ومحمد محمود وعلى ماهر والمكباتى وحمد الباسل ، ثم حضر الرئيس ومعه واصف غالى ومصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى وسينوت حنا ، وبعد نصف ساعة حضر عبد العزيز فهمى ومحمد على علوبة •

وكان موضوع الجلسة « تحديد موقف الوفد ازاء من يقوم بالمفاوضات الرسمية قبل الغاء الحماية بنص صريح » • وانقسم الاعضاء كما هى العادة الى فريقين :

الاول فريق الرئيس الذى رأى وجوب استنكار كل من يتعرض للمفاوضات الرسمية •

الثانى - فريق انصار عدلى الذى رأى أن من مصلحة البلاد أن يتركه الوفد حتى يأتى بما لا يتضمن هذا الانهاء ، ثم يستنكره الوفد ويحاربه •

فاجاب الرئيس : « بل يجب منعه محافظة على وحدة الامة • وما دامت الامة قد اقامت الوفد وكيلا لها فلا يجوز له أن يتخلى عن وکالته وواجبه ويترك اى شخص يتفاوض من غير اتفاق » سابق معه على القواعد والاسس والاهداف ، فاذا لم يتم هذا الاتفاق مع الوفد وجب على هذا الشخص أن يتنحى عن هذه المسئولية • »

وهنا قال المكباتى : « وما رأى اذا كانت مع هذا المفاوض
الرسمى كتابة تشتمل على وعد بالغاء الحماية ؟ » فاجاب سعد :
« ننتظر فى هذه الكتابة ومضمونها ثم نسبح حسب ما نفهمه منها » .
قال عبد العزيز فهمى : ان واجب الوفد الاول فى الظروف
الحاضرة هو ان يتلافى انقسام الامة ، اما انقسام الوفد فان من
الممكن تلافيه وذلك بان تعلن الاغلبية التى كانت تعارض الرئيس
بانها أصبحت الآن من رايه ، وان الوفد بالاجماع موافق على عدم
الدخول فى أية مفاوضات رسمية الا بعد قبول التحفظات معها
بالمعنى الذى يبينه سعد باشا . وبهذا لم يعد فى الوفد اى انقسام ،
واما انقسام الامة فالسبيل الى تفاديه هو عدم محاربة عدلى لافى
السر ولا فى العلن . ثم تكلم المكباتى فقال : « اذا كان عدلى على
راس هيئة اخرى ويتولى المفاوضات الرسمية لكى يبذل جهوده
ويستخدم كل وسائله لكى يحصل على قبول التحفظات ، فكيف يسمح
للوعد ضميره ان يخذله ويحاربه ؟ »

فاجاب الرئيس فى شىء من الانفعال خطأ هذه الفكرة وقال :
« لا يمكن للوفد ان يقف مكتوف اليدين ازاء هيئة كهذه تغتصب
مهمته ووكالته ، ثم يؤيدها على زعم الباطل بانها تعجى على
خطته وتهدف الى غايتها . ان هذا التصرف (لو تم) يكون زورا
شنيعا من خداع النفس وخداع الناس » .
وانتهت الجلسة الى غير قرار والاعصاب متوترة .

والعجيب ان كل عضو فى الوفد تكلم وأطال وأسهب . وكان
كل منهم يدور فى حلقة مفرغة ، وليس فيما قيل فكرة جديدة
جديرة بالتسجيل ، بل حجج مكررة فى عبارات متباينة ، وهدف
كل فريق هو نفس الهدف من غير تعديل ولا تبديل .

المكباتى يكشف عن الذبحة المنحية الرئيس عن المفاوضات المقبلة :

بعد العشاء نزلت كالعادة الى « كافيه فوكيه » فى الشانزليزيه ،
وهى قريبة جدا من البانسيون الذى أسكن فيه ، وذلك لاقضى ساعة
فى الهواء الطلق وأتفرج على الناس الذين يروحون ويغدون ،
ويجلسون ويقومون ويتهايمسون ، والرجال والنساء فى سعادة
ظاهرة لا يبدو على أحد منهم ولا على واحدة منهم غير البشر
والابتسام . وأن الانسان ليسعد اذا عاش وسط السعداء ويكتئب
اذا عاش وسط الاشقياء ، والابتسام يعدى وينشر جوا من الراحة

السكينة والسلام . وكنت عظيم الامل فى هذه الراحة والسكينة والسلام ، ولكن لم يتحقق املى . فقد حضر المكباتى وحمد الباسل وجلسا معى فاستدرجتهم الى الحديث عن الباعث الحقيقى الذى يدفعهما الى هذا الاتجاه المخالف لوجهة نظر الزعيم سعد فى نفس الوقت الذى يعلنون فيه أنهم متضامنون معه كل التضامن فى وجوب عدم دخول الوفد فى أية مفاوضات رسمية الا بعد قبول التحفظات أولا وقبل كل شيء .

فقال المكباتى « المدبائى » فى صراحة عجيبة « انهم يريدون فى الحقيقة تلحية الرئيس سعد عن المفاوضات فلا يعالجها فى المستقبل ولا حرموا انفسهم من ذلك أيضا وانهم يريدون فى الوقت عينه ان يتولى امر المفاوضات عدلى ومن يختارهم . لان عدلى فى نظرهم أكثر مرونة وسياسة من سعد » ثم قال ضاحكا « لقد حاولنا تهدئة سعد بزعمنا أننا على رايه ولا نريد الدخول فى المفاوضات الرسمية الا بعد قبول التحفظات ، ولكن سعد « ثعلب » لم ينخدع بما قلناه » . قالها ضاحكا مغرقا فى الضحك ، وسمعتها حزينا غارقا فى الحزن .

افترقنا بعد ذلك وعدت الى مسكنى وعاودتنى الفكرة القديمة او السؤال القيم :

هل ابلغ الرئيس ما سمعت ؟ ولكن ما فائدة ذلك ؟ كلا . لن ابلغه لانى أخشى أن تزداد العلاقات فسادا وسوءا بينه وبينهم ، وما أنا بناقل أخبار ، تضر ولا تنفع ، والجهل بها خير ألف مرة من الوقوف عليها ، وفى العلم بها بعض الشقاء وزيادة البلاء .

٢٤ نوفمبر ١٩٢٠ :

أدهشنى الرئيس اليوم اذ أخبرنى أنه عزم على الانقطاع عن الذهاب الى مقر الوفد (فى شارع باريف) انقضاء لشر المكباتى وسفاهته ، فقد أدرك بطلنته وفراسته ما يريدون وما يبيتون وما يتآمرون عليه فكيف لو ابلغت ما سمعته من المكباتى ليلة أمس . ثم قال لى فى حزن غامر يمازجه ايمان عامر :

الاعتراف السابع عشر

« لا اظن أن الامة اصابها هزال يجعلها ترضى بما كانت ترفضه ، وتقبل هذه الحماية بعد أن تشبعت بروح الاستقلال . انى لن أهبط

مع الهابطين • وأدعو للحماية بعد أن كنت رسول الاستقلال ، ولأن
يركنى قومي خير من أن أتركهم • ولأن أبقي وحدي وهم ينزلون ،
خير للامة من الزل مع النازلين ، ولأن يقال تخلى عنه قومه خير
من أن يقال ركنوا اليه فقدر بهم انتمنوه «خانهم ، ورفعوه
فخفضهم ، نعم لم يعد امامي أمل كبير أو صغير للعمل ، ولكن
العجز خير من الغدر » •

٢٥ نوفمبر :

حضر لزيارة الرئيس في مسكنه الاعضاء الذين اعتادوا مقابلته
وزيارته يوميا ، وهم واصف غالى وسينوت حنا ومصطفى النحاس
وعلى ماهر والدكتور حافظ عفيفى .

وفى الساعة ١١ صباحا حضر على غير انتظار عبد العزيز
فهيمى ولطفى السيد ومحمد محمود ومحمد على علوبة وحمد
الباسل ولم يحضر المكباتى لحسن الحظ حتى لا يعكر الجو بأرائه
واسالييه الخشنة المثيرة • وفى هذا الاجتماع القى الرئيس
بفكرته التى نبتت فى رأسه اذ قال :

« بماأن عمل الوفد الآن قد أصبح قليلا ، وتقدير ملئر سيظهر
قريبا ، ولا ينتظر منه أن يأتى بما هو خير من مشروعه ، اظن أن
الاحسن أن يعود الى مصر عدد من الاعضاء ليراقبوا الحالة
العامة هناك ويبقى آخرون هنا على قدر الحاجة » •

فوافق لطفى السيد وعبد العزيز فهيمى على هذه الفكرة فورا ،
ورغبا فى أن يكونا من المسافرين ، ولكن محمد على علوبة قال :

« ان الاولى انتظار تقرير ملئر وتاجيل البحث فى اقتراح الرئيس
الى وقت آخر » • فلم يعترض الرئيس على ذلك •

ويخيل الى أن هذا الاجتماع الذى حضره بعض انصار عدلى لم
يكن المقصود منه فى نظرهم الا التاكيد من أن الزعيم سعد متزم
جانب السكوت والهدوء بالنسبة لعودة عدلى الى مصر •

وفى اثناء تناولى الشاى معه أخبرنى الرئيس انه أرق الليلة
البارحة طويلا وكان دائم التفكير فى الانحلال الموجود فى الوفد
وتعذر البقاء عليه ، واستحالة علاجه وشماتة الأعداء فيه ، وهو
اليوم فى أشد حالات الحزن ثم قال :

« ان الله عودنى خيرا كلما ضاق بى الامر واشتد الكرب » •

وفى المساء حضر على الشمسى من جنيف لمزيارة الرئيس ، فلما سمع من الرئيس بياناته وآراءه فى انقسام الوفد ، اقترح على الرئيس أن يخرجهم من الوفد وان يعين غيرهم ، فلم يوافق وقال : « ان فى هذا صدمة كبرى للامة » .

حالة الرئيس الصحية

٢٦ نوفمبر :

علم الرئيس صباح اليوم أن لجنة الوفد المركزية تفكر فى اقامة حفلة كبيرة لتكريم عدلى وتعبئة الجهود استعدادا لحسن استقباله . فغضب الرئيس غضبا شديدا وقال : « انها رعونة تسوق الناس هذه الايام الى فعل ما يخالف مصالحهم » .

وأنه لمن دواعى الاسى والاسف الشديد أن لاحظ بدء الانهيار فى صحة الرئيس . فقد امتنع منذ ايام عن اكل اللحوم ، وهو كثير الارق مصاب بالسكر ، وبه ضعف ظاهر وهزال شديد ، ولونه يميل الى الصفرة ، وهو كثير الخفقان لان به ضعفا فى القلب ، الله يلفظ به ويرحم مصر المسكينة الفقيرة فى الرجال .

ويا عجبا كل العجب . هل قضى علينا أن نعيش كاكباش ناكل من مرعى واحد ثم نتناطح بعد الاكلة ؟

ولكن هى الطبيعة البشرية فاما حبا أو كرها واما وثاما أو خصاما وحضر مصطفى النحاس والدكتور حافظ عفيفى وويصا واصف مستأذنين فى السفر غذا ومودعين الرئيس ، وكان منظر الرئيس مؤثرا مثيرا للاشجان والاحزان .

عودة الاعضاء الثلاثة الى مصر

٢٧ نوفمبر :

ذهبت الى المحطة لتوديع الاعضاء الثلاثة العائدين الى مصر ، وقد دهشت اذ لم أجد أحدا من الاعضاء الآخرين ذهب الى المحطة لتوديعهم . فكنت الوحيد المودع لهم ، وقلت مازحا لمصطفى النحاس : « الرئيس يمثل الوفد سياسيا ، وأنا امثل الوفد فى القيام بمراسم التوديع » . وهنا ضحكنا جميعا وتبادلنا بعض النكات التى جعلت جو التوديع جو مرح وابتسام .

مواعيد عملى وشأى الرئيس

٢٨ نوفمبر - ٥ ديسمبر :

هذه فترة سكون وركود وجمود وهمود وخمود . ولم يسبق أن مر على الوفد فترة مثلها فى طولها (ثمانية أيام معا) لم يحدث أى اجتماع رسمى أو غير رسمى للوفد ، والأعضاء يأتون الى مقر الوفد ويخرجون أفرادا أو مثنى وثلاثا ، بلا نظام أو اطراد ، يستفهمون عما عنده من الاخبار المنشورة فى الجرائد الانجليزية أو مجلس العموم البريطانى فأخبرهم بما يكون ، ولم يذهب الرئيس مرة واحدة الى مقر الوفد بل لم يخرج من مسكنه قط ، وأهم ما نشر خبران موجزان لا يتجاوز كل منهما أربعة أسطر :

الاول : أن عدلى وصل الى مصر واستقبله بعض الانصار .

والثانى : ان تقرير ملنر ينتظر أن يصدر فى شهر ديسمبر الحالى .

ومواعيد مكتبى ومقابلاتى للرئيس هى من الساعة التاسعة صباحا الى الواحدة بعد الظهر ، ومن الساعة الرابعة بعد الظهر الى السابعة مساء ، ومن التاسعة مساء الى العاشرة والنصف ليلا .

ثم أخرج لاقضى نصف ساعة فى كافية فوكيه اننسم فيها الهواء الطلق ، وأنسى فيها متاعب اليوم برؤية الحياة اللاهية الهادئة فى هذه البقعة الجميلة من الارض .

هذا هو النظام الرتيب طوال الاسبوع كله ، لا أعرف يوم جمعة أو أحد للمراحة ، اذ ليس لى يوم للعطلة والراحة فى أى اسبوع أو فى أى شهر .

ولعل أجمل فترة عقب اليوم كله هى التى أقضيها مع الرئيس بعد الظهر حين أتناول الشأى معه ، وشأى الرئيس شريب بسيط طريف :

١ - شأى باللبين .

٢ - أربعة بريوش .

٣ - عين الجمل المقشر .

والرئيس يحب عين الجمل المقشر لما فيه من مواد غذائية عظيمة تتناسب وحالته الصحية المعطوبة بمرض السكر .

خطاب رابع من أحمد أمين

٦ ديسمبر :

تسلمت اليوم خطابا من مصر تاريخه ٣٠ نوفمبر وهو من صديقي الشيخ أحمد أمين . يقول فيه :

« ان الحالة فى مصر هادئة هدوءا تاما ولكنه لا يرى اهى كما قال القائل :

ارى تحت الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام
أم هو سكوت من اعياء التعب . وفيه يقول :

« لا تنس يا كامل أن السواد الأعظم من الامة غير مثقف ، وانه كان يساق الى الوطنية سوقا فان لم يكن بجانبهم من يقوهم ، ويصلب عودهم ويرفع فيهم الروح المعنوية ، عادوا الى سيرتهم الاولى . ولا تنس أننا ولیدون فى الوطنية قريو عهد بالمبادئ الجديدة ، وان الخمرة فى الامة هم الشباب المتعلم وهؤلاء قليل عددهم اذا نسبوا الى الامة . وأن توالى الضغط على الامة قرونا طويلة من فرس وروم وعرب وترك وانجليز افقد الامة صراحتها وشجاعتها واضعف قوتها وشهامتها . ولكن ما يعزينا هو أننا أصبحنا نرى التطور يسير سريعا وشعورنا بشخصيتنا وقوميتنا ينمى نموا حثيثا يبعث على الارتياح ، ولكن مما يؤسف له هذه الايام أن السواد الأعظم من الامة يبيت ويصبح هو لا يفكر الا فى مشكلته الاقتصادية الناشئة من انخفاض أسعار القطن ، فهو يبنى أعماله ومشروعاته على أن يبيع القطن بأربعين جنيها فاذا بثمانه الآن دون العشرة . والقطن كما تعرف معبود الفلاح والمالك على السواء . . لقد استقبل عدلى باشا استقبالا طيبا بعد أن حامت حوله شكوك كثيرة حتى جاءت برقية الرئيس وكان لا بد منها ليستعيد عدلى باشا مكانته . . فرجعت القلوب الى عهدها الاول . . تعد له اخلاصه وتقدر له حسن مسعاه . وما النتيجة يا كامل وما المنتظر؟ والى ماذا نحن صائرون ؟ أنت الآن فى مستوى أعلى ، فانت أوسع منا أفقا وأقدر منا على رؤية ما لا سبيل لنا الى رؤيته ، فهل تشركننا فيما ترى ؟ وسلام الاخوة الصادقة اليك منى ومن سائر اصدقائك الاوفياء » .

اطلعت الرئيس على هذا الخطاب بأن قرأته عليه . . ثم نظرت

الى الرئيس فوجدته مطرقا مفكرا فى شىء من القلق الواضح والحزن الملموس . وهو الآن يعرف تمام المعرفة أن صديقى الشيخ أحمد أمين من أكثر الناس تدقيقا وعمقهم تفكيراً وأعظمهم إخلاصاً . ولولا أن دخل فى هذه اللحظة على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، لاستمرت جلستى مع الرئيس . ولعرفت منه خوالج نفسه وأفكاره أزاء ما ورد فى ذلك الخطاب .

اشتداد أزمة القطن

٧ ديسمبر :

وردت الجرائد من مصر وأعمدتها طافحة بأخبار أزمة القطن ، وأهم ما لفت أنظارنا أن تشكل وفد من كبار المزارعين الممثلين لجميع المديرية ، وأن وفودا عديدة صغيرة أخذت تتكون كذلك مع أنها ليست لها طلبات خاصة ، فقال لى الرئيس :

« يحسن أن يمثل الحالة الاقتصادية ويعالج الأزمة الحالية وفد واحد كما يعمل فى المسائل السياسية ، وفد واحد يمثل البلاد . ثم استورد قائلا : أن أخوف ما أخافه من كثرة هذه الوفود وكثرة اتصالها بالحكومة أن تستغل استغلالا سياسيا أى تستخدمها الحكومة لتحقيق أغراض سياسية لا تتفق مع قضية الاستقلال . »

أما الوفد الكبير الذى تكون من كبار المزارعين الممثلين لجميع المديرية فقد تقدم باقتراحات ثلاثة هى :

أولا - تحديد زراعة القطن بثلاث الأراضى فى العام المقبل .

ثانيا - إلغاء اتفاقات الحكومة فى استجلاب الحبوب من الخارج ، وذلك للمحافظة على أسعار الحبوب الوطنية فى السنة المقبلة ، وحتى لا تقع البلاد فى أزمة حبوب كما وقعت الآن فى أزمة قطن .

ثالثا - تشتري الحكومة مليون قنطار من صغار الفلاحين المضطرين للبيع .

وذلك حفظا لأسعار القطن من التدهور . وثمان هذا المليون يأتى من مبلغ المليونين من الجنيهات التى حصلتها الحكومة من الضريبة المفروضة على القطن ، والتى لا ينتظر أن تستعمل الآن لأن الحكومة لا تشتري حبوبا من الخارج . ثم أن الباقي تدفعه الحكومة من

وفورات الميزانية • وإذا باعت الحكومة المليون قنطار من القطن فيما بعد وخسرت ، فإنها تستطيع أن تعوض الخسارة بضريبة جديدة مؤقتة تفرضها على مجموع الاراضى الزراعية فى مصر •

وقال لى الرئيس : « هذه اقتراحات معقولة ومقبولة • ولعل الصعوبة الوحيدة فيها هى فى معرفة السعر الذى تشتري به الحكومة قنطار القطن من المليون المراد شراؤها • »

فقلت : « الا يمكن تحديد هذا السعر على أساس تكاليف الانتاج لقنطار القطن مضافا اليه الربح المجزئ المعقول • »

فقال الرئيس : « تكاليف الانتاج تختلف باختلاف المناطق والمديرية وتختلف باختلاف المزارعين والملك ، والربح الذى تراه انت مجزيا ومعقولا قد يراه غيرك لا مجزيا ولا معقولا • وهذه هى المصاعب » •

وهنا اترك قليلا ثم استطرد قائلا :

« ان الناس يجب أن يفهموا أن شهوة الغنى لا يجوز أن تنسبهم كراحتهم المسلوقة واستقلالهم الذى ضحوا بالكثير من أجل تحقيقه • وأنه لن دواعى الأسف انى لم اجد فى أية جريدة مصرية كلمة واحدة فى هذا المعنى تبصر الناس وترشدهم سواء السبيل ، بل لم اجد فى أية جريدة مصرية اقتراحات عملية مفيدة لحل الازمة القطنية ، بل كل الجرائد لجأت الى الطريق السهل : وهو التشجيع على الحكومة واتهامها بالتقصير وبأنها لم تفعل شيئا لتخفيف ويلات الازمة دون أن تقترح من جانبها خطة العمل الواجب اتباعها ، فسياسة الجرائد والحالة هذه سياسة هدم ونقد وتدمير لا سياسة بناء واقتراح وتعمير » •

حيرتى الآن

باريس فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

جالت فى نفسى اليوم خواطر فى شكل اسئلة وغير اسئلة :
هل أستمر فى كتابة هذه اليوميات مهما تكن حوادث بعض الايام؟
هل يحسن أن أتفادى اليوميات بأن كتب ((أسبوعيات)) أى
أى أكتب مرة واحدة كل اسبوع ؟
هل يحسن أن أكتبها « شهريات » أى شهرا شهرا •

لمقد نضرب معين الحوادث الكبرى التى ينطوى العلم بها على متعة أو فائدة .

فانتهت مفاوضات الوفد مع لجنة ملنر الى غير رجعة .
وانتهت كل المشاكل اليومية أو جلها التى كانت تشوّر بسبب تلك المفاوضات أو المحادثات .
وانتهت قصة عدلى وتدخله فى شئون الوفد بعد عودته الى مصر .

وانتهت اجتماعات الوفد لقلة العمل وكثرة السأم وانتظارا لظهور تقرير لجنة ملنر .
وانتهت حتى زيارات كثرة الاعضاء للرئيس واصبح بينهم وبينه جفاء وشبه قطيعة .

واصبح لا يقابل الرئيس يوميا الا ثلاثة اعضاء هم ، على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا يزورونه فى مسكنه .
والرئيس لا يذهب الى مقر الوفد فى شارع ماريفاف .
- وأعضاء الوفد يذهبون الى مقر الوفد بغير نظام ولا اطراد .

وأنا أقضى ساعتين كل صباح فى مكتبى بمقر الوفد ثم انتقل الى مكتبى الآخر بمسكن الرئيس حيث أحمل اليه ما عندى من أخبار الجرائد الانجليزية ومقالاتها بعد ترجمتها الى العربية ، ثم أقضى بقية ساعات العمل صباحا وبعد الظهر ومساء مع الرئيس فى مسكنه .

وأكثر الاعضاء حضورا الى مقر الوفد أربعة هم محمد على عنوبة وحمد الباسل ومحمد محمود والمكبائى .

وأما عبد العزيز فهمى ولطفى السيد فلا يحضران ، ولا أعرف من أنبأتهما شيئا غير ما أسمعته من محمد على علوبة وبودى أن أزورهما ، وأتحدث اليهما ولكن ذلك عسير أو مستحيل لانى لا أملك من وقتى غير ساعات قليلة أقضيها فى الطعام والراحة ، وقلمما تكفى للراحة والطعام .

والآن أعود مرة ثانية الى موضوعى الاصيل حتى لا ابتعد عنه بالشروء والاستطراد ، هل أكتب يوميات أو اسبوعيات أو شهريات ؟ ولكن لماذا يجب أن أبت فى هذا الموضوع ؟ ولماذا ألتزم بخطة معينة لا أحيد عنها ؟

ولماذا لا أكون حرا في أن أكتب ما أشاء . ومتى أشاء ؟
إذا كان المعين الحالي قد نضب فهناك معين جديد ينتظر ظهوره
وتفجره وتدفقه .

وقد نشرت جريدة التيمس صباح اليوم أن تقرير لجنة ملنر
سيرفع غدا الى الحكومة البريطانية التي ستدرسه بكل عناية ومنتظر
نشره وإذاعته مع قرار الحكومة بعد شهر أو شهرين على الأكثر
أى في فبراير ١٩٢٦ .

وستتفاهم الازمة داخل الوفد يقينا . .
وسيعود أكثر الاعضاء الى مصر حتما كما فهمت ذلك من
عبد العزيز فهمى ومحمد على علوية .

وستتولى عدلى رئاسة الوزارة القادمة بغير شك .
وسينقسم الوفد على نفسه . ما فى ذلك أدنى شك ، فان دوام
الحال الراهنة من المحال .

وستنقسم الامة على نفسها لا محالة . .
وسيضطرب سعد وسيفكر ويكافح فى شدة وعنف ، وهو فى
هذا يجرى على سبيلته .

وسيعود الى مصر حتما عاجلا ولا أقول أجلا . .
كل هذا أراه من البدهة بمكان ، وكل ذلك فى حاجة الى
تفصيل وتسجيل .

فلن ينضب المعين لمن يريد أن يكتب ويصور أطوار النفس
البشرية ويسجل الاحداث التاريخية ونحن نعيش الآن فى فترة
حاسمة فى تاريخ البلاد . بل نحن الآن من صناع التاريخ ، وحرام
أن تمر هذه الحقبة من الزمن بدون أن تسجل تفصيلا وتعرف
معرفة صادقة لا لبس فيها ولا غموض ، ولا تزييف فيها ولا تحريف،
ولا نقص فيها ولا اسراف فلاستمر فيما أنا فيه والله المعين .

تقرير لجنة ملنر

باريس فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

اليوم قدم ملنر تقرير لجنته - الى حكومته - التى تعتبره أعظم
وثيقة رسمية مدروسة لأعظم مشكلة سياسية تواجهها فى الوقت
الحاضر وسينشر التقرير وتعرف كل تفصيلاته مع قرار الحكومة

البريطانية بشأن مقترحاته في النصف الثاني من فبراير سنة ١٩٢١ . وأن السبب في تأخير نشره هذه المدة الطويلة هو الرغبة في ترجمته الى اللغة العربية لكي ينشر في لندن والقاهرة في وقت واحد ، وسترسل بعض النسخ من التقرير الى اللبى في مصر ليتولى المترجمون تحت اشراف رجاله القيام بالترجمة في سرية تامة ، حتى اذا تمت الترجمة وطبع التقرير باللغة العربية أمكن نشره واذاعته .

قصة عجيبة

أصبح الزعيم سعد حبيسا في مسكنه لا يستطيع الخروج منه لاشتداد برد الشتاء الى خمس درجات تحت الصفر ونزول الثلج هذه الايام . وفي اثناء تناولي الشاي معه عصر اليوم أخبرني بتصريف غريب مثير من عبد العزيز فهمي . قال :

((عندما كنا في لندن حضر عندي عدلى وكان غاية في التودد والتواضع ، وكان معي عبد العزيز فهمي ومحمد محمود ومصطفى النحاس وواصف غالى ، فرويت لهم حادثة وقعت لى ، وهى شروعى فى شراء اطيان من الدائرة السننية وعدولى عن الشراء لأن صديقا حميما لى أخبرنى عند توجهى لشراؤها بأن البيع قد نأجل فى هذه الاطيان ، وقال « لا تشتبك نفسك بالذهاب » فرجعت واشترائها هو فى الحال)) .

ثم استطرد الرئيس فقال : « ان هذه جريمة تستحق العقاب لانها نوع من النصب والاحتيال » فقال عبد العزيز فهمي : « ان القانون لا يحمى العبطاء » .

فاجاب الرئيس : « لا عباطة هنا . وانما هى ثقة صديق بصديقه » فقال عبد العزيز فهمي : « لا تؤاخذنى ، وأورد مثلا ثم ختمه بقوله : « ان العبطاء لا تحميهم القوانين » . هذا سكت سعد وأطرق قليلا ثم قال لى :

« لاحظت وشعرت ان عبد العزيز فهمي كان يقول هذا الكلام مجاهدا شعورا فى نفسه يحاول منعه من هذا القول . ولكن شعورا آخر كان يدفعه اليه . وكأنه اراد ان يقول لعدلى : « انظر كيف استخف بمكانة هذا الرجل وأعده من العبطاء » . ثم سكت الرئيس مرة اخرى وأطرق كأنه يعالج خواطر اليمه تزعجه او شعورا بالغيط يحاول كتمانها . ثم رفع رأسه وقال لى فى الم ظاهر :

الاعتراف الثامن عشر

« لقد كظمت غيظي وقلت في نفسي سبحان الله ما أضعف نفوس بعض الرجال وما أسخف عقولهم ، لقد عجبت من أمر هذا الرجل الذي يطفح الحقد من صدره ، ولكنني عدت فحمرت الله اذ رايت ان هذا من العلامات الطيبة على أن الفضيلة التي يحسدني عليها راسخة في . ثم رثيت لحاله لأن الحسد سيأكل نفسه حتى يهلكها ، بينما الحقد يضرني ويشقيني ويذوبه ثم يفنيه » .

وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعمل في الدنيا على احد

سمعت هذا الكلام الذي فيه من الحزن والكمد أضعاف ما فيه من الغيظ والغضب ، وبدأ على التأثير الشديد والانفعال الذي اغالبه فيقلبني . واقاومه فيهنمني . ولم يخف ذلك كله على عين سعد النافذة . فقال باسمه ابتسامه فلسفية : « ما رايك يا كامل : فقلت وكأني صحت من غاشية » أنا يا سيدي في دهشة وذهول : ان هذا الرجل ظالم . فما في الامر بلاهه او عباطة . وما كنت اتصور فيه سلاطة اللسان والتهجم الى هذا الحد أو الى أى حد ، بل كنت أعتقد أنه رجل عالم فاضل عظيم التواضع جم الادب متزن يتكلم بحساب شان كل رجل قوى واثق من نفسه » .

فقال سعد : ارأيت الآن مبلغ خطئك في رايك وعقيدتك في هذا الرجل ، ومن يدري فعل كثيرين مثلك يرون رايك هذا فيه .

ثم سكت دقيقة أو دقيقتين قضاها في اطراق وتفكير . ومن عادتي ان اسكت ولا أتحرك اقل حركة كلما رايت مطرقا ومفكرا في هدوء وسكون ، وذلك حتى لا يشعر بوجودي فينصرف الى تأملاته كما يشاء : ثم رفع راسه ، ونظر الى وقال :

« ما رايت رجلا مغرورا بنفسه في تواضع ولا خبيثا في صالح ، ولا عسوفيا في عادل ، ولا كذوبيا في صادق ، ولا جبانا في شجاع ، ولا متغلبا في ثابت ، ولا مراثيا في صريح أكثر من هذا الرجل ، عبد العزيز فهمي » .

وهنا أخرجت مسرعا القلم من جيبى - وسجلت هذا الحكم الفريد ، في هذا الاسلوب الجديد ، كتبت ثم تلوته عليه لاستوثق من صحة كل كلمة قلها . فابتسم وقال : « أنت أشبه بالفونوغراف سجلت كل كلمة ولم تفتك كلمة واحدة . ما أقوى ذاكرتك . . . »

سعد زغلول وعبد العزيز فهمى فى الميزان

١٠ من ديسمبر ١٩٢٠ :

سعد زغلول وعبد العزيز فهمى أقوى شخصيتين مصريتين عرفتهما فى حياتى حتى الآن ، ولا يقارن بهما أى مصرى آخر فى مصر إلا رجحت كفتلها واثبتت المقارنة الفضلية هذين الرجلين ، وامتيازهما البارز على كل من عداهما •

والعجيب أنى أحبهما حبا جما رغم ما بينهما من تفاوت فى المذهب ، واختلاف فى النظرة وفى السياسة •

ان أوجه الشبه بينهما كثيرة :

فكلاهما ذكى مفطر فى الدكاء ، فصيح اللسان بليغ البيان الى أقصى درجات الفصاحة والبلاغة •

وكلاهما صريح لا يتردد فى التعبير عن رأيه والدفاع القوى عن وجهة نظره • ولعل سعدا أصرح وأقوى منه •

وكلاهما قوى الشكيمة قوى الشخصية عنيف الكفاح ولعل سعدا أقوى وأعنف ••

وكلاهما محام بارع ضليع درس القانون وثفقه فيه وتعمق ، ولعل عبد العزيز فى ذلك المحق •

وكلاهما حاضر البديهة شديد السخيرية فتاك المنطق عظيم الاعتداد بنفسه وهما فى ذلك فرسا رهان •

وكلاهما مناقش لا يمل ، ومجادل لا يكل ، ومحاور مداور بالمنطق المتين والعقل المكين ، ولا يلين ولا يستكين •

وكلاهما متعصب لرأيه لا يحيد عنه قيد أنملة ، حبه للاقتناع اضعاف اضعاف استعداده للاقتناع •

وأوجه الخلاف بينهما قليلة العدد : ولكنها كبيرة فى الوزن والشان والخطر وبعد الاثر •

فسعد خطيب مصقع يهز المنابر • ويؤثر فى النفوس أبلغ تأثير ، فى المتعلمين وال جماهير على حد سواء ، وعبد العزيز فهمى لا يسمو الى هذه المرتبة بل هو دونها بمراحل فليس له سمته ولا صوته ولا روعته •

وسعد زعيم أمة وصاحب رسالة ورئيس رجال ثورة واسمه
يفعل في مصر مثل السحر وزيادة ، وعبد العزيز فهمى زعيم أغلبية
من أعضاء الوفد .

وسعد يرفض مشروع ملنر وينادى بالتحفظات ويتمسك
بالاستقلال .

وعبد العزيز فهمى يقبل مشروع ملنر ويستخف بالتحفظات
ويعتبر الاستقلال محالا فى الظروف الراهنة .

وسعد يريد تحقيق ما يريد تنفيذا للتوكيل الذى حصل عليه
من الأمة ، فيجد فى عبد العزيز فهمى وأصحابه وعدلى العقبة
الكاداء والصخرة الصماء .

وعبد العزيز فهمى يريد تحقيق ما يريد فيجد فى سعد المارد
الذى يستحيل التغلب عليه .

من هنا نشأت الكراهية بين هذين الرجلين العظميين .

كلا الرجلين العظميين النابهين (سعد زغلول وعبد العزيز
فهمى) يريد التخلص من صاحبه اللدود اللجوج حتى يخلو له
الجر فيحقق ما يريد ، ولكن ليس الى الخلاص من سبيل حتى الآن .

حديث الرئيس مع عبد الملك حمزة واسماعيل كامل

١١ من ديسمبر :

حضر لزيارة الرئيس صباح اليوم عبد الملك حمزة واسماعيل
كامل ، وبعد خروجهما مرا بمكتبى وبقيا معى نصف ساعة .
وعرفت منهما أنهما من رجال الحزب الوطنى ولا يعجبهما حال
الوفد ورجاله . وفى أثناء تناولى الشاى مع الرئيس فى الساعة
٣٠ رء بعد الظهر سألته عما وقع فى نفسه من أمرهما فقال الرئيس :

« ان الشك يخامرنى فى أمر هذين الشايبين لانى مع كونى
أطلعتهما على كثير من الأدلة الكتابية وغيرها التى تزل على ضعف
عدلى واستخفافه بالاهداف الوطنية ، وميله الى تعصيد ملنر ،
فأنهما لم يتأثرا ، واستمرا يتكلمان عن ضرورة الاتفاق معه رغم
الفوارق السالف ذكرها » .

ثم سكت الرئيس فى حزن بالغ وبعد قليل استأنف كلامه فقال :
« لقد تكلمت معهما طويلا ، وقلت لهما ليس من الغريب بأن
أعارض المشروع الذى ينسب الى ملنر ، وأن يدافع عدلى عنه ،

ولم ينسبه أحد اليه • وقلت لهما ان عدلى ضعيف جدا ، ولا يمكن ان يركن اليه فى مهمة تقضى صداما وكان يروج أفكار ملتر عندما ، بدل ان يروج أفكارنا عند ملتر •

« ومع ذلك فانهما لم يتاثرا وسكتا •

« ثم قلت لهما فى كمد وضيق ظاهر ان زملاى الدين كان من المنتظر ان يكونوا معى فى خدمة قضية الاستقلال يريدون اليوم ابعادى عن المفاوضات المقبلة • ولكنهم لا يجراون على التصريح بذلك خشية ان ينكشف امرهم امام الامة ويظهروا على حقوبتهم مؤيدين للمشروع فتلفظهم الامة وتلبسهم ثياب العار والشنار • قلت لهما ذلك ، ومع ذلك لم يتاثرا او على الأقل لم يظهر عليهما التأثير الذى كنت انتظره واثرا السكوت والاطراق •

« فلما سالتهما رايهما صراحة قال احدهما ان الحالة محزنة ، وقال الآخر يجب عمل الممكن والمستحيل لتلافى وقوع أى انقسام فى الامة او فى الوفد • فقلت : « وماذا تقترحان ؟ » فعجزا عن الجواب ، فقلت لهما : « ارجو ان تفكرا فى الوسيلة والسبيل لتحقيق استمرار الوحدة وتلافى الانقسام ثم تشرفانى بزيارة اخرى لاعرف منكما الجواب » •

فوعدا بذلك وانصرفا ..

الاعتراف التاسع عشر

١٢ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

دخلت على الزعيم سعد صباح اليوم ومعى كالعادة ما ترجمته الى العربية عن المنشور فى الجرائد الانجليزية (التيمس والوستمنستر جازيت والديلى هيرالد) عن « الازمة القطنية فى مصر » فوجدته مكبا على الكتابة بيده ، وهذا نادر جدا ، لانه لا يحبه ويفضل ان يملى على ما يريد تسجيله كتابة او يريد ارساله الى من يختار ويشاء •

فلما استقر بى الجلوس دقيقة رفع رأسه والتفت الى وقال :

« هل تريد ان تعرف ماذا اكتب الان ؟ » • وعقل الرئيس فى التفكير اسرع من يده فى التحرير •

قلت : « اذا اطلعنى عليه كان ذلك منك تفضلا كبيرا » .
 فقال : « اذن فاسمع بعض خوالج نفسى . وقرأ على ما يأتى :
 « عجب امرى ، اكون رئيس أمة بأسرها وجميع ابنائها يمجدون
 اسمى ويعظمون قدرى ، ويشيدون بذكرى ، ويهتفون بحياتى ،
 ويهتزون لكلماتى ، وينفذون رغباتى ، ولا أجد فيمن حولى من
 اضطفيه الا من بعد عنى فيوافينى وأوافيه . غريب جدا أن يكون
 أغلب من يجتمع بى ويشهد قريهم منى أبعد الناس عن موافقة رأيى .
 ولقد كثرت ملاحظتى لهذه الحالة ، وطال بحثى عن سببها وما
 اهتديت اليه . فحصدت نفسى فحصا جيدا لاقف فيها على ما ينفرد
 الغير منها وما يعميه عما يصدر عنها فوالله ما عرفته . وأعتقد
 تمام الاعتقاد أن هذا الفحص كان فى غاية الاخلاص وبقصد الوقوف
 على حقيقة الامر حتى أعمل على تلافيه ، لان الغاية التى أرمى
 اليها هى المصلحة العامة ، والوسيلة اليها هى كل طريقة تكون
 شريفة » .

اثر الاعتراف فى نفسى

تأثرت غاية التأثر من هذا الكلام الصادر من أعماق أغوار
 قلبه . ونظرت اليه فوجدته ساهما مطرقا فى كمد ظاهر ، وفى
 حيرة لا يعرف الخلاص منها . فآثرت السكوت . وماذا عسائ
 أن أقول وأنا فى حيرة مثله ؟ أن قلت إنه على حق فى دقة بحثه
 وفى فحصه وتحليله وتعليله لخوالج نفسه ، كان ذلك غباء منى
 لانى بذلك أقرر أنه على صواب فى رأيه من أن البعيدين عنه
 يحبونه ويوافقونه ، والقريبين منه يكرهونه ويخالفونه .

وان قلت إنه على خطأ ووهم ، كان ذلك استعلاء منى وكأنى
 أدرك للأمور وأكثر فهما لها وأنفذ بصيرة منه . ومعنى هذا ايضا
 أن البعيدين عنه والقريبين منه على السواء فى حبه وتقديره
 والاعجاب به ، وهذا ما يخالف الحقيقة والواقع .

لم أجد كلاما أقوله فسكت ، ولم يجد سعد غير الحسرة والكم
 فسكت .

ولكن السكوت اذا طال كان مزعجا للأعصاب ، فنطقت بكلام
 على البديهية ومن غير سابق تفكير . فقلت : « يا سيدى لا تتشام

ولا تحزن • ماذا يضربك اذا خالفك عشرة أو مائة ووافقك وأحبك الملايين ، انت زعيم أمة فمن الطبيعي جدا أن يكون لك حساد وكارهون » .

فأجاب الرئيس : « يا كامل انت لم تفهم قصدي ، ان المسألة ليست مسألة عددية حسابية بين الموافقين والمخالفين ، وانما المسألة ظاهرة نفسية : القريب مني يخالفني وقد أنفر منه وينفر مني ، والبعيد عني يوافقني ، فنتزامل ويصطفيني واصطفيه » .

« اجد الراحة والطمأنينة مع البعيدين ، واجد المتاعب والضيق مع القريبين • لا شك ان في النفس البشرية عيوباً كامنة فيها ، وأريد الاهتداء اليها ، والخلص منها فأريح وأستريح » .

أى والله ما أصدقته وما أنفذ نظره ، ما أرهف حسه وأدق بصره .
أثرت السكوت لان الله لم يفتح على بكلام مفيد فى هذه اللحظة .

والسكوت من ذهب أحيانا عندما يصعب على المرء الكلام الصادر عن روية وتفكير .

واستمر سكوت الرئيس وأطرقه : اطراق الفيلسوف المفكر ، لا اطراق الخائر الحائر .

ثم قفز الى لسانى سؤال أماط اللثام عن بعض النواحي :

قلت : ((ان أنصار عدلى من أعضاء الوفد مفهوم أمرهم ، فهل صدر من أحد أنصارك شيء يريبك أو يكدرك ؟)) .

الاعتراف العشرون

فقال الرئيس سغدد : ((عندى كثير مما لا تعرفه • ومما أكتمه على مضض •

((فواصف غالى سريع الانفعال عظيم الكبرياء •

((وسينوت حنا رجل خطر وداهية •

((وعلى ماهر ميال للمسألة ولكنه يكثر من انتقادى ولا يوافق على شيء فى صراحة ، فهو مسالم مساوم ويجب إمساك العصا من الوسط •

((ولا ينبغي لى أن أعول على مثل هذه الحال ودوامها من المحال))



واصف غالى



عبد العزيز فهمى

لم أدهش لشيء لما قاله عن واصف غالى ، لانى كنت أعتقد حتى هذه اللحظة أنه أشد الناس ولاء له وإخلاصا ، وأنه أعظم الناس هدوءا وتواضعا .

رأى الرئيس فى واصف غالى

فقلت : يظهر يا باشا انى لا أفهم الناس على حقيقتهم ، وأن الظواهر ما زالت تخدعنى ، كل شيء ممكن ومحتمل الا واصف غالى ، فهو عندى أقل الناس طمعا وأكثر الناس تواضعا ولا أعرف بين المصريين من هو أكثر منه وداعة ورقة وأدبا وإخلاصا وتفكيراً . وهو الى الفيلسوف أقرب منه الى الرجل العادى .

فسكت الرئيس وأطرق كعادته ، وفكر وأطال التفكير ثم قال :

((واصف غالى متواضع فى كبرياءه . ساكن فى حركة . شديد الحساسية . قوى فى عاجز ، ماهر فى بساطة ، قليل الكلام ، كثير التفكير ، واسع الخيال ، بليغ القلم والبيان ، متسامح فى متعصب ، وعنده فى نفسه أحسن رأى)) .

هنا فقط أدركت مبلغ حيرة الرئيس وعزلته ووحشته .

وهنا فقط أدركت مدى خيبة أمله فيمن حوله من الانصار .

وهنا فقط أدركت مصدر حرجه وكمدته وسر رغبته فى البحث والتنقيب عن الحقيقة فى طوايا نفسه وفى خبايا أعماقه ، عسى أن يهتدى بعد البحث والدرس والتنقيب عن العيب الكامن فى نفسه فيصلحه فينصلح الحال .

ولكن الرئيس الحائر عاجز عن الاهتداء وهذا سر أساء ومصدر بلواه .

معركة كلامية بين عبد العزيز فهمي وسعد

١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

صحوت اليوم والجو بارد شديد البرودة ، على أنى ما كدت أترك البانسيون فى طريقى الى مقر الوفد فى الساعة الثامنة والنصف صباحا حتى واجهت بردا لا عهد لى به ، فهذه هى ((صبارات الشتاء ، وعنبراته)) كما يقول العرب . وقد نزل الثلج بغزارة أمس وأول أمس كاللطن المندوف أو العهن المنفوش ، وكسيت أسطح المنازل والابنية والشرفات والشوارع بطبقات ثلجية بيضاء تسر الناظرين .

واليوم تهطل الامطار وتدوى الريح ، وبوارق الرعد تخطف الابصار ، والسماء تتكاثف غيومها تارة وتمزق ، وتومض تارة أخرى ، والسكوت شامل لا يعكره غير حلبة الرعد وخشخشة المطر وهو ينهمر على الدوافد والشرفات ، ولكن هيهات هيهات أن تملأ الطرقات .

وفى الساعة العاشرة صباحا حضر محمد على طلوبة الى مقر الوفد ، وسألنى عما فى جرائد لندن هذا الصباح فقلت : ((فيها صفحة كاملة عن الالعاب الرياضية ومبارياتها فى التنس وكرة القدم والرجبى ، وليس فيها سطر واحد عن مصر والسودان ، ولا عن سعد أو عدلى ، أو المحاكمات العسكرية الجارية فى مصر هذه الايام)) .

وهنا حضر عبد اللطيف المكباتى وعلى ماهر وعبد العزيز فهمي ومحمد محمود ، ثم وافاهم حمد الباسل وسينوت حنا ، حتى اذا وصل الزعيم سعد زغلول جرى حديث شامل أبرز ما فيه ما وجهه عبد العزيز فهمي الى الرئيس سعد عندما قال .

((أسقطت يا سيدى من حسابك ومن تفكيرك أمورا أربعة على أعظم جانب من الأهمية :

- ١ - قوة بريطانيا الهائلة ونفوذها الطاغى وسلطانها الواسع بعد أكبر انتصار أحرزته فى تاريخها وتأثيرها فى الدول جميعا .
- ٢ - ضعف مصر الهائل وسيطرة الانجليز عليها سيطرة تامة شاملة .

٣ - عدم وجود المعين لمصر فى أية دولة فى الارض ، ومصر فى عزلة تامة .

٤ - ان مشروع ملتر مفيد لانه على الاقل ينقذ مصر من حالتها الحاضرة التعسة الشنيعة ويمنحها شيئاً من القوة والقدرة على استئناف الجهاد والقيام بشورة فى المستقبل)) .

فأجاب سعد فى احتقار ظاهر :

((كيف يجوز لك أن تزعم أنى أسقطت كل هذا من حسابى وتفكرى . أنت تتكلم فى بديهيات بعضها ظاهر وبعضها مضال ، انما أنت واخوانك الذين أسقطتم من حسابكم ومن تفكيركم أمراً واحداً على الأقل وهو على أعظم جانب من الاهمية والخطورة وبعد الاثر . وهو ((ان فى أعناقكم أمانة ، وهى السعى والجهاد للحصول على الاستقلال التام . وليس لكم أن تقبلوا أول شيء أو أى شيء يعرض عليكم مادام أنه دون الاستقلال بمراحل . أنتم تتلمسون المعاذير ، وتستطيرون طريق الجهاد وتريدون خيانة الامانة عن عهد وسبق اصرار)) .

وهنا ضج الاعضاء بالغضب وقال عبد العزيز فهمى : ((ياريس ، حاسب فلسنت أنت الوطنى الوحيد الذى أنجبته مصر)) .

فقال سعد فى انفعال : أنتم تفضضون وتثرون لانى وصفت أعمالكم وسلوككم بالافصاف الصحيحة ، ثم تعجبون لغضبى وثورتى على أعمالكم نفسها ، وعلى سلوككم الشاذ)) . فاضطربت الجلسة ، وخرج عبد العزيز فهمى ساخطاً فخرج الاعضاء وراءه وانتهت الجلسة .

وفى المساء نزلت كالعادة بعد العشاء الى كافيه فوكيه ، وبعد قليل حضر محمد على علوية وجلس معى ثم قال : ((أرايت يا استاذ كامل هذا الاسلوب فى المناقشة والمعاملة ، ان سعد باشا يرمى فى وجوهنا أشنع التهم ويستخدم أقسى الكلمات والعبارات . وينتظر منا أن نحتمل كل ذلك ونسكت عليه ، بينما هو لا يحتمل منا حتى مجرد ذكرنا للحقائق كما نراها ، ولا يحتمل منا أخف الكلمات والعبارات حين نصف البواعث والملابسات لتصرفاتنا ، هل يرضيك هذا ؟))

واستطرد صاحبى وقال :

((خذ مسألة أخرى . كتب واصف غالى مقالة فى مجلة فرنسية

حلل فيها مشروع ملنر واعتبره حماية سافرة حقيقية ، واستقلالا لفظيا مزيفا • ولا شك أن المقالة موحى بها من سعد باشا بدليل أنها نشرت في اليوم التالي في جريدة الديبا •

((وبعد يوم واحد من نشرها أقام الرئيس مأدبة غداء في فندق الكونتنتال للمسيو ديناليس رئيس تحرير جريدة الديبا وحضرها جميع أعضاء الوفد ، وأعلن الرئيس في صراحة أنه موافق على كل ما جاء في هذه المقالة ، هذا مع العلم بأنه يعارض أشد المعارضة في مبدأ أن للأعضاء الحق في الإدلاء بأحاديث للصحف أو كتابة مقالات في الجرائد والمجلات وهكذا يكيل بكيلين •

((ينتظر منا أن نقبل كل ما يرضى عنه ويهواه •

((ولا يقبل منا أقل اعتراض أو مخالفة •

((فهو ينتظر الكثير • أكثر مما نحتمل ، ولا يحتمل منا القليل وهو أقل ما ننتظر))

وهنا سكوت صاحبي •

فقلت هذه ((هذه أروع خاتمة ومن يدري فلعلها كلمة الحق قد خرجت من لسانك في هذه الخاتمة البديعة • وإن فيها سر المتاعب والبلاء • فاشتبط صاحبي بما قلت وافترقنا بسلام وقلت لنفسى حذار أن تصغر انسانا في عين نفسه بكلمة جارحة أو نظرة ساخرة أو فعل ينم عن استخفافك بشأنه •

الفصل الثانى

سعد يقول : لا أثق فى أعضاء الوفد

باريس فى ١٩ من ديسمبر :

ورد اليوم تلفراف بالشفرة من مصر بامضاء مصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى وهذا نصه :

((ان الحكومة الحاضرة تبذل جهودها فى استمالة الامة الى السلطات بكل وسائل الترغيب والترهيب واحضار الوفود من الاقاليم لزيارة قصر عابدين ، وفى البلاد تيارات قوية استعدادا للدخول فى مفاوضات رسمية ، وعلى رأس العاملين لذلك محمود سليمان باشا وأولاده وليفى من أعضاء اللجنة المركزية ، ولاخبار الانقسام فى الوفد أسوأ الاثر فى الامة نرجوكم تلافى الانقسام ، وانتهاز فرصة المفاوضات الرسمية بما يليق مع الكرامة والشرف)) .

ما كدت أفرغ من حل رموز هذه البرقية وما كاد الرئيس يطلع عليها حتى قال فى غضب :

((انهم يقدمون الى النصيح والارشاد مع علمهم بكل التفاصيل الخاصة بالمفاوضات التى كانوا شهود انقطاعها ، وهم اما جاهلون بحقيقة الخلاف والانقسام فى الوفد ، واما عارفون ولكنهم عاجزون عن تقدير الاحوال قدرها . وهنا يستوى الجهل والمعرفة وكنت أدري أيهما شر من الآخر)) .

وكان حاضرا مع الرئيس كل من عل ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، فحاولوا التماس الاعذار لاصحاب تلك البرقية ، فازداد الرئيس غضبا ، وبعد انصرفهم قال لى الرئيس :

((ان عجبى من هؤلاء الثلاثة لا يقل عن دهشتى من أولئك الثلاثة))

أصحاب البرقية ، ولا يدري إلا الله مقدار ما فعله في نفسى هذه التصرفات ، وهذه الصغائر . وأنا الآن بين أعوان أكثرهم مشاكسون يخالف مبدؤهم مبدئى ولا يصدر منهم إلا كل تعطيل للعمل ، ونحن أمام خصوم أقوىاء أشداء نهائين للفرص)) .

خطاب من عدلى باشا

٢٠ من ديسمبر :

ورد خطاب من عدلى يقول فيه :

((انه وجد البلاد في حالة عسر شديد ، وأن الوزارة الحاضرة تسير على سياستها القديمة من الارهاق والاعنات ، والحكومة الانجليزية على ما يظهر جاهلة مصير الاتفاق بين الامتين المصرية والانجليزية ، وفي البلاد الآن حركة شديدة بعضها ظاهر وأكثرها خفى للتأثير في رأى العام وتوجيهه وجهات أخرى)) .

فلم يشأ الرئيس أن يرد على هذا الخطاب بخطاب منه ، وبعد تفكير وتردد فضل أن يرسل اليه برقية موجزة هذا نصها :

((كل البرقيات الواردة الى من شتى الجهات تدل على روح عالية في البلاد ، وأن الانجليز لا ينبغي لهم أن يجهلوا ان الامة لا تقبل أى اتفاق يؤيد الحماية أو لا يحقق الاستقلال)) .

ولا يغالجنى شك في أن هذه البرقية لطمة لعدلى سيشعر بعدها بشيء من الحق أو الضيق ، ولهذا حملنى فضولى الى سؤال الرئيس وأنا أتناول الشأى معه : ((لماذا فضل ارسال برقية الى عدلى بدل أن يرسل اليه خطابا ردا على خطابه)) فقال : ((ميزة البرقية أنها موجزة ولا تظهر فيها عواطف الانسان وتعبر عن القصد تماما بغير أن تكشف الحالة النفسية ، فضلا عن خلوها من زيف المجاملات والتحيات)) .

مقال في جريدة المورننج بوست !

٢١ من ديسمبر :

نشرت جريدة المورننج بوست صحيفة المحافظين في افتتاحيتها ما يأتى :

((ان الشعب المصرى قد أصبح الآن منقسما على نفسه : فريق يؤيد زغلول باشا ، وفريق يؤيد عدلى باشا ، وبعد أن كان الشعب المصرى كله واقفا خلف زغلول باشا ينصره ويؤيده ويهتف بحياته فإنه ما حدث الآن يعتبر ظاهرة كبيرة المعنى . والملاحظ أن أنصار عدلى باشا أخذوا يتزايدون قوة وعددا وبسرعة تلفت الانظار فى الشهرين الاخيرين ، وأن المتطرفين من أنصار زغلول باشا بدأ نفوذهم فى الضعف . ونجمهم فى الافول ، ولا يمكن أن تنجلي الحالة جلاء واضحا الا بعد الوقوف على رأى الحكومة البريطانية . وقد تنقل مراسل الجزيرة فى الريف المصرى وتحدث الى كثير من الاعيان فوجدهم كما وجد الفلاحين ، غير مباليين بالسياسة وقضية الاستقلال أقل مبالاة ، وأزمة القطن هى شاغلهم الشاغل وهى موضوع أحاديثهم فى الصباح والمساء)) .

رسائل من مصر الى بعض أعضاء الوفد

وحضر فى المساء عدد من أعضاء الوفد لزيارة الرئيس فى مسكنه ، وهم لطفى السيد والمكبائى ومحمد على علوبة ومحمد محمود وعلى ماهر وحمد الباسل وواصف غالى وسينوت حنا ، وبعد ساعة واحدة انصرفوا متفرقين .

ودخلت على الرئيس بعد خروجهم فوجدته مطرقا ظاهر الاسى والكمد ، فلما جلست ليحلى على خطابا ينوى إرساله الى سعيد زغلول بدأ حديثه معى بقوله :

الاعتراف الحادى والعشرون

((انى أصبحت لا أثق بأحد من أعضاء الوفد ولا أعتمد الا على الله ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها)) .

فقلت : ((ماذا جرى . هل رأيت جديدا ؟)) .

فقال : ((أطلعنى بعض الأعضاء على خطابات وردت اليوم من مصر ، أرسلها اليهم أصدقاؤهم وكلها ترسم صورة سوداء تدعو للياس ، فالشعب فى نظر كاتبها ضعيف متخاذل ، والحكومة مستبدة والسلطان أخذ يتنقل فى المديرىات ويستقبل بالحفاوات ، والركود الاقتصادى وأزمة القطن وأخبار انقسام الوفد كلها قد

بليت الافكار ، وما الى ذلك من الهراء والخزعبلات التي يراد منها التأثير في ، وعلى أمل أن أؤيد علنا على ، والجميع هنا يتكلمون بلسان واحد ، ولا فرق الآن بين من كانوا معي على الدوام ومن كانوا مع عدلي حتى الآن . ولا أستبعد أن تكون هذه الخطابات موحى بها من أصحابنا هنا في باريس للتأثير على)) .

فقلت : ((يظهر أن نفس البريد الذي حمل خطاباتهم . قد حمل خطابا من صديقي الشيخ أحمد أمين ، وكنت مترددا في إطلاعك عليه لأنه هو الآخر يرسم صورة قائمة عن الحالة في مصر ولكن من منظور آخر)) .

فقال الرئيس : اقرأ خطاب صاحبك أحمد أمين فاني في حاجة للاستماع الى مصدر لا أشك في إخلاصه ، ولا أشك في الباعث على ارسال خطابه ، كما لا أشك في المرسل اليه .
تلوت الخطاب في تؤدة ووضوح ، وهذا نصه :

خطاب من أحمد أمين

١٥ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

أخي كامل . .

((سلام عليك - سأكتب اليك مهما قصرت في الكتابة الى . . فقد كنت تكتب الى مهما قصرت في الكتابة اليك ، أرجو أن تكون بخير .
استولى على الناس في أيامنا هذه حالة نفسية تشبه حالة اليأس ، وأكثر الناس الما المفكرون راذ يرون أننا اقتربنا الى الغاية وبقليل من الجد والتلاحم ندركه ثم لا جد ولا تلاحم فأسفهم كاسف من يسابق في الجري وقد كان يسبق كل من معه فلما قرب من الغرض أدركه الاعياء فسبقه من كان يتأخر عنه . ويرجع هذا يا كامل الى أسباب ثلاثة على ما أفهم :

١ - جد الحكومة في مناهضة الحركة واستعمال الشدة المتناهية وتضييق القول والفعل على الناس بكل ما أوتيت من قوة ، ومن أكبر مظاهر ذلك التشديد على المديرين بسوق الناس الى السلطان ليظهروا له الولاء فيذهبون الى ذلك مضطرين أو طامعين وينتج من هذا المنظر يأس المخلصين .

٢ - خلو المكان الذي كان يشغله عبد الرحمن فهمي فلم يملأ أحد مركزه ، ولم تقم جماعة بما كان يقوم به وحده ، وقد كان الرجل

في الحقيقة قوة عاملة كبيرة وأهم مميزات العزم والتعجيل بامانة الشر وهو وليد ، وجعله نفسه مركزا للعاملين حوله .

٣ - طبيعة المصري الملل وحبهِ للنتيجة السريعة ، فهو اذا تاجر أراد أن يفتنى دفعة واحدة ، والا لا يتاجر ، وهو في وطنيته ووليد الامس فشانه فيها شأن الوليد .

ما اكثر ما اتمنى أن يتساهل الانجليز فيقبلوا النص على الغاء الحماية ونتخلص مما نحن فيه من الشرور .

في البلد اليوم حركة يراد منها التعجيل في الدخول في المفاوضات قبل النص على الغاء الحماية ولسان القائلين بها محمود عزمي صاحب جريدة الافكار ، ويعرف الناس أن من هذا الرأي عدلى وثروت واسماعيل صدقي وتوفيق دياب ونحوهم ولهم حجج على ذلك خلاصة لا حاجة الى ذكرها ، وقد سمعت انضمام محمود باشا سليمان الى هذا الرأي - لست اؤمن ايمانا تاما بسخافة رأيهم ولكن اؤمن انها ثلثة في الاتحاد .

في هذه الايام يسمى بعض الناس في ضم الاحزاب جميعها الى الوفد وخصوصا الحزب الوطني وهو شيء مفيد لان الحزب الوطني مع أن تاريخه خير منه لا يزال له اثر في نفوس البعض بحكم تاريخه ، فكل شخص نكسبه الى جمهور الامة يزيد من قوتها . اصلح الله الحال وأمد الامة بروح منه حتى لا تفشل في آخر لحظة من جهادها والسلام)) .

أخوك امين

تعليق الرئيس على الخطاب

وقع هذا الخطاب في نفس سعد موقعا اليما ، وكان مظهر الالم في نظرائه ، لا في كلماته ، وفي سكوتهم وعدم اشرافه ، لا في تعقيبهم وانطلاقه .

ثم التفت الى بعد قليل وقال :

((لا شك أن في مصر أزمة قطنية وازمة اقتصادية ، وللانجليز يد في هذه وتلك لانهم يشترون عادة ثلاثة ارباع القطن المصري

وبالاسعار التى يحددونها هم ، وهم يسيطرون على الحالة الاقتصادية فى البلاد تمام السيطرة ، فإذا كفوا أيديهم عن الشراء أو هبطوا بالاسعار الى الحضيض وقعت أزمة قطنية لا محالة وصاحبته فى الحال أزمة اقتصادية . هذه احدى وسائل الاستعمار وحيله الشيطانية لكى يبلبلوا الافكار ويصرفوا الناس عن التفكير فيما هو أجدى وأنفع وهو الحياة العزيزة الكريمة فى ظل الاستقلال الذى لا تجوز فيه هذه الحيل والالاعيب ، والمسألة الآن مسألة صراع بيننا وبين الانجليز فى ميدان آخر : الميدان الاقتصادى الى جانب الميدان السياسى ، ويجب أن يفتن المصريون الى ذلك ، ويدركوا الحقائق على وجهها الصحيح . أما القلق والضيق والشكوى والتظير والالام فهى مظاهر تدخل على قلوب الانجليز السرور أقصى السرور . وتشعرهم بانهم نجحوا فيما هدفوا اليه وهو تدوين المصريين وصرفهم عن قضية الاستقلال ، وأنا من ناحيتى لا أعتقد أنهم سينجحون فى هذا السبيل ، وما أنا من المنتظرين ولكنى من المؤمنين)) .

فقلت : ((اذن هذه أزمة مفتعلة خلقها الانجليز خلقا لينالوا بها مأربا فى الازمة السياسية ، هذه حقائق رائعة وسابغها الى صديقى الشيخ أحمد أمين فورا ، وأنا واثق من أنه سيعمل عل نشرها فى الصحف وفى المجالس بعد التوسع فيها والتعليق عليها)) .

فأجاب الرئيس : حسنا تفعل .

ولم تمض ساعة واحدة حتى فرغت من تحرير خطاب الى صاحبى بكل هذه المعانى .

برقيات احتجاج من مصر بمناسبة ذكرى اعلان الحماية

٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

فى اليومين الاخرين تسلم الرئيس عددا كبيرا من البرقيات الواردة من مصر ، وكلها تحمل الاحتجاج الشديد بمناسبة ذكرى اعلان الحماية البريطانية على مصر فى ١٨ من ديسمبر سنة ١٩١٤ ، واكثرها يحمل الموافقة على خطة الوفد فى تشبته بعدم الدخول فى أية مفاوضات رسمية قبل النص على الغاء الحماية . وقد اغتبط الرئيس بذلك أشد اغتباط ، ومما زاد فى اغتباطه وانعاشه أن أمثال هذه

البرقيات أرسلت الى لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية . وملنر
والجرائد الانجليزية الكبرى ، وقد نشرت بعض الجرائد الانجليزية
خلاصات من تلك البرقيات وهذه الجرائد هي (التيمز والديلي
نيوز والوستمنستر جازيت والمورننج بوست والديلي هيرالد) .

خطاب من سعد الى ملنر

واليوم أرسل الرئيس سعد خطابا الى ملنر يلفت نظره الى أهمية
هذه البرقيات وختمه بتهنئته بعيد الميلاد .

ثلاثة خطابات من مصر . .

٢٤ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

تسلم الرئيس اليوم ثلاثة خطابات من مصر : من مصطفى النحاس
وطاهر اللوزي وسعيد زغلول وكلها تنطوي على شيء غير قليل من
القلق والسخط لان السلطان أصبح كثير التنقل الآن في المديرية،
والايعان والفلاحون ملزمون باستقباله استقبالات حافلة بالزيينات
يرفعونها ، والتهافتات يرسلونها عالية مدوية، والمدير الذي يعجز عن
أرسال الوفود الى سراى مايدين لدعوة السلطان الى زيارة مديريته
لايرضى عنه ، وقد رفت فعلا أحدهم وهو قطرى باشا مدير
الدقهليه ومين بدله وكيل الداخلية .

ويظهر أن وزارة توفيق نسيم طويلة العمر وليس في نية الانجليز
حتى الان حملها على الاستقالة ، ويقولون في خطاباتهم ان الاشاعات
رائجة بأن وزارة توفيق نسيم هي التي ستتولى اجراء الانتخابات
وايجاد هيئة يقال عنها انها تجمع ممثلي الامة الحقيقيين ، وهؤلاء
يقبلون مشروع ملنر على علانته وبهذا تقبل الامة الحماية ، ويسقط
الوفد بحجة أنه أقل تمثيلا من هذه الهيئة الملفة التي يراد خلقها
على صورة تمثيلية وبمؤامرات شيطانية . يتنبأ بذلك كثيرون في
مصر ويزعم كثيرون من أنصار عدلي أن السبب الوحيد لهذه الحالة
التعسفة هو أن الوفد أو بعارة أدق (الرئيس سعد) قد أعلن
صراحة أنه لا يؤيد أية وزارة تدخل في مفاوضات رسمية قبل الغاء
الحماية ، وان هذا هو السر في أن الانجليز لا يفكرون الآن في
طرد توفيق نسيم من الحكم واقامة وزارة برياسة عدلي .

هذا وقد جاء في خطاب مصطفى النحاس أن الرقابة منعت نشر شكر الرئيس للامة على ما اظهرته من الوطنية الطاهرة الصادقة الدافقة ، بالبرقيات التي ارسلتها الى جميع الجهات المختصة احتجاجا على بقاء الحماية وبمناسبة ذكرها الاليمة . وتأييد الوفد في قراره الذي يقضى بعدم الدخول في أية مفاوضات رسمية قبل أن تقبل التحفظات وفي طليعتها النص على الغاء الحماية .

٢٥ من ديسمبر ١٩٢٠ :

اخبرني الرئيس في اثناء تناولي الشاي معه ، انه تناول الفداء مع حمد باشا الباسل ومحمد محمود باشا وعبد اللطيف المكباتي ، وكانوا يظهرون له كثيرا من الاحترام والتزلف على غير العادة ، وزعموا جميعا انهم اصبحوا من رايه ومذهبه بالنسبة لمقاطعة المفاوضات الرسمية ما لم تقبل تحفظات الامة سلفا ، وان حمد الباسل قال له بعد انصراف صاحبيه : ((ان فيك صفات باهرة لا توجد في غيرك ، ولا يمكن لاحد انكارها)) . فشكره الرئيس على تحيته وأن كان قد اعتبرها لونا من الملق والدعاء .

الامير يوسف كمال يقيم

مادة فداء لعدي

٢٦ من ديسمبر :

قرأ الرئيس في بعض الجرائد المصرية التي وصلت صباح اليوم خبرا لفت نظره وهو منشور في جريدة الاهرام الصادرة بتاريخ ١١ من ديسمبر ويتلخص في أن الامير يوسف كمال سيولم وليمة فداء غدا أي في يوم ١٢ من ديسمبر تكريما لعدي بمناسبة عودته الى مصر ، وأنه قد وجه الدعوة لحضور هذه الوليمة الى فتح الله باشا بركات ومصطفى النحاس وغيرهما ، وفي اثناء تناولي الشاي مع الرئيس بعد ظهر اليوم تحدث الى في شأن هذا الخبر . وقال :

((أنا لا استبعد أن تكون لهذه الوليمة علاقة بالبرقية الشفوية التي ارسلها الى مصطفى النحاس وحافظ عفيفي وويصا واصف بتاريخ ١٩ من ديسمبر . واغلب الظن عندي أن هذه الوليمة ان لم

تكن مدبرة لاستمالة البعض ، فان هذه الاستمالة لا شك واقعة
او انها ستكون من نتائجها المنتظرة)) .

وبعد ان سكت دقيقة في اطراق وتفكير ، قال في شئ من المرارة:
((ان استمرارى هنا مع كون من معى أغلبهم ضدى ، ضرب من
الحق ولا يترتب عليه أقل فائدة ، بل هو تعذيب لى ، وليست
فيه خدمة للامة)) .

راى سعيد

في الصحافة المصرية

٢٧ من ديسمبر ١٩٢٠ :

فرغ الرئيس من قراءة اكوام الجرائد المصرية التى حملها الينا
البريد أخيراً من مصر ، وفى أثناء تناول الشاى سألته عن رأيه
فيها فقال :

((فى مصر جرائد تخدم الانجليز ومصالح الانجليز ، وهذه
الجرائد قسمان : قسم يستخدمه الانجليز صراحة ، مثل جريدة
الوطن وجريدة المقطم ، ويزودهما الانجليز بالمال وبالاخبار
والتوجيه فيرسومون لهما خط السير فى الكتابة ويحددون لهما
نوع الموضوعات التى تنشر وتبحث ويدافع عنها او تهاجم .
((وقسم يخدم الانجليز ومصالحهم عن غير قصد ، وذلك
بالتطرف فى الطلبات المستعجلة والسخرية بالعاملين المجاهدين ،
ومن هذا القسم جرائد الحزب الوطنى وجريدة الاهالى . وهذه
الجرائد لا هم لها الا مهاجمة الوفد وتقويض ثقة الامة فيه ، واتهامه
يومياً بأنه متهاون فى حقوق البلاد ومقصر فى الدفاع عنها ومنافق
ومخادع ومتقلب فى طلباته من الانجليز وما الى ذلك من الهراء .
((والقصد من كل ذلك تجريح الوفد ورئيسه ومحاولة اسقاط
توكيله بدون ان يتقدم فرد آخر او جماعة للحلول محل الوفد .
فعمل هذه الجرائد هدم لا بناء ، وهل بعد هدم الوفد خدمة
للانجليز ؟)) .

ثم سكت الرئيس دقيقة او اكثر حتى ظننت انه انتهى من كلامه
ولكنه استطرد فقال : ((وفى مصر الآن جريدتان تتناطحان يومياً :
جريدة الاخبار وجريدة الافكار ، الاولى تدافع عن الوفد وخطته ،

والثانية تدافع عن عدلى وسياسته ، يحرق الاولى امين الرافعى ،
ويحرق الثانية محمود عزمى .

((جريدة الاخبار تستنكر الدخول فى اية مفاوضات رسمية
الا بعد قبول التحفظات وبغير ذلك لا تقوم المفاوضات الرسمية الا
على اساس مشروع ملئ وهو مشروع حماية لا مشروع استقلال ،
وترد جريدة عدلى بان هذا التزام بما لا يلزم ، وانه لا ضرر مطلقا
فى الدخول على اساس مشروع ملئ ، ثم العمل اثناء المفاوضات
على تعديله بالتحفظات وما على الامة الا الانتظار فى امل ، فان
نجحت المفاوضات فيها ونهضت ، وان فشلت فان الاتحاد يبقى
سليما بين صفوف الامة ، ويمكن حينذاك استئناف الجهاد ضد
الانجليز .

وتعود جريدة الاخبار فتفند هذا الكلام وتبين ما فيه من
سخف وهراء وتقول : ((ان اصحاب هذا الراى مخطئون)) . . :

((أولا : لانهم يحذرون الدخول فى مفاوضات رسمية على اساس
مشروع ملئ والتحفظات هادمة لكثير من اركان هذا المشروع
وليس من المعقول أن يدخل الانسان على أسس تهدم هذا
الاساس .

((ثانيا : لا معنى لترويج مشروع وفى الوقت عينه اعلان النية
عن تعديله .

((ثالثا : ليس لدى اصحاب هذا الراى وعبد ولا شبهه
وعد يستندون اليه فى الزعم بإمكان قبول التحفظات فيما بعد .

((وتعود جريدة عدلى تتهم اصحاب هذا الراى بالتطرف وسوء
الظن وتطلب التريث وعدم التسرع لان السياسة العملية تقتضى
ذلك وظروف الاحوال فى بريطانيا تستلزمه ، وما الى ذلك من
الخرصلات والمهارات التى تنغمس فيها جريدة الافكار .

((وجريدة الاهالى يوميا تهاجم الجريدتين وتتهمهما بالخداع
والتظاهر بالمشاجرة فيما بينهما والخلاف على مسألة النص على
القاء الحماية ، وتصرخ منادية ((واين باقى التحفظات . وما هى لا
وتزعم متحمسة بأن بقية التحفظات لا تقل أهمية عن مسألة النص
على القاء الحماية ، وأن الوفد أهملها . ثم تهاجم هذه الجريدة
- التى يشرف عليها محمد سعيد باشا - الوفد ورئيسه واللجنة
المركزية والاعضاء الثلاثة الذين عادوا أخيرا من باريس)) .

فسالت الرئيس عن اسم المدير المسئول عن تحرير هذه الجريدة (اى جريدة الاهالى) فقال : ((عبد القادر حمزة)) وهو يكتب بوحى من محمد سعيد باشا ورجاله ، ثم سألته : هل يكتب فى جريدة الاهالى كتاب بارزون تعرفهم ؟ فقال : كثيرون يكتبون فيها مجنونون اشروع ملنر ومروجون لسياسة عدلى ، وفى طبعة من كتبوا اسماعيل صدقى باشا وعبد الحميد بدوى وصالح يونس)) .

لم اشأ أن استمر فى ازعاجه بهذه الاسئلة الصغيرة فسكت . ولكنه اثر الكلام فى مسألة كبيرة فقال : ان مستوى الصحافة فى مصر لم يصل بعد الى الرضا والاطمئنان . وابرز العيوب التى اراها فيها خمسة :

١ - ان بعض الصحفيين لا يمتازون بثقافة عالية ولا هم متخصصون فى موضوعات معينة ، ولكنهم كتاب يجيدون اللغة العربية الى حد ما ، ويعتمدون على ذكائهم أكثر من اعتمادهم على علمهم عندما يكتبون . والاصل فى الكاتب أن يكون استاذ القارئ ينوره ويوجهه ويرشده وما الاستاذ هنا بخير من التلميذ .

٢ - وبعض الصحفيين يميلون الى السرعة فى الكتابة ولا يخفى هذا العيب على كل من له دراية بالاساليب وفن الكتابة . فهو يتبين هذه السرعة فى كل سطر يطالعها لهم ، وكأنهم يعتبرون هذه السرعة دليلا على الذكاء والمهارة والثقة بالنفس ، ويعتبرون الابطاء دليلا على الغباء والجهل وعدم المران . وهذا ضلال كبير اذ عيب السرعة انها تنتج كلاما عاما وكتابة فيها أقل ما يمكن من المعانى فى أكثر ما يمكن من الالفاظ ، وأفكارها سطحية مهوشة لا عمق فيها ولا تركيز ولا يستفيد منها القارئ شيئا يؤثر فى فكره تأثيرا حميدا أو مفيدا . وبعض رؤساء التحرير وكتاب الصحف يفاخرون بانهم يكتبون مقالاتهم فى دقائق معدودات .

ثم استطرد الرئيس فقال : ((أخبرنى مصطفى النحاس أن أمين الرفاعى يكتب مقالاته الافتتاحية كل يوم فى ربع ساعة وحوله ضيوفه وزائروه يتحدثون بأصوات عالية ويحادثهم ويحادثونه فى اثناء الكتابة ، ولا يعوقه هذا عن عمله والفراغ من مقالاته الافتتاحية فى سرعة عجيبة تلفت الانظار . هذا وقد سألت النحاس ((هل أنت تمدحه أو تلمذه ؟)) فقال : بل أمدحه وأعجب به . فقلت له : بل أنت تلمه أبشع الدم ، اذ كيف يستطيع انسان أن

يفكر ويحدد معانيه في تسلسل منطقي سليم ويختار الالفاظ المناسبة التي يجب أن يزنها بميزان الذهب حتى يفتح القارئ ويحظى باعجابه ؟ كيف يمكنه أن يفعل ذلك وهو لا يحصر ذهنه فيما يكتب ، ويظل موزعا بين ما يكتب وما يسمع وفي وسط الضوضاء ؟ .

٣ - ولفيف من الصحفيين يميلون الى النقد . والنقد اسهل انواع الكتابة والكلام ، اذ ما على الفرد الا أن يرى عيبا أو ما يظنه عيبا في موضوع أو مشروع أو انسان وما أكثر العيوب ومظاهر العيوب ، حتى ينحنى عليه في سرعة فائقة وينهال عليه تشنعا وتجريحا ، ويشن صاحب العيب ذما وشتما وسبابا ، والصحفي المصري في هذا الميدان لا يجارى ولا يبارى .

٤ - ومع ميل الصحفيين الى النقد ، فانهم يجهلون فن النقد ، والنقد نوعان : نوع مفيد صالح ولا بد منه ، وهو الانتقاد الموضوعي البناء .

ونوع ضار فاسد ولا خير فيه ، وهو الانتقاد العاطفي الشخصي الهدام .

((بعض الصحفيين يميلون الى هذا النوع الثاني من النقد ويمارسونه على الدوام ، لانه نقد سهل ورخيص ولا يحتاج الى علم أو دراية ، ذلك لان السب والشتم والقبح والبداءة والتشنيع والتجريح ليست في الكتب والمجلدات ، وانما هي تنبع من النفس المصابة بمركب النقص ، والمريضة بالفيظ والحقد وشهوة الانتقام ، والكلمات تنهمر كالطر في خدمة هذه الحالات وهذا يتفق مع السرعة التي يحونها ولا يستغنون عنها . وبهذا يسودون الصفحات الطوال ويعتبرون أنفسهم كتابا بارعين وصحفيين مطبوعين . وهذا الوعي الذي يصنمونه لا خير فيه على الإطلاق ، ولا فائدة منه على التحقيق ، اذ ليس فيه غذاء للعقل وليس فيه تهذيب وتنوير .

اما النوع الاول من النقد وهو النوع المفيد الصالح فهم لا يعرفونه أو لعلهم يعرفونه ولا يميلون اليه لنقص ثقافتهم وعجزهم وقصورهم . ذلك لانه نقدا يستلزم الاسلوب الهادئ العف المذهب الذي يتناول الموضوع وحده فيبين مزاياه أولا ويعلق عليها بكلمة تقدير ، ثم يتناول العيوب والنقائص فيبين ما فيها من خطأ أو اضرار ، ويقترح في الوقت عينه علاجها واصلاحها ويحدد نوع العلاج وطريقة الاصلاح وما ينبغي أن يكون ، ولكن هذا كله يحتاج

الى الوقت والتروى كما يحتاج الى العلم والتفكير وضبط النفس .
وهذا مالا يملكونه ولا يطبقونه ، فضلا عن أنه لا يتفق مطلقا مع
السرعة الخاطفة التى أمتدادوا عليها ويفخرون بها ويتنافسون
فيها .

هـ - وأخيرا ليس لمعظم الصحف مراسلون أكفاء فى الخارج
أو فى داخل البلاد يفدونهم بالانباء الصحيحة والتعليقات المفيدة
ويقدمون الى جرائدهم اقتراحات عملية للإصلاح والتجديد، وأغلب
ما يفعله المراسلون الحاليون القليلون هو الاقتصاصار على ابلاغ
جرائدهم بانباء الجرائم وتنقلات رجال الإدارة وأعمالهم)) .

هذا هو رأى الزعيم سعد فى الصحافة والصحفيين .
أو هذه محاضرة القاها على من فيض الخاطر عنها وعنهم .
ألقاها وكأنه يقرأها من كتاب ، أو يتلوها من مذكرة ، أو
يستعيدها من محفوظات الذاكرة .

ولكنها البداة الملهمة والموهبة المنظمة والعقل الرصين والمنطق
المتين . . والبصيرة النافذة والمقدرة الفذة على حسن العرض
كمثال التحليل والتعليل . .
انه سعد زغلول وكفى . .

خطاب من ملنر الى سعد :

٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

فى يوم ٢٣ من ديسمبر أرسل الرئيس سعد خطابا الى ملنر .
واليوم ورد الرد من ملنر ، فرفع الرئيس خطابه الى لترجمه الى
العربية وهذا نصه :

((عزيزى زغلول باشا :

((أشكرك جزيل الشكر على خطابك غير المنتظر وعلى جميل تهنئتك
لى بعيد الميلاد .

((اننى لست ضعيف الأمل فى الوصول الى نتيجة مرضية ، وانى
عارف تمام المعرفة مدى الشعور القوى الموجود فى مصر أزاء الحماية
ولكنى مع ذلك أعتقد اعتقادا جازما بان معاهدة تبنى على الاسس
التي وضعناها معا ستضع حدا فى الواقع للحماية ، وأما الفناء

الحماية فطرحه الآن عسير ، وهو أشبه بوضع العربية امام الحصان ، ولا أستطيع أن أتصور حكومة بريطانية تستطيع النزول عن الحماية دون أن تعرف بل وقبل أن تتأكد مما سيحل محلها . والزم من كاف حل كثير من المشكلات اذا مهد كل منا طريق التفاهم والصدقة بين البلدين : بريطانيا ومصر .

((واني ابعت اليك باصدق تحياتي وخالص احترامي .

المخلص ملنر

وقبل ظهر اليوم حضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، فاطلهم الرئيس على خطاب ملنر ، واخذ على ماهر صورة منه ليطلع عاينها الاعضاء الآخرين .

اما الخطاب ذاته فقد كان وقعه في نفس سعد غير اليم وغير سار ، بل بين بين ، وهو الى الفتور اميل ، واما وقعه في نفوس الاعضاء الثلاثة فكان مدعاة للتفاؤل وهو الى الغبطة اميل .

سفر الدكتور حامد الى انجلترا :

٣٠ من ديسمبر سنة ١٩٢٠

سافر الدكتور حامد محمود فجأة الى لندن صباح اليوم ، وقد قابلته مصادفة في الطريق فاخبرني بأنه ذاهب الى لندن لان عفشه قد حجز عليه بسبب امتناعه عن دفع ضريبة الدخل وانصرف مسرعاً فضحكت لان هذا كلام غير معقول .

ولما وصلت الى مكتبى وشعر الرئيس بوصولى نادانى فدخلت عليه في حجرته وقال لى انه تسلم خطاباً من مستر بلنت ورفع الى ل ترجمه الى اللغة العربية وهذا نصه :

((عزيزى زغلول باشا :

((لو كنت فى شيء من الصحة والقوة لحضرت بنفسى الى باريس . لاحظى بمقابلتك والتحدث اليك ، ولكنى أصبحت شيخاً منهـمـار الصحة لا اقوى على الاسفار والانتقال فلعلك عاذرى ، وانك لتعرف مبلغ اعجابى بك واجلالى لك ، ومبلغ حبى لمصر وعطفى على قضيتها وجهادها للاستقلال . وقد سبق أن كتبت الى اللورد ملنر خطاباً مطولاً رجوته فيه أن يتساهل فى مفاوضاته معكم ، وأن يعالج المسألة

المصرية بشيء من الكرم والسماحة ، فان مصر قد تعذبت كثيرا ،
وأن لها أن تستريح وتنعم بالعزة وكرامة الاستقلال .

((وقد أرسل الى لورد ملنر رده على خطابي ، واني اكون شاكرا
اذا تفضلت فبعثت الى برسول تثق به حتى اسلمه الخطاب الخاص
الذي وصلني من لورد ملنر وحتى أدلى اليه بحديث ينقله اليك .
واليك يا عزيزي أصدق تحياتي وأخلص تهنياتي)) .

المخلص جدا .. بلنت

وتطوع الرئيس فاخبرني فورا بأنه أرسل الدكتور حامد محمود
الى انجلترا اليوم لهذا الغرض !! وفي الساعة الحادية عشرة صباحا
حضر واصف غالي وسينوت حنا ثم حضر على ماهر بعد قليل واطلعهم
الرئيس على خطاب مستر بلنت .

فاخذ على ماهر صورة منه ليطلع عليه الآخرين من الاعضاء .

الرئيس يطلب

الف جنيه فيرفض طلبه :

٢١ من ديسمبر سنة ١٩٢٠

كلفني الرئيس ان اذهب الى محمد على علوبة أمين الصندوق
واطلب منه مبلغ ألف جنيه فرنكات فرنسية لحاجة الرئيس اليهم
في الصرف على بعض شئون الوفد .

فذهبت ، وقابلته ، وطلبت مبلغ الالف جنيه ، ((للصرف على
بعض شئون الوفد)) .

فسألني : وماهي هذه الشئون ؟ فقلت : لا أدري .. فقال :
انا أرفض اعطاء مبلغ كهذا بغير قرار من الوفد وبغير أن أعلم أولا
مصلحة الوفد في صرف مبلغ كبير مثل هذا المبلغ ، لابد من وجود رقابة
على التصرف في أموال الوفد .

فقلت : « هذا كلام واضح وحاسم ، وما على الرسول الا البلاغ »
وعدت الى الرئيس وأبلغته الخبر مخففا ملطفا اذ قلت :

((ان أمين الصندوق مستعد لصرف المبلغ اذا تفضل الرئيس
بإبلاغه ماهي شئون الوفد الذي سيصرف فيها ، وذلك لكي يأخذ
قراراً من الوفد بالموافقة على الصرف))

فقال الرئيس غاضبا : « لا هذا ولا ذاك » . ثم اتخذ اجراءين حاسمين :

الاول : املى على برقية لارسالها الى ابراهيم سعيد باشا امين صندوق الوفد بالقاهرة ونصها : « أرجو أن تودعوا البنك الاهلى مبلغ خمسة آلاف جنيه باسمى لكى يرسلها الى هنا فى باريس » .

ثم نزلت وارسلت البرقية بنفسى حتى لا يعلم احد سرها ، ولما عدت اليه وجدته مفتظا وقال لى : « لست فى حاجة الى هؤلاء الناس اصحاب الوجوه الكالحة والنفوس الصخرية والافكار السقيمة والعقول العقيمة الساعين الى غير مصلحة البلاد » .

الثانى : كتب الى بنك الكريدى ليونيه بباريس خطابا طلب فيه ان يطلعه على حساب المنصرف من اموال الوفد شهرا شهرا فى الستة الأشهر الاخيرة ، وجورج دومانى هو الذى تولى تحرير صيغة الخطاب وحمله بنفسه الى البنك ، وسيعلم بذلك حتما محمد على علوية لان دومانى لا يستطيع كتمان سر كهذا .

نظرة عامة على حالتنا الحاضرة :

اول يناير سنة ١٩٢١

هذا اول يوم فى العام الجديد ١٩٢١ فلا بد فيه من وقفة ألقى فيها نظرة عامة على حالتنا الحاضرة وأسجل مناصرها وأحاول التنبؤ بمصيرها ، هل هى تتقدم وتتحسن ، أو هى سائرة فى طريق السوء والتأخر .

ان من طبيعة الحياة فى الانسان والحيوان والنبات التغير المستمر والتطور المطرد ، فصحتك اليوم أحسن مما كانت عليه أمس أو أكثر ذبولا . لان الصحة والحياة فى تحول دائم . وهذا النبات أكثر ازدهارا مما كان أمس أو أكثر ذبولا ، والازدهار والذبول فى تحرك مستمر . التغير واقع لا محالة وقد يكون محسوسا ملموسا أو غير محسوس أو ملموس ولا تدركه الابصار . وأما بقاء الحال اليوم كما كان بالأمس أو فى الاسبوع الماضى . فذلك محال .

ولذلك قالوا ((دوام الحال من المحال)) لان التغير والتحول والتطور من قوانين الحياة وطبيعتها الاصلية .

وينطبق هذا تماما على حالتنا الحاضرة فهي سيئة وتزداد سوءا وحادة وتزداد حدة ، ومعقدة وتزداد تعقيدا ، حتى أصبحت أشعر أننا نعيش على خافة بركان ومن فوق رأسى سحب كقطع الليل ، وتحت أقدامى هزات زلزال خفيف . . وبعد قليل يبدأ انفجار البركان وثوراته .

وأهم ما أراه فى عناصر الحالة الحاضرة ما يأتى :

١ - روح الكراهية والخصومة والجفاء والقطيعة قد بلغت أقصى مداها فى نفس الزعيم ونفوس الاعضاء .

٢ - لم يجتمع الوفد مرة واحدة فى جلسة علنية أو سرية منذ أكثر من شهر .

٣ - انقسام الوفد أصبح على ما يظهر نهائيا وحاسما ولا رجعة فيه الا اذا حدث ما ليس فى الحسبان ، كان ينزل أحد الفريقين عن رأيه ، أو يعدل عن موقفه . . ولكن هيهات . .

٤ - انقسام الامة ازداد ظهورا وبروزا بسبب المعركة الجدلية الحامية الوطيس بين جريدة الاخبار السعدية وجريدة الأفكار العدلية .

٥ - نشرت الجرائد الانجليزية اليوم انباء وردت اليها من مراسليها فى القاهرة بأن عددا غير قليل من الأعيان وأعضاء الجمعية التشريعية والمحامين قد خرجوا على الوفد وأعلنوا سخطهم على استمرار الازمتين الوطنية والسياسية فى مصر ، وعلى انقسام الوفد وركود نشاطه وعجزه عن العمل المفيد ، كما أعلنوا رغبتهم فى المفاوضة الرسمية للانتهاء من القضية المصرية .

٦ - الخطابات المتبادلة بين سعد وملنر ومستربلنت وعدم اطلاق الاعضاء عليها الا بواسطة على ماهر لا عن طريق عقد جلسة للوفد .

كل ذلك أوغر سدور الاعضاء وزادهم غيظا وشعورا بأن الرئيس يستخف بهم .

٧ - سافر الدكتور حامد محمود الى لندن ثلاث مرات على حساب الوفد والقيام بنشاط سياسى فى إنجلترا بغير علم أعضاء الوفد

٨ - طلب الرئيس الف جنيه من أمين الصندوق للصرف منها على « بعض شئون الوفد » فلم ينفذ هذا الطلب .

٩ - طلب الرئيس من البنك أن يطلعه على حساب المنصرف من اموال الوفد شهراً شهراً في الستة الأشهر الأخيرة . عمل فيه اشعار بعدم ثقة الرئيس بأمين الصندوق .

١٠ - تصميم اغلبية أعضاء الوفد على العودة فوراً الى مصر وشعورهم بأن بقاءهم في باريس عبث في عبث وشر من العبث .

وبعد العشاء أمس نزلت الى « كافيه فوكيه » فوجدت هناك محمد على علوبة والمكبائي وحمد الباسل ، وبعد قليل قال لي المكبائي في سخرية لاذعة : « ألا تفكر في العودة معنا الى مصر لاسيما انه قد اتضح الآن ان سعد باشا والدكتور حامد محمود فيهما الكفاية لتمثيل مصر والجهد في سبيل الاستقلال » .

فضحكنا جميعاً ، ولكنه ضحك كالبكاء .

ثم حاول المكبائي أن يجرنى الى الكلام في السياسة فقلت له :

يا سيدي .. ألا تريد أن تنعم بجلسة هادئة ، وأن تريح أعصابنا ونحن على أبواب السنة الجديدة ، وما جدوى الكلام في السياسة والخلافات وهي حلقة مفرغة مدوخة ، ألا تريد أن نستريح ونشعر أن في الدنيا جمالاً وفيها ماهو خير من السياسة والمناقشات

ومن عجب ان كلماتي هذه كان لها وقع السحر في نفوسهم فوافقوا عليها بالاجماع وأخذ كل منهم يتحدث عن بعض تجاربه ومتعه في الحياة وكان حديثاً خفيفاً لطيفاً ممتعاً .

وعند الانصراف قال لي صاحبي محمد على علوبة : ((بعد يوم أو يومين سيتسلم سعد باشا خطاباً منا . وقد وجهنا اليه تهمة معينة محددة وسيجد صعوبة في الدفاع عن نفسه)) . فقلت : كان الله في عوننا جميعاً ، وبإلتك ما أخبرتنى حتى أعود الى فراشي .

فقال : ((كن تقرير المين دائماً وانك الفيلسوف والحياة كفاح))

وافترقنا وانصرفنا بسلام ، وفي الحق أني لم أشعر بحزن أو قلق ولكنني شعرت ببعض الانقباض ، والعاقل من يقبل الدنيا كما هي لا أن يفعل لما يجب أن يكون ، وانك مدرك قانون الطبيعة الذي يقضي بالتقدم أو التأخر . التقدم من حسن الى أحسن أو التأخر من سيئ الى أسوأ . أما الثبات على حال فلا تعرفه الطبيعة ، فلا معنى للاسئ والاسف لانعدام الثبات ، واستمرار التغير والتطور هذا هو الحق .

الفصل الثالث

خطاب خطير الى سعد :

١٣ من يناير سنة ١٩٢١

قبيل ظهر اليوم تسلم الرئيس خطابا شديدا للهجة واضمح الخفاء امضاه مرسلوه وهم : عبد العزيز فهمي واحمد لطفى السيد ومحمد محمود ومحمد على علوبة وعبد اللطيف المكباتي وحمد الباسل .

وقد نسبوا فيه الى الرئيس امورا ابرزها غير الخطاب الذي ارسله الى ملنر ما يأتى :

الاول : انه استمر فى المدة الاخيرة السير على « سياسة انفرادية » وانه ممتنع عن استشارتهم فى أية مسألة ، وانه فى حالة اضراب تام عن التعاون معهم وعن المجيء الى مقر الوفد او عقد أية جلسة للوفد منذ اكثر من شهر .

الثانى : انه ارسل الدكتور حامد محمود الى انجلترا ليقابل مستر بلنت ويقوم بنشاط سياسى لا طاقة له عليه . وقد تم ذلك بغير موافقتهم بل حتى بغير علمهم او استشارة احد منهم ، وكان الواجب ان يرسل أحد أعضاء الوفد لانه مسئول عن أعماله امام زملائه وامام الامة .

الثالث : ان الرئيس يتحمل وحده تبعة انقسام الامة على نفسها هذه الايام وذلك بتشجيعه بعض العناصر التى تعمل فى الخفاء وبمحاولاته المستمرة فى اظهار الوفد كانه منقسم على نفسه وليس الوفد منقسما بسبب مبدأ من المبادئ بل الاجماع منعقد بين الاعضاء على ضرورة قبول التحفظات كشرط اساسى لدخول الوفد فى المفاوضات الرسمية ، فاذا لم تقبل رفض الوفد

الدخول فيها أو حتى الاشتراك فيها ، هذا مبدأ مقرر ، وكانت ذلك كفيلا بالمحافظة على وحدة الوفد وعلى اتحاد الأمة ، ولكن الرئيس لا يطبق المعارضة لرأيه ، وهذا لا يتفق مع المبادئ الديمقراطية .

الرابع : ليس لرئيس الوفد وحده أن يرسم سياسة الوفد ويحددها وينفذها بنفسه، وإنما يجب أن يكون ذلك كله بالمشاركة بينه وبين الأعضاء ، وأن تتخذ القرارات بالأغلبية المطلقة . ذلك هو قانون الوفد والعمل طبق لأئحته الداخلية. ولكن الرئيس جرى في المدة الأخيرة على سياسة انفرادية بخالف بذلك مبدأ الشورى .

الخامس : أن الحالة أصبحت لا تطاق وإذا كان الرئيس لا يحدد موعد جلسة قريبة لانعقاد الوفد لكي يتبادل الرأي في الظروف الحاضرة التي تكتنف البلاد ، ولكي يتشاور الجميع فيما يجب عمله لتفادي انقسام الأمة وبلبلة أفكارها وتدهور الموقف السياسي وسير الأمور العامة من سيء إلى أسوأ . فان أغلبية أعضاء الوفد ستري نفسها مضطرة إلى العودة إلى مصر ..

وبهذا ينتهي الوفد كهيئة شعبية عاملة ممثلة للبلاد . هذا الخطاب يحمل في معناه ومبناه ومرماه كل معالم الانداز ومظاهره وتهديداته ، فكيف يكون وقعه وأثره ؟ ذلك مما سأعلمه مساء هذا اليوم نفسه ..

كان عند الرئيس وقت وصول الخطاب على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا فتلاه عليهم الرئيس ، وكانت مظاهر التأثر والغضب بادية عليه ، واستمر اجتماعهم ساعة كاملة ثم انصرفوا للغداء ولبعض الشؤون على أن يجتمعوا مرة ثانية في الساعة الخامسة مساء .

ودعاني بعد انصرافهم فوجدته في أشد حالات الغضب والانفعال ، فدفعت إلى بالخطاب لأطلع عليه ، فقرأته ووعيت معانيه .

مشروع رد أعله الرئيس وعدل عنه !

وبدأ الرئيس يملئ على مشروع الرد الذي يريده وهو لا يخرج عن النقاط الآتية :

١ - أنه مستعد أن يتحمل مسئولية ما فعل وما يفعل في الحاضر والمستقبل .

٢ - أن خطابه الى ملنر لم يكن في حاجة الى الاستشارة في أمره لانه لم يكن في الحقيقة وواقع الامر الا تنفيذا لقرارات سابقة للوفد .

٣ - انه لم يطلب عقد جلسة للوفد ولم يذهب الى مقر الوفد لعدم الحاجة الى ذلك ولان الوفد سبق أن قرر السياسة التي يجرى عليها الان .

٤ - وانه لولا أن ضحى بالكثير مما يعتز به ووطد العزم على تحمل أكثر من ذلك لتأثر بالجفاء البادى في عبارة الخطاب والاسلوب غير العادى من فاتحته الى خاتمته .

٥ - واذا كانوا يريدون اجتماعا فليكن ذلك غدا في الساعة العاشرة صباحا .

هذه خلاصة وافية لمشروع الرد .

ولكن الرئيس ما كاد يفرغ من املائي آخر كلمة فيه حتى عاوده الغضب والهياج وقال : ((هات ما كتبت .. ثم مرقه .. واستطرد قائلا : انا لا اكتب ردا اليهم ، أن هذه اللهجة منهم لا اقبلها بحال من الاحوال فلست موظفا عندهم ولا مسئولا امامهم ولا أرد على من يتهم على)) ثم طلب الى الانصراف للعداء والعودة بعد الظهر كالمعتاد . فانصرفت ... ولم أنبس ببنت شفة ، وأدركت مبلغ الاسى والفيظ والغضب والكمد الذى يعصف بنفسه العصبية وبعد هذا الانذار من أغلبية أعضاء الوفد .

كل هذا كان منتظرا .. توقعته وانتظرته .. فلما وقع لم ادهش له كثيرا .

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا

فلما دهتنى لم تزدنى بها علما .

وفي الساعة الخامسة بعد الظهر حضر على ماهر وواصفغالى وسينوت حنا وكان الرئيس في مكتبه ينتظر مقدمهم .

وكان مكبا على الكتابة بخط يده كأنما كان يعد مشروع رد آخر . والرئيس لا يكتب بيده كثيرا الا اذا أراد أن يحدد بعض النقاط التى يريد أن يتناولها في الحديث أو يريد املاء موضوعها على فيما بعد .

واستمرت هذه الجلسة الرباعية ثلاث ساعات متتاليات علمت في ختامها أن الرئيس وافق على عقد جلسة للوفد في الساعة العاشرة في صبيحة ٥ يناير في مقر الوفد (أى بعد غد) .

ونخرج على ماهر مسرعا ليلبغ أعضاء الاغلبية نبا موعد الجلسة وانفراج الازمة ولكن .. هل انفرجت الازمة ؟ .. لا اظن . . .

اشتدى أزمة تنفرجى !

٤ من يناير سنة ١٩٢١ :

((اشتدى أزمة تنفرجى)) كذا يقول العرب .

وقد بلغت الازمة اقصى شدتها بانذار الاغلبية ، فبدات يوادى الانفراج وكان لابد من قارعة تهر النفوس الى أعماقها فكان الانذار هو القارعة ، ووجد سعد نفسه أمام تهديد ((بانتهاء الوفد كهيئة عاملة ممثلة للبلاد)) انها لمصيبة ، انها لكبة ، انها لمسئولية خطيرة غاية الخطورة !! من ذا الذى يجرو على تحملها والتعرض لنتائجها وعاقبتها ؟ لقد جفل منها الرئيس سعد فيما اعتقد واضطرب لها أشد الاضطراب وأشعر أنه كان حكيما عندما قرر دعوة الوفد الى الاجتماع فى شكل جلسة كسابق العهد . وان تكون الجلسة بعد مرور يوم كامل من ورود الانذار . لا فى اليوم التالى مباشرة للانذار وذلك حتى تهدأ النفوس قليلا ويتاح لها بعض الوقت للتفكير فيما ينبغى أن يقال ومالا ينبغى أن يقال ، عسى أن يدخل على الازمة الحالية الحادة بعض التخفيف والتحسين ، فتنقل من سيئ الى حسن ، بدل أن تنتقل من سيئ الى أسوأ .

ولهذا أرى وأشعر أن هذا الانذار قد أدى أهم اغراضه وهو قرب اجتماع الوفد فى شكل جلسة قد تعقبها جلسات بعد القطعية والجفاء والخصومة الشديدة المرارة والاضراب الكامل .

وفى الساعة العاشرة صباحا حضر وأصف غالى وعلى ماهر وسينوت حنا واجتمعوا بالرئيس وتناقشوا وتداولوا فى موضوع خطاب الاغلبية وكيف ينبغى أن يكون الرد عليه .

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر انصرفوا جميعا وانصرفوا للغداء .

وحضرت مبكرا بعد الظهر عسى أن يكون الرئيس في حاجة الى .
وكانت الساعة الثالثة والنصف ، وقد بكر الرئيس كذلك فخرج
من حجرة نومه الى حجرة مكتبه في الساعة الرابعة تماما . وبعد
قليل دعاني لتناول الشاي معا . كعادته . . فدخلت وفي يدي كتاب
تعمدت أن يلاحظه معي فوضعتة أولا على المائدة بجوار فنجان
الشاي ثم نقلته الى جانبي كاني أدركت خطئي ، فقال الرئيس :
((ما هذا الكتاب)) ؟ (وهذا ما تمنيت على الله أن يسألني عنه)
فقلت : ((هذا كتاب علم النفس فرغت من قراءته منذ نصف
ساعة وهو يتناول التفكير السليم وشروطه ، والتفكير الفاسد
ومظاهره)) .

الرئيس : (هل وجدته مفيدا وجديدا ومرشدا ومنيرا
للطريق ؟))

فقلت : ((أجل انه بديع وقد عزمت على ترجمته الى اللغة
العربية)) .

الرئيس : اذن لخص لي ما ملق في ذهنك من شروط التفكير
السليم ومن مظاهر التفكير الفاسد .

هنا شعرت بالارتباك قليلا لان من السهل جدا أن يلخص الانسان
الحوادث والاخبار ، ولكن من العسير جدا أن يلخص الانسان
الافكار ثم يجب على الا اطليل واسهب ، فان وقت الزعيم وصبره
لا يحتملان سماع محاضرة في هذا الموضوع . فسكت واطرقت
يفكرت لاستخرج من ذاكرتي ما رسب فيها ، وتركت امامي فنجان
الشاي مليئا لا المسه ولا اقربه ولا أنظر اليه . فقال الرئيس :
(اشرب أولا حتى لا يبرد)) . فشكرته وشربته وأنا لا أدري ان
كان شايًا أو حساء أو ماء ساخنا لقد كنت ذاهلا . ثم قلت

للتفكير السليم شروط أربعة أو خمسة :

الاول : هدوء العقل والعواطف : فلا تحمس ولا تسرع ولا
رتباك ولا حرج في أثناء فترة التفكير ، أي لا يكون العقل متحمسا
رغبة شديدة ملحة ولا تكون العواطف هائجة أو جارفة أو
صارقة .

الثاني : الاهتمام بدرس حقائق الموقف والعقبات الموجودة في
الطريق

الثالث : الاهتمام برسم الخطط العملية للتغلب على العقبات
او يرى فيها الخير كل الخير » .

الرابع : تقدير العواقب والنتائج مقدما حتى لا يفاجأ الانسان
بنتيجة لم تكن في الحسبان .

الخامس : الاقدام بشجاعة على تنفيذ ما استقر عليه الرأى
والمشاورة فى العمل للحصول على أحسن نتيجة ممكنة .

فقال الرئيس : « الشرط الاول غير معقول كيف لا يكون
التفكير سليما اذا كان الانسان متحمسا لفكرة غزيرة او مفيدة
او يرى فيها الخير كل الخير . »

فقلت : المؤلف يقول ان المتحمس لرغبة شديدة او المحموم
بعاطفة جارفة ثائرة ينصرف حتما الى خدمة هذه الرغبة وهذه
العاطفة ، ويسعى حثيثا لتحقيق أهدافه منهما ولا يبالي
حينذاك بالامر الواقع ولا بالعقبات ولا بالعواقب والنتائج ،
والتفكير السليم يستلزم التوفيق بين الرغبة والعاطفة من جهة
وهذا الامر الواقع من جهة أخرى ، وهذا عسير او مستحيل
لان الحالة النفسية المنفعلة المضطربة لا تقبل المساومة مهما
تبلغ استحالة تنفيذ الرغبة وتحقيق العاطفة .

فقال الرئيس : « لا .. يفتح الله . هذا كلام غير معقول ، فى
الحياة امور لا تقبل المساومة » .

فقلت : « يظهر يا سيدى أنى أسأت التعبير او أسأت
التلخيص » .

الرئيس : كلا . أنت أحسنت التعبير وأحسنت التلخيص ،
ولكن الفكرة لا تعجبنى فى عمومها ، والآن حدثنى عن مفسدات
التفكير كما قرأتها ..

فقلت : التفكير السليم هو تفكير العقل الهادىء والعواطف
الهادئة والهدوء شرط أساسى ، أما التفكير العقيم فهو تفكير
الهُوى - كما سماه المؤلف - ومظاهره التى تدل عليه كثيرة أخص
بالذكر منها ما يأتى :

١ - أن يقترن التفكير باضطراب النفس نتيجة عاطفة
جامحة جارفة ثائرة .

٢ - الاهتمام المطلق بأرضاء العاطفة المستبدة مهما تكن النتيجة المنتظرة .

٣ - عدم الاكتراث بالعقبات ولا بحقائق الواقع ولا يقيم لها الإنسان أى وزن فى حسابه .

٤ - عدم الاهتمام بالعواقب اكتفاء بما يسمى (أرضاء الضمير) ، وما هو فى الحقيقة الا أرضاء الرغبة الشديدة الملحة او العاطفة الجامحة الجارفة والنزول على حكمها دون غيرها .

٥ - مقابلة الفشل عند ظهور النتيجة بالشكائم والسباب والانفعال .

٦ - اعتبار العقبات والفشل من مكائد ومؤامرات الاعداء والخصوم والكائدين .

٧ - استمرار الشكوى والانفعالات والشكائم بدل القيام بعمل حاسم .

هذا هو تفكير الهوى وهو تفكير فاسد ، وهذه مظاهره التى تفضحه وتدل عليه ..

فقال الرئيس : « بعض هذه المظاهر مقبول ومعقول ، وبعضها مرفوض ومنقوض ، وبعضها مرضة للمناقشة وفيه قولان » .

وهنا دخل واصف غالى وسينوت حنا وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر ، فحمدت الله على وصولهما وشعرت اننى خرجت من امتحان عسير .. ثم وصل على ماهر ف عقدت جلسة من الاربعه لاستئناف مباحثات الصباح ، واستمرت حتى حوالى التاسعة ليلا .

الجلسة الاولى للوفد بعد خطاب الاغلبية

٥ من يناير ١٩٢١ :

سحوت مبكرا هذا الصباح فى الساعة الخامسة بدل الساعة كالعادة ، وظللت أفكر فيما فعلت أمس هل أنا أحسنت أم أسأت بحديثى أمس مع الرئيس ؟

وفى الساعة الثامنة والنصف كنت فى مكتبى فى مسكن



سعد زغلول مع أعضاء الوفد في باريس

سعد زغلول وعلى يساره محمد علي طلوبة وحمد الياسل وسينوت حنينا . .
والواقفون : مصطفى النحاس وحافظ مكيثي ومحمد محمود وعبد اللطيف المكياتي
واحمد اظلي السيد وجورج خياط . . وفي الصورة من اعلى : واصف غالى
وويصا واصف .

الرئيس وأنا أشد ما أكون شوقا الى رؤية الزعيم . وأشد
ما أكون رهبة منه ، رهبة في شعوره نحوى بعد حديثي معه
أمس ، ثم شوقا لمعرفة حالته الصحية والنفسية قبل أن ينتقل
الى مقر الوفد ليرأس أول جلسة للوفد بعد خطاب الاغلبية
وانذارها الخطير .

وفي الساعة التاسعة ظهر الرئيس رآنى ونادانى : وقال لى
- بعد ان سألته عن صحته وكيف نام الليلة الماضية :
« لقد نمت جيدا . . نمت ثلاث ساعات متتاليات ، وأنا اليوم
في صحة طيبة » . ثم استطرد فقال : « هل تعرف أن جملة
واحدة من كلامك أمس أثرت في نفسى تأثيرا طيبا وهى :
« ان التفكير السليم هو تفكير العقل الهادىء والعواطف الهادئة »

ولذلك أنا اليوم هادئ العقل والعواطف معا وسأستمر كذلك
وسننظر ماذا يكون « فابتهجت وانتعشت ، وقلت : « أذن أنت
منتصر عليهم جميعا . لا محالة ولو كان بعضهم لبعض نصيرا
وظهيراً » .

فقال الرئيس : « لقد ربت في ذهني ما أقوله وما لا أقوله ،
وأنا منتصر بأذن الله لأنني على حق ، ولأن الله قد عودني على أن
ينصرنى على الدوام » .

فقلت : « الحمد لله . . هل تحب يا سيدي أن أنتظر
هنا حتى انتقل معك الى مقر الوفد ، أم اذهب الآن لارى
اعضاء الوفد وارى حالتهم النفسية قبل الجلسة حتى اسجلها
في مذكراتي ؟

فقال : « يمكنك أن تذهب الآن الى مقر الوفد فان على ماهر
قادم لمرافقتي » .

فقلت : « حفظك الله ورعاك » ، وخرجت .

وقبل الساعة العاشرة بعشرين دقيقة كنت في مكتبي في
مقر الوفد ، وبعد دقائق بدأ الاعضاء يفدون ويتسلسلون ، حضر
على التوالي :

حمد الباسل ومحمد على علوبة والمكباني ولطفى السيد وعبد
العزيز فهمي ثم محمد محمود ، وكانوا جميعا متلهلين باسمين
الا لطفى السيد وعبد العزيز فهمي فكانا واجمين . وفي الساعة
العاشرة الا دقيقتين حضر الرئيس سعد ومعه على ماهر وواصف
غالي وسينوت حنا . وبدأ السلام باليد والسؤال عن الصحة في
هدوء ووقار ، وكانوا جميعا آية في اللطف والمجاملة وفي حسن
المعاملة .

ثم بدت الجلسة التاريخية المنشودة ، بدأت في جو رهيب
مرهوب ، فيه توثب وتحفز .

من ذا الذي يستطيع أن يبدأ بالاساءة أو الاستفزاز في جو
كهذا الجو ؟

وما جدوى الاساءة والاستفزاز على كل حال ، ولا سيما
في هذه الحال ؟ .

لقد شعر الجميع بأن ما وقع من اساءات واستفزازات حتى الآن كثير جدا وفوق ما يحتمل فلا مزيد بعد ذلك لمستريد ، هكذا كان الشعور العام .

فليس بعجيب بعد ذلك أن تبدأ الجلسة وتستمر وتنتهى في غير اساءة أو محاولة اساءة ، وفي غير استفزاز أو محاولة استفزاز . فكانت جلسة مثالية من أولها الى آخرها . . قرابة ثلاث ساعات ولم يعقد الوفد جلسة مثلها في سابق الزمان ولا في أى مكان . .

أما خلاصة ما حدث وجرى في هذه الجلسة فهو ما يعينى الآن بيانه وتسجيله في شيء من التفصيل الذى يكشف المعالم وطبيعة الحوار وأطراف الصراع :

قال الرئيس سعد :

((اننا مجتمعون اليوم بناء على خطاب ورد الى بامضاء ستة من حضرات الاعضاء رغبوا في عقد هذه الجلسة . وكان من الممكن عقد هذه الجلسة او أى جلسة في أى وقت اذا رغب في ذلك أى عضو في الوفد، ولكن شاء حضرات الاعضاء الستة ان يتقدموا بذلك مجتمعين ومتضامنين متصافرين ، وخطابهم يمكن تقسيمه الى قسمين :

القسم الاول : اسلوبه ولقته وفيهما شيء غير قليل من العنف أو عدم الجمالة ، ولكنى أتجاوز عن ذلك لأن الكلام والعتاب لا يجديان في مثل هذه الظروف والايام ، ومادامت لغة الانسان واسلوبه هما مرآة لحالته النفسية فهم اذن معذورون ، ولا تكلم فيما هو أجدى وانفع .

القسم الثانى : موضوع الخطاب نفسه وهو عبارة عن خمس تهمة تفضلوا بتوجيهها الى شخصى . وهذا ما لا أتجاوز عنه بحال من الاحوال وما أريد مناقشته في الحال .

التهمة الاولى : هى أنى اسير على سياسة انفرادية في المدة الاخيرة . فما هى هذه السياسة الانفرادية التى تشيرون اليها وتشكون منها ؟ أنى أرجو أن يتولى أحدكم الاجابة والتبيان . .

عبد العزيز فهمى :

لعل حضرة الرئيس يذكر أن آخر جلسة عقدها الوفد كانت في ٢٣ نوفمبر من العام الماضى ونحن الآن في ٥ يناير في العام

الحالى اى أننا لم نجتمع فى جلسة للوفد حوالى الشهر والنصف . . وكان الاعضاء خلال هذه المدة الطويلة يسرون فى الشوارع أو يطالعون الكتب والجرائد أو يتسكعون فى المقاهى عاطلين مضيعين لا عمل لهم ولا صنعة ، وكثيرا ما كنا نتساءل لماذا نحن هنا الآن فى باريس بلا عمل ولا أمل ؟ ولماذا نستمر نعيش فى ملل وفى ألم ؟ هذا وكان الرئيس من ناحيته يعيش فى واد آخر قد وضع لنفسه سياسة جديدة ونفذها : وهى اهماله للوفد واهضائه واضرابه عن عقد الجلسات وامتناعه عن زيارة مقر الوفد . ثم انفراذه بالعمل المستقل هنا . يكتب الى ملتر وملتر يكتب اليه ويتراسل مع مستر بلنت . ثم يرسل الدكتور حامد محمود طبيبه الخاص لمقابلة مستر بلنت والقيام بنشاط سياسى فى إنجلترا لا نعرف نيته ومعناه ولا نعرف كنهه ولا نعرف مداه ، فهل هذه الحالة يمكن الاستمرار عليها ؟ وهل هذا يليق بنا ؟ اليس فيه المساس بكرامتنا ومصلحة البلاد أن ينحى المسؤولون من العمل ويكلف بالعمل غير المسؤولين . . كالدكتور حامد محمود ؟

لهذا قلنا فى خطابنا أن هذه حالة لا تطاق وأن الرئيس اذا لم يحدد جلسة لاجتماع الوفد فاننا عائدون لا محالة الى مصر ، ولينته الوفد شكلا كما انتهى فعلا .

الرئيس سعد :

ان حضرة الاستاذ لم يقتصر على الكلام فى التهمة الاولى بل تناول كل التهم دفعة واحدة واعاد على مسعنا نص ما ورد فى الخطاب المرسل الى ، وكأنه كان يقرأه علينا مرة ثانية ، ومع ذلك فقد فهمت الان قصده من عبارة (السياسة الانفرادية) ، ويخيل الى أن هناك امورا مازالت خافية عليه أو لعله لم يعرفها شيئا من عنايته وتقديره .

فى طليعة هذه الامور التى هى فى حكم الحقائق الثابتة : طبيعة موقفنا هذه الايام من لجنة ملتر ومن التقرير الذى تزمع تقديمه قريبا جدا الى الحكومة الانجليزية ، فنحن بحكم الظروف القاهرة مضطرون الى الانتظار ، والوفد لا يرى مناصا ولا فكاكا من هذا الانتظار حتى يصدر هذا التقرير ونطلع على ما فيه ونعرف مراميه ، هذه هى الحقيقة المرة التى لا يجوز نسيانها

أو التهوين من شأنها ، ولا بد من النزول على حكمها طائعين
أو كارهين .

انظروا ماذا يحدث لو أن الوفد أهملها وأغفلها ولم يرق لها
وزنا ولم يعتبر لها وجودا ؟

لو أن الوفد أظهر نشاطا في محاربة الانجليز بكل ما لديه
من وسائل الدعاية ، لقليل لنا أنما أضعنا بذلك ما كسبناه في
المفاوضات وأفسدنا ما أصلحناه وأن النتائج كانت أصلح وأحسن
وأفيد لمصر أولا أن الوفد قد تسرع في اظهار العداء وإعلانه ،
والتشنيع على تصرفات الانجليز في مصر .

أو لو أن الوفد عمل العكس وأظهر نشاطا في إخلق جو ودي
في مصر لمصلحة التفاهم المشترك بين مصر وانجلترا ، والتمهيد
للمفاوضات الرسمية قبل صدور التقرير ثم صدر التقرير بعد
ذلك وفيه من الاساءات لمصر ، ومن القيود والاغلال التي تتعارض
مع الاستقلال ، لقليل لنا أنما تسرعنا في التفاؤل بقر حق أو مسوغ
وهدمنا روح الكفاح في الشعب بسبب الحمافة وقصر النظر
والتهور في حسن النية إزاء الانجليز تهورا يصل الى حدود
السذاجة والبلاهة .

فنحن على الحالين عرضة لاهلانة ، فليس أمامنا والجمالة
هذه إلا طريق واحد نسلكه ولا ثاني له وهو التريث والانتظار
حتى يصدر ذلك التقرير وينكشف المستور ويظهر النور ، وإذا
كان أعضاء الوفد في هذه الفترة يسبرون في الشوارع ويتسكعون
في المقاهي كما يقول الأستاذ عبد العزيز فهمي بك ، فانا كذلك
أسير في الشقة التي أسكنها وأنسكع بين المقاعد والكتب والجرائد
.. (وهنا ضحك الأعضاء جميعا وسرت في الجلسة روح خفيفة
منعشة صفا بها جو الجلسة بعد كدر واسترخت بها الاعصاب
بعد توتر) .

سكت الزعيم سعد قليلا كمن يسترجع انفاسه أو يستجمع
أفكاره ثم قال : إذا كانت فترة التريث والانتظار هذه قد
جاوزت الشهر فما في ذلك حيلة لي أو لكم، وما دمنا قد احتملنا
الكثير فلا بد من أن نحتمل القليل الباقي منها .

وفترة التريث والانتظار من طبيعتها الركود والجمود
وقد جاءت في فصل الشتاء والثلوج فاضيف الى طبيعتها

الانكماش والرقود : ركود العمل ورقوده ، لهذا لم أر داعيا لعقد جلسة للوفد ، اذن ليس امامنا عمل ولا موضوع للبحث أو المناقشة فيه . ولم يرجع عدم عقد جلسة الى سياسة انفرادية وضعتها لنفسى كما تقولون ، فلماذا كان احد حضراتكم قد رأى داعيا لعقد جلسة ، فلماذا لم يقترح على ذلك حتى اذا رفضت اقتراحه كنت اذن الملولم اما الآن فلا لوم ولا عتاب .

ومع ذلك فقد زعم بعضكم انى انتهزت هذه الفرصة فجريت على سياسة انفرادية واهملت شأنكم واستشهدوا على ذلك بالادلة الآتية :

ان مستر بلنت ارسل الى خطابها وطلب ان ارسل اليه رسولا .

ارسلت اليه الدكتور حامد محمود ولم ارسل عضوا مسئولا من أعضاء الوفد .

والآن فلننظر في هذه الادلة ثم ننظر اليها في مجموعها . .

اما خطابى الى ملتر فكان خطاب مجاملة وتهنئة بعيد الميلاد حتى يشعر ان جو الود وحسن التفاهم الذى يرجو ان يخلقه في مصر موجود على الاقل في نفوسنا . فيعدل عن بعض عنته وينزل عن بعض تشبثه في معارضة الامة وتحفظاتها ، ثم انى انتهزت تلك الفرصة فلفت نظره الى مئات البرقيات الواردة الى واليه في مصر احتجاجا على بقاء الحماية وذكرها الاليمة ، وجاء رد ملتر الى وارسلته اليكم مع الاستاذ على ماهر لتطلعوا عليه .

هل لاحد منكم اعتراض على كلمة واحدة جاءت في رد ملتر بسبب مكابتنى اليه ؟

انى ارى على العكس ان رد ملتر لم يأت بجديد سوى ما اظهره من روح المسالمة وفتح باب الامل .

اما مستر بلنت فهو صديق قديم لى اعرفه واعرف فضله واخلاصه من زمان طويل ، ارسل الى خطابا رقيقا فاطلعتكم عليه بواسطة الاستاذ على ماهر فلم اخف عنكم شيئا ، ثم ارسلت اليه الدكتور حامد وهو يجيد الانجليزية ولم ارسل اليه عضوا مسئولا في الوفد لان سفر اى عضو في الوفد الى انجلترا امر

يلفت الانظار وتنتقل به الاخبار الى مصر وتحوم حوله الظنون والاهام .

وماذا عسى أن يفعله الرسول أكثر من أن يحمل الى خطابا خاصا من ملتر ويسمع حديثا ثم ينقله الى ؟ وساطلكم بطبيعة الحال على كل ذلك عندما يعود الرسول .

((هذه هي أدلتكم على (سياستى الانفرادية) وما هي الا مجموعة من التصرفات التي تعتبر تنفيذا للسياسة العامة للوفد

ثم ماذا بعد كل هذا ؟

تقولون أن مظاهر هذه السياسة الانفرادية انى ممتنع عن استشارتكم في أية مسألة ، وأنا لم أجد مسألة واحدة تستحق أن استشيركم فيها طوال هذه المدة ، وقلتم انى في حالة أضراب عن الذهاب الى مقر الوفد طوال هذه الفترة .

فهل الذهاب ، مجرد الذهاب ، غاية يجب أن أحرص على رعايتها ؟ هل نسيتم انى أعيش في سجن من الشيوخ والامراض ولا أقوى على برد الشتاء هنا في باريس ، وأية ذلك انى لم أخرج من مسكنى مرة واحدة طوال هذه المدة ، انكم بتأويلكم أسوأ تأويل كل حركائى وسكنائى وكل لفتائى وتصرفاتى ، لتشتون أن الثقة والتعاطف وحسن النية قد ضعفت كلها وهزلت الى درجة تستحق الرئاء ، اليس كذلك)) .

محمد على علوبة :

انك يا سيدى الرئيس أرسلت الى البنك تسأله من وراء ظهري أن يطلعك على حساب المنصرف من أموال الوفد شهرا بشهر خلال الشهور الستة الاخيرة ، ولم تتفضل بسؤالى أنا . فما معنى ذلك ؟ وما الدامى اليه ؟ اليس فى ذلك معنى عدم الثقة بى كأمين للصندوق ؟

سعد :

انكم تهددونى بالعودة الى مصر ، وأنا مصمم على استمرار الجهاد هنا فاردت أن أعرف متوسط ما يتكلفه الوفد شهريا من المصروفات حتى أرتب شئون الإقامة وظروف العمل ومصاريف الجهاد .

محمد على علوبة :

ولماذا لم تطلبني لمقابلتك أو تسألني لاعطيك فكرة عن ذلك كله ؟

سعد :

لقد طلبت منك الف جنيه للصرف منها على بعض شئون الوفد فرفضت

محمد على علوبة :

أنا لم أرفض بل طلبت معرفة (شئون الوفد هذه) حتى أعرضها على اخواني أعضاء الوفد ، ونتخذ قرارا بذلك في الوفد . . فرفضت أنت طلبى وامتنعت عن تنويرى وعدلت عن طلب الالف جنيه ، فلماذا ؟

الرئيس :

لقد أردت أن أقدم هدية ثمينة تذكارية للمستمر بلنت ، وأردت أن أقوم بدفع مصاريف الانتقال والإقامة للدكتور حامد محمود حين أكلفه بالسفر الى إنجلترا ، واعتبرت طلبك تشككا فى بواعثى وفى ذمتى فعدلت ، وأنتك لتعلم - أو يجب أن تعلم - أن رئيس الوفد ، بل رئيس أى جماعة من الجماعات يجب أن يكون تحت تصرفه بعض المال للتصرف فيه لخير الجماعة وصالح العمل ، ومكافأة كل من يؤدي خدمة جليلة للفاية المشتركة . وما أردت أن أناقش أو أعاتب ، لأن المناقشة والعتاب لا يكونان الا عند توافر الثقة بين الطرفين وعند الرغبة المشتركة فى استمرار العمل والتعاون .

ثم استنرد الرئيس فقال : والآن بقيت تهمة وجيدة خطيرة جدا ، وهى اتهامى بأن تبعة انقسام الامة تقع على كاهلى وحدى . . وهنا قاطعه الاستاذ على ماهر وقال :

((يا سيدى الرئيس : لقد تكلمت طويلا والقيت النور على كثير من النواحي والمسائل ، وأنا واثق ان الجو قد تحسن كثيرا بعد بياناتك وتفسيراتك)) .

فهل لى أن أرجو تأجيل الجلسة الى موعد آخر لا سيما ان الساعة قد قاربت على الواحدة بعد الظهر ؟

فسكت الرئيس ، ووافق الاعضاء جميعا على اقتراح التأجيل
ماعدا عبد العزيز فهمى ولطفى السيد فقد سكتا .

حمد الباسل :

ما الموعد الذى يناسب سيادة الرئيس للجلسة القادمة ؟

الرئيس :

كما تشاءون ، وكل موعد يناسبنى ، وليكن غدا اذا شئتم .

على ماهر :

اننا نريد ان نعالج مشكلة انقسام الامة وهذا موضوع دقيق
وشائك وخطر ومعقد ويحتاج الى التفكير الطويل ، فهل لى ان اقترح
ان يكون التأجيل لمدة اسبوع ، بل اقترح ان نجتمع مرة كل اسبوع
لتبادل الآراء الى ان يصدر تقرير ملئ ؟

فسكت الرئيس وسكت عبد العزيز فهمى ولطفى السيد .

وتكلم الآخرون بما لا يخرج عن الموافقة على الاقتراح

فتقرر ان تكون الجلسة القادمة يوم ١٢ من يناير سنة ١٩٢١ فى
الساعة العاشرة والنصف صباحا فى مقر الوفد .

انتقال الاعضاء الى مسكن الرئيس لتحيته

٦ من يناير سنة ١٩٢١

صحوت اليوم فوجدت الصباح جميلا رائعا والشمس ساطعة
ولست أدري لماذا جعل العرب الشمس مؤنثة ، والقمر مذكرا ،
بينما الانجليز والفرنسيون والغربيون جميعا جعلوا الشمس مذكرا
والقمر مؤنثا ، ما هى قاعدة التذكير والتانيث ، وما علاقتها فى
حالة كهذه ؟ لست أدري ، ولا اظن احدا يدري ، وانما الذى أدريه
وأشعر به شعورا عميقا هو فرحتى برؤية الشمس هذا الصباح
وهذا النهار كله بعد ان ظلت شهرا كاملا غائبة مستورة وراء السحب
الكثيفة السوداء التى لم أر من آثارها الا هطول الامطار حيننا
ونزول الثلوج حيننا اخرى ، ثم انقباض يساور النفس التى اعتادت
رؤية الشمس طوال ايام العام كله مثلنا فى مصر .

ما أجمل الشتاء فى مصر ، بل ما أجمل كل شىء فى مصر ، ارنسها

وسماءها وماءها وهواءها ، صيفها وشتاءها ، نباتها وحياتها ، حياتها الهائلة الرتيبة الوديعة العجيبة . . ها دق جرس الباب ودخلت الخادمة الباريسية تحمل الى طعام الافطار فقطعت على حلم اليقظة وهذا الحنين الدافئ الى مصر وكل ما في مصر وانتهت حلمى وحنينى بجملته واحدة : ان مصر جنة الله في أرضه لولا الاحتلال وويلات الاحتلال .

وفي الساعة الثامنة والنصف تماما كنت في مكتبي بمقر الوفد اتصفح الجرائد الانجليزية كالعادة مسي ان أجد فيها شيئا عن مصر اترجمه الى العربية للرئيس ، فلم أجد شيئا لا مقالة ولا خبرا .

وحوالي الساعة العاشرة توافد الاعضاء على غير انتظار منى : حمد الباسل ومحمد على علوبة وعلى ماهر وسينوت حنا وواصف غالى ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى ومحمد محمود والمكباني .

فسألتهم : اتعدون جلسة هذا الصباح ؟

فقال حمد الباسل : جلسة غير رسمية .

فسألت : وما الفرق بين الجلسة الرسمية وغير الرسمية ؟

حمد باشا الباسل : الجلسة غير الرسمية ، جلسة لا يحضرها الرئيس .

فقلت : لا تؤاخذنى انى غبى

فقال حمد الباسل (ضاحكا) : بل انت تغابى وقد وصفك الشاعر العربى بقوله :

ليس الغبى بسيد فى قومه ولكن سيد قومه المتغابى

فقلت له ياسيدى : ان بديهتك الحاضرة لا يعادلها الا سماحتك وكرم اخلاقك ولا يريد على كل ذلك الا عجزى عن شكرك .

وسمع بعض الاعضاء هذه المحاوره واشتركوا فيها باسمين منشرحين ثم انتقلوا من مكتبي الى قاعة الجلسة بعد ان اخبرنى صديقى محمد على علوبة انهم يريدون ان يتداولوا فى مسألة « انقسام الامة » وطريقة علاجه .

فسألته : ما راىك فى جلسة الامس وفى بيانات الرئيس ؟

فاجاب : سعد باشا كان متجليا وكان هادئا ليته يستمر على

ذلك وقد تحسن الجو تحسينا كبيرا وزال سوء التفاهم ، وسننتقل بعد انتهاء الجلسة لزيارته في مسكنه لتحيته فقد عادت المياه الى مجاريها .

فقلت : أنا ذاهب الان لمقابلة الرئيس ، هل أبلغه كلامك . فقال :
افعل ما تشاء

فقلت : أحب أن أتل الاخبار السارة التي تزيد الجو تحسنا .
وتزيد النفوس انتعاشا .

ثم تبادلنا البسمات والتحيات وانصرفت ولكن الى لقاء قريب جدا .

وفي الساعة العاشرة والنصف كنت مع الرئيس واخبرته بكل ما رايت وسمعت واظهرت اغتباطي بتوقيفه أمس في ازالة كل اسباب سوء التفاهم .

فقال : أجل كنت موافقا ثم هن راسه مفكرا مهتما وقال : ولكن كل شيء الى حين ، ان المسألة ليست مسألة سوء تفاهم يمكن أن يزول ، وانما المسألة ادهى من ذلك وامر . ولا يمكن أن تزول بالشرح والبيان ، هي مسألة عدم ثقة وأهداف مختلفة وخسطة متباينة وبواعت لا سبيل الى التوفيق بينها ، ان الامر لا يستطاع اصلاحه .

فقلت : انهم سيحضرون بعد قليل لزيارتك وتحياتك ولاشعارك بان ما كان هناك من جفاء قد زال وان المياه قد عادت الى مجاريها ، ألا تريد أن تقابلهم في منتصف الطريق كما يقول الانجليز في مثل هذه المواقف ؟

فقال الزعيم : ((أجل لابد من ذلك لا سيما وهم في بيتي فلهم على حق المجاملة والملاطفة ، على أن كرم الضيافة شيء وصالح الحال بعودة المياه الى مجاريها شيء آخر ، اني أشعر بانهم يريدون مهادنتي ولكنهم ياتمرون بي ويتربصون ، وانهم يطلبون مسامحتي وتهددتني قبل عودتهم الى مصر . وانهم لعائدون الى مصر عاجلا أو آجلا ، فهم يفعلون ما فعل عدائي قبل عودته ، فقد زارني وسألني حتى يضمن من المصريين حسن الاستقبال له وقد نجح في ذلك نجاحا ملحوظا ، وهم يريدون مثل ما أراد لكي يصلوا الى مثل ما وصل من حسن استقبال المصريين لهم عند عودتهم ، ولكني لا اتعجل الامور ولن أشعرهم بحقيقة افكارى ولا بحقيقة مشاعرى ، والكتمان اخرى

بى وأوجب ، ولا سيما فى مثل هذه الظروف الدقيقة التى نعيش فيها » .

فقلت : ما أحكمك ياسيدى وما أبعد نظرك .

وفى الساعة الثانية عشرة ظهرا حضر على ماهر واختلى بالرئيس دقائق معدودات ثم حضر الأعضاء جميعا : عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد على علوبة ومحمد محمود وحمد الباسل وواصف غالى وسينوت حنا ، حتى عبد اللطيف المكباتى ، وظلوا مجتمعين ساعة كاملة ، وفى الساعة الواحدة بعد الظهر خرجوا وانصرفوا باسمين وفى غبطة ظاهرة .

وسالت الأستاذ على علوبة عن خلاصة رأيه فى هذا الاجتماع فقال : « كانت جلسة طريفه خلت من السياسة وكثرت فيها الملح والنكات والنوادر والشعر » .

وسالت الرئيس سعد عن رأيه فقال : « جاءوا لتحيتى والسؤال عن صحتى ، وكانوا جميعا فى غاية اللطف ، وكان اظرفهم حميد الباسل بحكاياته الممتعة واسلوبه الطريف الطريف » .

عودة الدكتور حامد محمود من إنجلترا

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر وصل الدكتور حامد محمود عائدا من إنجلترا واختلى بالرئيس سعد ساعة كاملة . ولما خرج مر بى فى مكتبى للتحية فقلت له وعلى وجهى ابتسامة مأكرة : « أرجو أن تكون قد وفقت فى استعادة مفشك المحجوز عليه بسبب امتناعك عن دفع ضريبة الدخل ؟! » فضحك واستغرق فى الضحك وقال : « تم كل شىء على مايرام » . وانصرف بعد أن توأمدنا على اللقاء بعد العشاء فى « كافية فوكيه » .

شخصية الدكتور حامد محمود وأعماله فى الميزان

سدبقى الدكتور حامد محمود شخصية عجيبة فريدة لا أعرف لها مثيلا فى جميع المصريين الذين اختلطت بهم فى مصر أو فى الخارج حتى الآن . . فقد عاش فى إنجلترا أكثر من نصف عمره وهو الآن فى الثامنة والثلاثين وعاش منها فى إنجلترا عشرين سنة بعد أن تخرج فى جامعة أدنبرة فى اسكتلنده وحصل على إجازته فى الجراحة وقد تطوع فى خدمة الجيش الانجليزى « جراحا » فى الحرب العالمية الاولى وتوطدت له صلات بكثيرين من الانجليز ، ولم يحصل على

شهادة مصرية عالية ولا يكاد يعرف اللغة العربية ، ويجيد الانجليزية كلأما أكثر مما يجيدها كتابة ، ومن نوادره الطريفة أننا خرجنا مرة للنزهة في غابة بولونيا مع الرئيس سعد وإذا به يصرخ في دهشة لفتت نظر الرئيس ونظري قائلاً : يا باشا ((هذا أبو أوى)) فضحك الرئيس واستغرق في الضحك وقال « أم أوى يا دكتور » فقال حامد « ولماذا يقولون اذن « أبو كاتو » واستمر الرئيس في ضحكه وقال : أفوكاتوا ، أتريد تغييرها الى أم كاتو على هذا القياس . واستمر هذا الخلط فترة غير قليلة وسعد يضحك من هذه الخفة والسداجة اللطيفة .

وفي حامد ، مكر ودهاء ، ولكن مكره يبدو في سداجة عجيبة ودهاؤه يظهر في شكل « عبط » ، وهو يجد لذه فريدة في الظهور بمظهر العبيط أو الساذج ويرى في ذلك منتهى المكر والدهاء والخداع وحمل الناس على الاطمئنان اليه . وعدم الشك فيه أو التخوف منه . وبعد أن يجردهم من أسلحة الحذر والتحفظ معه يعرف منهم ما يريد أن يعرف ، ولا يعطيهم ما يتوقون الى معرفته منه ، فهو الكاسب دائماً وهم الخاسرون . هكذا يظن وعلى هذا النمط يعيش ويعامل الناس ، هذا فضلاً عن أنه يجمع مع هذا المكر والدهاء طبعاً يميل الى الساءة الظن بالناس وهو قلماً يثق بالناس ، والرأى عندي أن الدكتور حامد محمود قد اكتسب من حياته بين الانجليز ومعاشرته الطويلة لهم بعض الصفات والمزايا النفسية ، ألخص بالذكر من هذه وتلك ما يأتي :

المكر والدهاء والميل الى الخداع وعدم الصراحة والتظاهر بالسداجة .

حمل الناس على الاطمئنان اليه وعدم الشك فيه بمظهره الفريد في اللطف والسداجة .

اساءة الظن بكل الناس والميل الشديد الى الكتمان فلا يمكن أن يذيع سراً .

ضبط النفس فلا يثور أو يفضب مهما يكن مبلغ الاستفزاز الواقع عليه ، وكان يقول لى ونحن في إنجلترا : ان ضبط النفس للانسان كالفرملة للسيارة ، والسائق يكون معتوها اذا قاد سيارة بلا فرامل ، لانه يكون خطراً على غيره وعلى نفسه ، وكذلك المحروم من مزية ضبط النفس فهو رجل بغير فرامل وهو خطر على غيره وعلى نفسه .

والمصرى العادى لا يتمتع بهذه الصفات وهذه المزايا النفسية وهو فى الغالب حسن النية سليم الطوية يحسن الظن بالناس ولا يضبط عواطفه لان « قلبه أبيض » وإذا استفرد انسان أو اهائه غضب وثار وسب وشتم وانفجر كالبركان .

هذا وترى الدكتور حامد لاول وهلة فتظن انه انجليزيا فى عامة مظهره ، فى بياض لونه ونعومة شعره وأناقته هندامه وللمعان حدائه وطريقة مشيته وحركات رأسه ويديه ونظرا تعينيه، وهو حليق الدقن والشارب ، كثير التدخين للبيبة التى لا تكاد تفارق شفثيه وعنده من « البيبات » ما يزيد على العشر ، وإذا سئل سؤالا محرجا أو صعبا احتفظ « بالبيبة » فى فمه حتى يفكر بهدوء ولا يرفعها من فمه الا اذا اراد الكلام أو الاجابة ، ثم هو يوجز غاية الإيجاز ولا يميل الى الثثرة كما يفعل الكثيرون ، وهو فى هذا كله انجليزى قح ، ولكنه الى جانب هذا أو قبل هذا كله مصرى صميم ووطنى غيور ، حبه لمصر وغيرته القومية واخلاصه لقضية الاستقلال وحبه وللاؤه للرئيس سعد وحبه وعطفه على الفلاحين كلها من الطراز الاول ، ولا تترك بعدها زيادة لمستزيد . هذا فضلا عن أنه خفيف الروح الى الدرجة القصوى ومن العسير جدا الا تهجه أو لا تميل اليه فهو خفيف الظل حلو الابتسامه التى لا تكاد تفارق وجهه ، ولعل هذه المظاهر والمزايا المصرية الصميمة فيه هى التى قربته الى قلب الرئيس سعد .

كيف اتصل الدكتور حامد بالرئيس سعد

بعد أن وقع الاختيار على أن أكون سكرتيرا خاصا للرئيس سعد زغلول سافرت من مصر ووصلت الى باريس فى ٢٧ من نوفمبر سنة ١٩١٩ ولم يمض شهرا واحدا أو خمسة أسابيع أى فى يناير سنة ١٩٢٠ حتى حضر الدكتور حامد محمود على رأس وفد يمثل جمعية الطلبة المصريين فى بريطانيا لتحية الرئيس سعد ولتأييد الوفد فى جهوده ومساهميه فى خدمة قضية الاستقلال ، فأكرم الرئيس وفادتهم وسرته حماستهم ، وبعد انصرافهم تخلف الدكتور حامد وقال للرئيس انه يريد أن يتطوع لخدمته وخدمة الوفد وخدمة مصر وقضية الاستقلال ، وأن معرفته بانجلترا وبانجليز لابد أن تكون نافعة وهو يضعها بين يدى الرئيس ، ثم قال أن الدكتور طلعت باشا عمه .. لم يكن الدكتور حامد فى حاجة الى أن يقول

أكثر من هذا ، فسعد باشا سديق حميم للدكتور طلعت باشا وفي الدكتور حامد نفسه مزايا لا يستهان بها .

ولهذا لم يتردد الرئيس لحظة واحدة في الاقبال عليه والترحيب به وتعيينه فوراً سكرتيراً ثانياً ، وقد أحس سعد بفراسته التي لا تخيب أنه سوف يكون في حاجة الى رجل كحامد يعرف انجلترا مثل معرفته ، فقد نقضى الضرورة بإرساله الى انجلترا في مهمات كثيرة ولاغراض شتى ، وقد صدقت فراصة سعد (الرئيس البعيد النظر) ، وأصبح الدكتور حامد نافعا جدا في خدمة هذا الفرض ، ولكن مصرية الدكتور حامد تجلت في حبه وولائه للرئيس سعد وفي كرهه وسخطه وحقده على اعضاء الوفد الذين يخالفون الرئيس ، وكان اعضاء الوفد يستخفون ظله أول الامر لسداجته الظاهرة ويداعبون بالنعكات الخفيفة اذ كانوا يشعرون أنه نصف مصرى ونصف انجليزى لقلته معرفته للعربية ، ثم سداجته الخلافة الخداعة قد اعتبروها نوعا من العبط الذى يداعب ويسخر منه . وكان الدكتور حامد يسرف معهم في مظاهر سداجته ومظاهر انجليزيتة ، فيزيد مرحهم وأقبالهم عليه ، ولكن الاعضاء في المدة الاخيرة تنكروا له وسخطوا عليه .

ويمقدار ما ازداد حامد قربا من قلب الرئيس سعد ازداد بعدا من قلوب الاعضاء جميعا فساء مركزه بينهم .

النشاط السياسى للدكتور حامد محمود

ولسائل أن يسأل : هل احسن سعد وأصاب في تعيينه الدكتور حامد محمود سكرتيراً ثانياً له ؟ وهل نجح الدكتور حامد في النهوض بالمهمات التى كلف بها ؟ وهل أدى خدمات تستحق الذكر لقضية الاستقلال ؟

وأنا اجيب بالإيجاب على هذه الاسئلة الثلاثة من غير تردد أو تحفظ ، فان الدكتور حامد محمود ملاً ، وما يزال يملأ فراغا لا يستطيع أحد غيره من المصريين أن يملأه ، وأنه أدى وما يزال يؤدي خدمات عظيمة لقضية الاستقلال لا يستطيع أحد غيره من المصريين أن يؤديها .

وفيما يلى بعض الادلة :

١ - أن جريدة الديلى هيرالد (جريدة حزب العمال) قد أصبحت تدافع عن قضية استقلال مصر وتطالب بالغاء الحماية

البريطانية من مصر ، بفضل صداقة الدكتور حامد لمستر ايوار رئيس قسم السياسة الخارجية في هذه الجريدة ، ومستر لانسبوري رئيس التحرير نفسه . فالدكتور حامد يعرفهما معرفة صداقة شخصية قديمة . وبفضل الدكتور حامد ومساعدة كذلك حضر مستر ايوار الى باريس عدة مرات لمحادثة الرئيس وسماع آرائه ، وقد نشر للرئيس حديثين كاملين غاية في الاهمية .

٢ - ان عددا كبيرا من الاسئلة البرلمانية التي قدمت في مجلس العموم عن مصر ولصالح مصر كان الدكتور حامد هو الموحى بها ولا ننسى انه صديق حميم لمستر مالون ومستر سبور عضوي مجلس العموم ، بل صديق حميم لمستر رامزي مكدونالد نفسه رئيس حزب العمال وزعيم المعارضه . وبفضل الدكتور حامد وحده وحسن علاقته بهم قد اصبحوا جميعا يعطفون على قضية الاستقلال .

٣ - استطاع الدكتور حامد بجهوده الشخصية ان ينشئ في لندن ((لجنة)) تسمى ((اللجنة الانجليزية المصرية)) وساعده في تكوينها صديقه الحميم مستر لانجسدون دافيز وهو صاحب مطبعة مشهورة ومستر رامزي مكدونالد نفسه ، واللجنة مكونة الآن من عشرين عضوا من حزب العمال في البرلمان الانجليزي وبعض كبار الصحفيين امثال لانسبوري وايوار وسكرتير هذه اللجنة مستر لانجسدون دافيز نفسه صاحب المطبعة الذي تفضل بمساعدة الدكتور حامد ان يصدر شهريا نشرة من اربع صفحات عن مصر وقضية مصر ووعود الانجليز بالجلاء ، وما الى ذلك مما يريده الدكتور حامد ويوحى به للرئيس سعد .

٤ - ومن هذه النشرة ومن بيانات الدكتور حامد كان أعضاء اللجنة الانجليزية المصرية يستمدون نشاطهم ويلقون خطبهم ويقدمون اسئلتهم لخدمة مصر وقضية مصر . من غير الدكتور حامد محمود كان يستطيع ان يحقق كل هذا ؟ لقد أصبحت مصر في بريطانيا افلام تكتب ، وأصوات ترتفع ، وقلوب تعطف ، وجهود تبدل لخير مصر وخير قضيتها ، والقائمون بهذا كله من الانجليز الاحرار انفسهم ، والفضل في هذا كله للدكتور حامد محمود وحده .

الم اقل ان الرئيس سعد احسن واصاب بتعيين الدكتور حامد وان فراسة الرئيس وحسن اختياره كانا توفيقا من الله .

لقد نجح الدكتور حامد في نشاطه السياسى في انجلترا اعظم نجاح ولا ارى ان اعضاء الوفد على حق حين يخشون ويتطرون من هذا النشاط الذى يجرى من غير علمهم ومن وراء ظهورهم كما يقولون في شكوى واتين واحتجاج ..

الدكتور حامد في المصيدة !

٨ من يناير سنة ١٩٢١

في المساء بعد العشاء نزلت الى ((كافية فوكيه)) وجلست في ركن وحدى افكر في يومى وامسى ، وبعد قليل مر صاحبى محمد على علوبة فرأتني فجاء وجلس معى ثم حضر المكباتى وحمد الباسل فجلسا معنا ، وبهذا ضاعت خلوتى ووحدتى وخابت فكرتى . وبعد دقائق معدودات حضر الدكتور حامد محمود ليجلس معى فتلقوه جميعا بالبرود وتلقيته بالحفاوه والابتسام . وقد حاول الدكتور حامد اول الامر ان يسلم ثم ينصرف ولكنهم امسكوه والخوا عليه في الجلوس فجلس مكرها وهو لا يقوى على المقاومة ، ولعلمهم ظنوه فريسة وقعت في المصيدة .

سأله حمد الباسل : ((ماذا فعلت في مهمة بلنت وما اخباره الخاصة عن ملنر)) ؟

الدكتور حامد : ((أنا مش فاهم انت بتقول ايه انا)) .

حمد الباسل : ((انت سافرت الى انجلترا اخيرا لمقابلة بلنت)).

حامد : ((مش صحيح مين قال لك كده ؟))

المكباتى : ((أننا قرأنا خطاب بلنت الى سعد باشا وفيه يطلب ارسال رسول اليه)) .

حامد : ((روح اسأل سعد باشا ليه انت تسألنى انا . .))

(هكذا ظل الدكتور حامد يراوغ في الاجابة الصحيحة الصريحة وظل يتكلم العربية برطانة الانجليزى وكان ظاهر الكذب والارتباك فأشفقت عليه) .

فقلت : ((هل هذه جلسة تحقيق أو لجنة فرعية للوفد تبحث وتنقب ؟))

فقال المكباتي (غاضبا) : ((انا نوجه سؤالاً بسيطاً فلا نسمع غير الكذب والانتكار)) .

حامد : ((اسمحوا لي : ده راجل بيتكلم كلام ناشف . انا عندي ميعاد مع صديقتي مدموازيل جاكين وانا افضل ان اكون معها)) .

ثم قام الدكتور حامد ودخل قال : وكانت بانتظاره رفيقته الباريسية الحسنة ، وانفجرتنا جميعاً بالضحك من اسلوب الدكتور حامد في الكلام ومن طريقته في الانصراف حتى المكباتي الذي قال ((هل رأيتم غيظاً أكثر من هذا ؟ هل يصح أن يرسل مثل هذا المخلوق إلى انجلترا في مهمة سياسية بدل أن يسافر على ماهر مثلاً ؟)) .

ثم أخذ الاعضاء الثلاثة يتحدثون بالتعليق والتنكيث والسخرية لمحاولات الدكتور حامد انكار شيء لا سبيل إلى انكاره واخفاء أمر لا معنى لاختفائه ، وبعد نصف ساعة قام المكباتي ودخل صالون المقهى ثم عاد وقال ((انه ما يزال مع رفيقته)) .

وبعد قليل استأذنت في الانصراف وانصرفت وفي نفسى استمرازا من اسلوب هذا الرجل في الكلام وخشونته وعدم مراعاته لمواظف الآخرين . لم أشأ أن أرد عليه فالحديث مع مثله لا يفيد بل يضر ولا ينفع وأعمال العقلاء تترفع من العبث الذي لا خير فيه على الإطلاق ، وهو رجل فيه ميل إلى الشراسة ولا يخالجنى شك في أن الرئيس سيسألني غدا أن أصف له بدقة ما حدث بعد أن يشكو إليه الدكتور حامد مما لقي هذا المساء ، ولا شك عندي في أنه سيفضض أشد الفضض . وهكذا لا يكاد يتحسن الجو في الوفد قليلا حتى يعود فيسوء كثيراً ، وكل خطوة إلى الامام تعقبها خطوات إلى الوراء .

٩ من يناير سنة ١٩٢١ :

قابلت الرئيس صباح اليوم وكان عنده الدكتور حامد محمود فسألني عما وقع فوصفت له كل ما وقع فأنفعل واشتد انفعاله كما انتظرت وقال :

((لست ادرى لماذا لا يسالوننى انا ، ويسلكون هذا المسلك الكريه انهم يتلقون الاخلاق بعملهم هذا . ان الدكتور حامد مكلف بالكتمان وهم يعلمون ذلك او يجب ان يعلموه . ياويحهم !! انهم يكتبون الى بالامس القريب خطاها شديدا منفرا ثم يصلحوننى بزيارتى فى مسكنى وهذا منهم اعتذار صامت وغير مباشر ، واليوم يعودون الى اساءاتهم الى ثم يريدون ان نعمل معا لاصلاح الانقسام فى مصر قوم ، متخاصمون يريدون التوفيق بين متخاصمين آخرين اليس هذا من السخرية الا نبدا باصلاح انفسنا وتقويم اعوجاجنا اولاً)) .

وهنا دخل على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، فقص عليهم الرئيس ما حدث أمس مع الدكتور حامد ، فلم يتأثروا ولم يظهروا استياء بل ضحكوا واعتبروا المسألة فكاهة لا تستحق غضبا ولا كدرا .

وفى اثناء الشاى قال لى الرئيس فى شىء من الكمد : ((لعل اكبر ما يكدرنى الآن ضعف املى فى نجاح شيعتى وفقدان ثقتى فى كثيرين منهم لقد اتم بنفوسهم هزال شديد وخصومى كثير واعدائى وسيجدون دائما انتصارا من الطامعين فى المناصب من ضعاف القلوب وهم كثيرون)) .

فقلت : ((يا سيدى : ما عددهم ؟ مهما يبلغ عددهم فلن يكونوا شيئا يستحق الذكر اذا قورنوا بالملايين التى تلتف حولك وتنصرك ويفعل اسمك فيهم فعل السحر ، ان الانبياء انفسهم لم ينجوا من عناد المكابرين ودسائس المارقين وكيد الخائنين وتخاذهل المستضعفين)) . فرحب الرئيس بهذا الكلام الذى هو فى نظرى من البديهيات ومع ذلك وجد طريقه الى نفس الرئيس فأراحها والى عقله فأرضاه .

الدكتور حامد يفهم المكباتى

٩ من يناير سنة ١٩٢١ :

ذهبت هذا الصباح كالعادة الى مكتبى فى مقر الوفد لاتصفح الجرائد والمجلات الانجليزية وحضر حمد الباسل ومحمد على علوبة ومحمد محمود ولطفى السيد والمكباتى ثم عبد العزيز فهمى وكانهم على ميعاد ، ولم يحضر انصار الرئيس سعد (على ماهر

وواصف غالى وسينوت حنا) ، وبعد قليل خرج حمد الباسل من قاعة الجلسة وزارنى فى مكتبى وكان معى الدكتور حامد محمود فسلم على وسألنى عن أخبار مصر فى الجرائد الانجليزية، ثم رفق الدكتور حامد بنظرة شذراء وجره معه الى الاعضاء داخل قاعة الجلسة ، وحامد لا يسأل ولا يقاوم ولا يعارض ولا يستفسر عما يريد من حمد الباسل ، بل سار الى جانبه فى وداعه محبيه واستسلام غريب . كالحمل الوديع ، فلما استقر مجلسه دقيقة واحدة بين الاعضاء فتحت باب القاعة ودخلت لاشهد ما يعملون وكانى خشيت ان يفتكوا بالدكتور حامد او كانى شعرت بان الدكتور حامد عاجز عن الدفاع عن نفسه. لست أدري ! وانما بحركة آلية ومن غير تفكير رايت ان اشهد ما يجرى مع ان احدا لم يطلب الى الحضور. هكذا تصرف. وهكذا اقحمت نفسى بالدخول والجلوس ، فلمعنى الدكتور حامد وابتم وقال : بالانجليزية ((هالو كامل)) ، فضج الحاضرون جميعا بالضحك .. ألم اقل ان الدكتور حامد آية فى خفة الروح والتظاهر بالسداجة التى تجرد الخصم من سلاحه ؟

بدا الكلام محمد محمود باشا فسال الدكتور حامد عن مهمته الاخيرة فى إنجلترا وعن مقابلته لمستر بلنت وعن خطاب ملنر اليه وعن نشاط الدكتور السياسى فى الفترة الاخيرة فى إنجلترا ،

فاجاب الدكتور حامد بكل صدق وصراحة وقال كل شيء وذلك لان الرئيس سمح له بذلك اذ لا فائدة من الكتمان الآن .

فقال المكبانى : ولماذا انكرت أمس فى المقهى حين سألناك ؟

حامد : لان المقهى ليس مكانا للكلام فى السياسة . وانا لم انزل الى المقهى لاضاعة الوقت فى الكلام معك بل كنت على موعد يهمنى كثيرا . (ضحك من الجميع) .

ثم قال الدكتور حامد فى شيء من الجسد : اجبني أنت على سؤال أوجهه اليك :

لماذا لم تذهب الى الرئيس وتسأله عما تريد وفضلت ان تسألنى أنا ، وأنت تعلم انى مكلف بالكتمان ؟))

المكبانى : ((ولماذا هذا الكتمان اذا كانت أعمالكم بريئة ومفيدة للبلاد ؟)) .

حامد : ((انت لم تجب على سؤالى ، بل وجهت الى سؤال آخر ، اجبنى اولا على سؤالى وانا اجيبك بعد ذلك على سؤالك)) .
(ضحك من الجميع) .

المكبائى : ((سنسال سـعد باشا يقينا حين نقابله ، ولكننا رايناك أمس فاستعجلنا معرفة الحقائق)) .

حامد : ((لا تستعجل مرة أخرى ، وخذ الاخبار من اصحابها لا من الجيران)) . (ضحك من الجميع) .

المكبائى : ((لقد اجبتك على سؤالك اذن اجبنى على سؤالى))
حامد : ((وما هو سؤالك ، انى نسينته)) .

المكبائى : لماذا تعمدت الكتمان والانتكار أمس اذا كانت اعمالكم بريئة ومفيدة للبلاد ؟)) .

حامد : اننى اطلعنكم الان على كل التفاصيل وعلى كل اعمالى فى انجلترا ، هل ترى انها بريئة ومفيدة للبلاد ؟ او انها اجرامية وضارة بالبلاد ؟ (ضحك من الجميع) .

المكبائى : ((انه يتكلم كثيرا ، لماذا كان الكتمان أمس ؟))

حامد : ((صحيح انى اتكلم كثيرا ، ولكن انت تتكلم اكثر منى ومن كل الاعضاء)) (ضحك من الجميع)

ثم قال حامد : ليه كده انت مايز تضايقنى وتزعلىنى ، (ضحك من الجميع) الرئيس كلفنى بعمل قمت به ، روح اسأله هو مش أنا ..

المكبائى : ((ولماذا اذن تكلمت اليوم وذكرت كل التفاصيل)) .

حامد : لان الذى سألنى هو محمد محمود باشا وانا احبه ، وسألنى فى حضور أعضاء الوفد وفى مقر الوفد لا فى مقهى عام ((ولا فى الليل)) ، وانا تكلمت بدل الرئيس علشان أريحه فلا يتعب فى ذكر كل هذه التفاصيل أمامكم مرة ثانية . هل عندك أسئلة كمان تحب بسألنى وتزعلىنى ، والا بزيادة كده ؟ (ضحك من الجميع) .

هكذا انتهت الجلسة التى ترأسها الدكتور حامد محمود ،

وهكذا تحول الحمل الوديع الى أسد بديع ، وفتك بالنمر المريع !!
وصدق من قال ((يضع سره في أضعف خلقه)) .

خرج حامد من الاجتماع وخرجت معه وهنائه من أعماق قلبى
على شجاعته وصراحته وعلى مقدرته الفائقة فى الاقتناع ، مقدرة
جاوزت الاقتناع الى الإفحام ، ثم ذهبتنا معاً لمقابلة الرئيس فى
مسكنه . . ولما دخلنا عليه قال له الدكتور حامد : ((يا باشا أنا
قتلت المكباتى)) فقفر سعد من مقعده صارخاً : هل مات ؟؟ فقلت
مفنداً ((مات أديباً)) وطلب منى أن أروى له ما حدث فرويته
كما سجلته آنفاً . فاشتبط الرئيس أولاً كل الاغتباط . ثم تجهم
وجهه وقال ((اذن لن أتكلم معهم فى هذا الموضوع بعد الآن)) .
وشعرت بالغيظ يملأ صدره ويظهر فى عينيه لان الأعضاء أجروا
هذا التحقيق والتدقيق فى سؤال حامد ومناقشته ومحاسبتها
من وراء ظهره ومن غير النظر لسماع بياناته فى هذا الموضوع .

لو استقبلوا من الامر ما استدبروا

١٠ يناير سنة ١٩٢١

١ - أهم ما لفت نظرى فى خطاب ملنر الى مستر بلنت رجاؤه اليه
فى أن يستخدم ثقة الرئيس فيه ليقتعه بأن طلبه إلغاء الحماية
البريطانية قبل المفاوضات الرسمية واعتباره ذلك شرطاً لموافقته على
المفاوضات الرسمية من شأنه أن يسقط مشروع ملنر كله . وأن
يؤكد لرغول باشا بأن الامل غير معدوم فى نجاح المفاوضات
الرسمية وتحقيق آمال المصريين القومية .

٢ - وأهم ما لفت نظرى فى حديث بلنت مع الدكتور حامد - هو
الحديث الذى نقله حامد الى الرئيس سعد - هو استجابته لهذا الرجا،
ثم دعوة بالعمل وبذل كل مجهود من جانبه لإلغاء الحماية البريطانية .
ذلك الإلغاء الذى لا بد منه اذا أريد الاستقرار للحالة ، وتحسين
العلاقات البريطانية ووضعها على أساس سليم .

٣ - وأهم ما لفت نظرى فى جلسة أعضاء الاغلبية التى تكلم
فيها الدكتور حامد أمس ارتياحهم العظيم لما ورد فى خطاب ملنر
الى بلنت ، وما ورد فى حديث بلنت مع الدكتور حامد محمود .

٤ - وخيل الى أن أعضاء الاغلبية قد أصبحوا الآن فى مركز أقوى
مما مضى فى يدهم الآن حجة جديدة من ملنر وبلنت صديق مصر

تحملهم على التفاؤل بالمفاوضات الرسمية وتأييد الدخول فيها من جانب عدلى حتى قبل قبول التحفظات ، ولا سيما النص على الغاء الحماية الذى يتشبهت به الرئيس ويعلق عليه أكبر الاهمية .

٥ - ويخيل الى أنهم مغتبطون الآن أشد الاغتياب بمراسلات الرئيس مع ملنر وبلنت ، وبارسالة الدكتور حامد محمود للمقابلة بلنت بعد أن كانوا مستائين لذلك أشد الاستياء .

والخلاصة أنى أشعر فى ضوء النتائج التى ظهرت فيما بعد بأن خطاب أعضاء الاغلبية الذى أرسلوه الى الرئيس بالشكوى من مسائل معينة ثم ختموه بالتهديد والانذار كان فى غير موضعه ولا مبرر له على الاطلاق ، ولو علموا أو لو استقبلوا من الأمر ما استدبروا لكان خطابهم هذا شيئا آخر على خط مستقيم ، اذ كان يجب أن يشتمل على الإشارة بهذه المسائل المعينة وأن يختموه بالشكر والثناء .

بداية النهاية

١١ يناير سنة ١٩٢١ :

١ - نشرت الجرائد الانجليزية أن لورد ملنر سيستقيل قريبا ومدحته كثيرا كل الجرائد وأئنت عليه ثناء عاطرا ، ويرى الرئيس سعد أن هذه قد تكون مناورة انجليزية للتأكد من المصريين واكتشاف حقيقة شعورهم اذا، ملنر ومشروع ملنر ومبلغ تمسكهم بالتحفظات ، ويرى بقية أعضاء الوفد أن ملنر رجل لا يمكن لبريطانيا الاستغناء عنه فى الظروف الحاضرة ، وأنه فى الغالب سيكون على رأس المفاوضات البريطانيين فى المفاوضات الرسمية القادمة ((وكل يغنى على ليله)) .

٢ - وصل أمس الى باريس عبد الملك حمزه واسماعيل لبيب وهما من رجال الحزب الوطنى وقد حضرا من مصر فى مهمة سياسية على ما يظهر اذ يريدان أن يطلعا الوفد على الحالة الحاضرة فى مصر وبيان مدى الانقسام الخطير فى صفوف الامة وفى الراى العام المصرى وذلك لكي يعمل الوفد على تلافيه ، ومعهما خطابات على جانب عظيم من الاهمية الاول من مصطفى النحاس والثانى من عدلى باشا والثالث من ابراهيم سعيد باشا يعبر فيه عن رايه الخاص وراى اللجنة المركزية للوفد عامة .

٣ - ومن طريف المصادفات أن بريد اليوم قد حمل الى الرئيس طائفة من الرسائل تتحدث كلها عن مسألة انقسام الامة وانقسام الوفد وخطر ذلك ، والتوسل الى ضم الشمل وإزالة الانقسام وكل أسبابه محافظة على وحدة الامة وسلامة قضيتها . أخص بالذكر من هذه الرسائل ما يأتي :

خطاب من أمين الرافعي ، وخمسة خطابات من أعضاء في الجمعية التشريعية ، وثلاثة خطابات من جورج خياط ومحمد محفوظ باشا وحسين هلال بك المحامي ، وعريضة موقع عليها من ٣٥ من أعيان البلاد من الوجهين البحري والقبلي يرجون فيها الاكتفاء بما هو معروف الآن على الوفد ، ويلحون في ضرورة الاسراع بالموافقة على تأليف وزارة تضمّن اليها الامة وتمهد الطريق للمفاوضات الرسمية .

هذه الرسائل وقعت في نفس الرئيس أسوأ وقع ، وطلب الى أن أجمعها وأضعها في مظروف خاص أكتب عليه ((رسائل من دعاة التردد والهزيمة)) أو أكتفي بعبارة موجزة وهي ((مثبطات لهم)) .

٤ - في الساعة الحادية عشرة صباحا حضر الزائران (عبدالمكحزمة واسماعيل لبيب) الى مقر الوفد بشارع مارييف ، وقابلا أعضاء الوفد وتصادف أنهم كانوا جميعا مجتمعين ما عدا واصف غالي ، وشرحا لأعضاء الوفد حالة البلاد السيئة في الفرقة والانقسام وتبديل الافكار وحيرة الناس فيما يسمعون وفيما يصدقون ، وقد وجدوا من الأعضاء أذانا صاغية وقلوبا واعية ، بل لعلهما زادا أعضاء الاغلبية حجة جديدة قوية يقيمونها في وجه الرئيس سعد في جلسة الغد .

٥ - وفي المساء حضرا الى فندق الكونتنتال وقابلا الرئيس سعد وقضيا معه ساعة كاملة ، ولم يشأ الرئيس أن يناقشهما أو يحاول اقناعهما ، بل اكتفى ببضعة أسئلة وجهها اليهما ليستنير بالاجابة ويستعد بها لجلسة الغد كذلك .

٦ - ليس من المصادفات العجيبة أن يحدث كل هذا في اليوم السابق لجلسة الوفد المخصصة لمناقشة مسألة ((انقسام الامة وطريقة علاج هذا الانقسام)) ١١٩٩

الجلسة الاخيرة الحاسمة

١٢ يناير سنة ١٩٢١ :

تصور الحالة النفسية :

اكاد اميل الى الاعتقاد بأنه لولا انتظار ظهور تقرير ملنر لما ظل أعضاء الوفد متمسكين في هيئة واحدة حتى اليوم ، ذلك لان كثيرين منهم يريدون العودة الى مصر ويرون ان البقاء في باريس عبث لا طائل تحته . ومضيفة للوقت والمال ، وتغريب للناس بجلب الأمال .

وملنر قد رفع تقرير لجنته الى حكومته في ١٠ من ديسمبر كما نشرت جريدة التيمس ذلك في الشهر الماضي والتقرير يترجم في مصر الى العربية هذه الايام حتى اذا تمت الترجمة نشر في مصر وفي لندن في يوم واحد فالكلمة الآن للمترجمين في مصر .

ومع أن النشر قد أصبح منتظرا بين وقت وآخر فان الأعضاء قد نفذ صبرهم .. وأصبحوا لا يطيقون الانتظار وهم يريدون العودة ولكن بعد محاولة يائسة أخيرة عسى أن تنتج هذه المحاولة بعض الخير ، وهو تلافي انقسام الأمة بشكل من الاشكال وهذه المحاولة ستكون في جلسة اليوم .

هذه كانت خواطري وأنا أسير صباح اليوم من مسكني الى مكتبي وشعرت بأن كل فريق في الوفد يشكو من الانقسام ويطمع في الاتحاد والوثام ويخشى الشماتة وظهور الخصام ، اذن لابد من الكلام واستمرار الكلام ثم العودة الى تكرار الكلام ، ولا ملل من الكلام ولا يأس من عبث الكلام ، فعسى الله أن يحدث بعد ذلك أمرا .

كنت أول من وصل الى مقر الوفد فأشرفت على اعداد قاعة الجلسة مع صديقي الدكتور محمد صبرى السوربوني ، ثم توافد الاعضاء وهم متجهجون عابسون الا حمد الباسل وسينوت حنا فهما باسمان مشرقان ، دخل حمد الباسل قاعة الجلسة وكأنه داخل الى حجرة الطعام ، وكذلك كان صاحبه الرشيق الهندام ، ودخل عبد العزيز فهمي قاعة الجلسة وكأنه داخل قاعة محكمة للمرافعة في جريمة قتل عقوبتها الاعدام ، ودخل محمد على علوبة كمن يحمل بين يديه

سندات الادانة وصواعق الحجج وقوارص الكلام ، ودخل الرئيس سعد وعلى وجهه ملامح الاسد ونظرائه وكأنه داخل لمصارعة الثيران ، ودخل المكباتى منتفخ الوجه مفتول العضلات كأنه ملاكم أو مصارع أو كبير الثيران ، ودخل الفيلسوفان لطفى السيد ووافظ غالى وكلاهما مهموم كمن يفكر فى حضارة الدنيا وسخافة الانسان ، ودخل الصاحبان محمد محمود وعلى ماهر وكلاهما مهموم كمن يخشى معركة فيها ضرب وطعن ونيران .

فى جو الجلسة رهبة ورغبة وأمل وياس وعواطف مكبوتة مخنوقة مكتومة مستورة ولكنها معروفة كأنها منشورة غير مقبورة .

فى جو الجلسة توتر وحذر وهذه هى الخلاصة بكل ايجاز فى التصوير .

وفى هذا الجو عقدت آخر جلسة للوفد فى باريس .

عقدت فى الساعة العاشرة والنصف صباحا وانتهت فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .

قال الرئيس سعد :

((إن جدول أعمال هذه الجلسة يشتمل على مسألة واحدة هى مسألة ((انقسام)) ، انقسام الوفد على نفسه ، وانقسام الامة ، أما مسألة انقسام الوفد فالكلام فيها معاد وعبث لا طائل تحته . وأما مسألة انقسام الامة فقد شاء بعضكم أن يلقي تبعثها على كاهلى وحدى وهى التهمة الوحيدة فى خطابهم الباقية من غير تنفيذ ، ولكنها أوهى التهم جميعا لأنها باطلة ظاهرة البطلان ولا تحتاج الى كبير عناء لدحضها وتفنيدها . ان الذى يتمسك بمبدأ الاستقلال ويسعى جاهدا فى خدمته وفى سبيل تحقيقه تنفيذا لتوكيل الامة للوفد ، لا يمكن أن ينسب اليه اتهام بتقسيم الامة .

هذه التهمة الخطيرة انما تلبس كل من يجيد عن مبدأ الاستقلال أو لا يؤمن بفكرة الاستقلال أو لا يعتقد بإمكان الحصول على الاستقلال ثم يحاول التقرير بالامة على أن تقبل ما هو دون الاستقلال فيستميل اليه فريقا من أبنائها المستضعفين والهازلين والطامعين فى المناصب والمستعجلين لكسب المغنم ، والذين ليس لهم جلد على الجهاد وعلى ملاقات الصعاب فى خدمة قضية الاستقلال ، وقد ظهر

هذا الفريق في الامة بفضل صاحبكم عدلى ومساعيه الظاهرة والخفية ،
وفى الوفد فريق من الاعضاء يؤازرون عدلى • ويتمتعون بعطفه
وتشجيعه ويلحنون لحنه ويتجهون اتجاهه ويهدفون الى غايته ، ثم
وجد هذا الفريق الجراة على اتهامى وحدى بتقسيم الامة وسجلوا
ذلك فى خطاب أرسلوه الى)) •

ثم قال الرئيس ساخرا : ما اصدق المثل العربى ((رمتنى
بدائها وانسلت)) •

عبد العزيز فهمى :

((أرجو أن يتسع صدر الرئيس لنشرح له الموقف كما نراه وكما
هو فى الواقع واضعا للامور فى نصابها ، ولنحدد الحقائق التى تنفق
عليها والحقائق التى نختلف عليها ، ولا حاجة بنا الى الكلمات
الغاضبة والانفعال العقيم ، نتكلم أولا عن الوفد وانقسامه •

كلنا نعرف ونعترف ان الوفد قد انقسم على نفسه عدة مرات
فى الماضى •

الاول : عند مناقشة مسألة ، هل يفاوض الوفد لجنة ملنر
أو لا يفاوض •

والثانية : عند مناقشة مسألة ، هل ينتقل الوفد الى لندن
بعضه أو كله •

والثالثة : عند مناقشة مسألة ، هل تقطع المفاوضات أو لا تقطع
عند تسلمنا مشروع ملنر •

والرابعة : عند مناقشة مسألة ، هل أسفرت استشارة الامة
عن رغبات أو تحفظات •

((هذه كانت أهم دواعى الانقسام فيما مضى ، وانى أعلن الآن بكل
صراحة وتأكيد أنها زالت جميعا بسلام وانتهت على خير وجه ، وأصبح
الوفد متحدا الآن كما كان يوم تأليفه)) •

الوفد متحد وموافق بالاجماع على الحقائق الآتية :

١ - أن مشروع ملنر وحده لا يحقق الاستقلال فلا يمكن قبوله
بوضعه الراهن •

٢ - ضرورة قبول التحفظات كلها وهي ليست مجرد رغبات
يكفى بتحقيق ما يمكن تحقيقه منها .

٣ - عدم دخول الوفد في المفاوضات الرسمية المقبلة أو حتى
الاشتراك فيها ما لم يقبل الجانب البريطاني تعديل مشروعه على
أساس هذه التحفظات وفي طبيعتها النص الصريح على الغاء الحماية .

٤ - الحرص على التوكيل الذي حدد مهمة الوفد ، أى السعى
لتحقيق استقلال البلاد استقلالا تاما .

٥ - زوال سوء التفاهم الاخير بين الاغلبية والرئيس بسبب
ما اعتبرته الاغلبية ((سياسة انفرادية)) جديدة يجرى عليها
الرئيس ، وبهذا زال آخر خلاف وآخر انقسام فى الراى بفضل
بيانات الرئيس فى الجلسة الماضية .

فكيف يقول الرئيس بعد هذا كله ان انقسام الوفد مسالة
الكلام فيها معاد وعيث لا طائل تحته ؟

الخلاف فى الراى والانقسام فى الجماعة شيء طبيعى تستلزمه
حرية المناقشات وحرية الراى وحرية الاعتقاد فيما يراه الفرد خيرا
للبلاد ومصالحها العليا .

وزوال الخلاف وزوال الانقسام فى الجماعات شيء طبيعى
مادام الافراد لا يهدفون الى غير مصلحة البلاد العليا .

والخلاصة انه لا يوجد انقسام فى الوفد الآن ، لانه لا يوجد
اقل خلاف على غاية أو مبدأ ولا على خطة للوفد أو وسيلة لتحقيق
اغراضه ، وليس لاحد أن يشكو مما مضى من خلاف أو انقسام ، فما
فات مات ولنا الساعة التى نحن فيها .

واما الخلاف الوحيد الباقي فليس هنا وانما هو فى مصر ،
والانقسام الوحيد الباقي فليس هنا وانما هو فى الامة المصرية
نفسها . وهذا هو ما يشغل بالنا الآن ويقض مضاجعنا ، ولا بد
للوغد من عمل حاسم يقوم به لوضع حد لهذا الانقسام واعادة الاتحاد
بين صفوف المصريين)) .

سعد :

وما سبب هذا الانقسام فى الامة وما علاجه فى رايك ؟

عبد العزيز فهمى :

فريق من أبناء مصر يرون ضرورة الاسراع فى الدخول فى
مفاوضات رسمية مع الانجليز بعد تغيير الوزارة المصرية الحاضرة
التي ترهق الشعب بالمظالم وتقتل الحريات وتخضع للانجليز خضوعا
اعمى فيه اذلال للشعب وتضييع للحقوق الخاصة والعامه .

ثم فريق آخر من أبناء مصر يرون ضرورة التريث حتى يقبل
الانجليز أولا التحفظات ، ولكل فريق حججه التي يتحجج بها ،
والشعب موزع بين الفريقين وفي حيرة من أمره .

سعد :

((واى الفريقين تؤيد ؟

عبد العزيز فهمى :

انا اؤيد الفريق الاول .

سعد :

انا اؤيد الفريق الثانى ، وهكذا عاد الانقسام الى الوفسد مرة
أخرى .

محمد على علوية :

((ليس هذا انقساما وانما هو مجرد خلاف فى الموازنة والمعارضة،
مقارنة بين الفوائد والاضرار ، وبين المزايا والخسائر . وكما زال
كل خلاف فيما مضى سيزول هذا الخلاف كذلك ان شاء الله باعادة
الوحدة الى صفوف الامة كما عادت الوحدة الى صفوف الوفد)) .

سعد :

وما هو الاقتراح العملى الذى تقدمونه لتحقيق هذه الغاية
السامية ؟ .

عبد العزيز فهمى :

((ان يستنكر الوفد فى بيان قوى صريح بقاء وزارة توفيق نسيم
فى الحكم ونصرفاتها الفاشمة فى حكم البلاد . وان يطالب بقيام

وزارة تكون موضع ثقة البلاد واطمئنانها . وترعى مصالح الاهالى وحرىاتهم وحقوقهم ، وتمهد الطريق لاجراء مفاوضات رسمية بعد التفاهم والتعاون مع الوفد فى خدمة قضية الاستقلال . ان بياننا يوضع وينشر على اساس هذه الخطوط العريضة ، من شأنه أن ينقى الجو وينهى حالة التوتر والحيرة والبلبله والانقسام ، ويعيد الى الامة الوحدة والسلام والوثام .

سعد :

((لو ان المسألة كانت مقصورة على بيان ينطوى على مجرد استنكار وزارة قائمة ظالمة كريمة ، والمطالبة بالخلاص منها ومن تصرفاتها واجلائها عن الحكم واحلال وزارة أخرى مكانها ترعى الحقوق وتحترم الحريات وتحكم بالعدل والانصاف ، لما ترددت لحظة واحدة فى الموافقة على اصدار بيان بهذا كله ، رحمة بالبلاد وبالعباد ، ولكن للمسألة ناحية أخرى ليست بسيطة ولكنها خطيرة وسيكون لها آثار بعيدة المدى على قضية الاستقلال)) .

المكباني :

((وما هى هذه الناحية التى تخشاهما ؟)) .

سعد :

((ان الهدف الذى ترمون اليه هو التمهيد لقيام عدلى بتأليف هذه الوزارة الجديدة ، وليس فى مصر كلها ولا فى بريطانيا نفسها من يرى غيره رئيسا للوزارة المقبلة ، فالجميع يعرفون هذا تمام المعرفة ، وأرى أن اصدار بيان على الاسس التى تقترحونها معناه فى الحقيقة والواقع اعلان الثقة بعدلى بطريق غير مباشر ومن غير حاجة الى ذكر اسمه ، وقيام عدلى برياسة الوزارة معناه فى الحقيقة والواقع توليه امر المفاوضات الرسمية بغير الشروط والقيود التى وضعها الوفد لضمان صلاحية هذه المفاوضات .

وانكم لتعلمون كما اعلم ، أن عدلى راض عن مشروع ملنر وغير راض عن التحفظات ، ثم هو لا يؤمن بقضية الاستقلال ولا بإمكان الحصول على الاستقلال ، فترك الامور بين يديه مع تأييدنا له واعلان الثقة به بطريق غير مباشر فيه خطر شديد على قضية الاستقلال وعلى

مكانة الوفد وسمعته ، ولا عذر لنا في ارتكاب أخطاء خطيرة كهذه ونحن نعلم سلفا كل ما سيصدر منه وينجم عنه وما سيكون . فهل هذا يرضى ضمائركم ؟)

انى اسالكم بكل اخلاص وادعوكم الى التأمل والتدبر بهدوء فيما أقول))

عبد العزيز فهمي :

((ما دمت قد لجأت الى ضمائرنا بالسؤال ، فما هي ضمائرنا تتولى الجواب وتعلن في صراحة واخلاص أن عدلى خير مصرى يمكن أن يتولى الوزارة في هذه المرحلة التى تجتازها البلاد وقضية الاستقلال ، وذلك للأسباب أو الاعتبارات الآتية :

١ - أن عدلى رجل شريف ونظيف ولن يحكم البلاد بالظلم والاعتات والجبروت ولن يخضع للانجليز في سياستهم القائمة على السلب واذلال أهل البلاد ونشر الرعب والارهاب فى كل مكان .

٢ - ان عدلى بشخصيته وأعماله وتعاونه مع الوفد هذه المدف الطويلة قد أصبح موضع احترام وثقة من المصريين والانجليز على السواء .

٣ - ان عدلى أكثر فهما لقضية البلاد من كثيرين بل من جميع المصريين الذين يصلحون لرياسة الوزارة فى الوقت الحاضر . ولا أعرف أحدا فى مصر الآن مثله أو يدانيه فى حسن السياسة وحسن الأسلوب وفهم ظروف المفاوضات كلها .

٤ - ان عدلى لن يقبل مشروع ملنر الآن بعد أن علم علم اليقين أن الوفد بالاجماع لا يقبله الا بالتحفظات ، ومحال على مثل عدلى باشا أن يتحدى الوفد ورئيس الوفد والامة المصرية فيقبل ما دون الاستقلال كما يفعل غيره لو كان رئيسا للوزارة فى الظروف الحاضرة .

٥ - ان عدلى أقدر من غيره على اغراء الانجليز على التساهل ، والانجليز أميل الى التساهل معه لاجابهم به وتقديرهم له .

٦ - ان ما بيننا وبين عدلى من صداقات وصلات كفيل باستمرار التعاون بيننا وبينه .

وانى أستطيع يا سيدى الرئيس أن أسرد مزيدا من الاسباب والاعتبارات التى ترجح كفة عدلى على غيره ، ولكنى أكتفى بما قلت فلعل فيه بعض الاقناع)) .

سعد :

((اذا صح أن لعدلى كل هذه الحظوة لدى الانجليز ، وأنه أقدر من غيره على حمل الانجليز على التساهل معه وأن الانجليز أكثر ميلا الى التساهل معه لحسن أسلوبه الذى أثار إعجابهم وإعجابكم ، فلماذا لا يدلى بحديث فى الجرائد يشير فيه الى أن من رأيه أن تجرى المفاوضات الرسمية على أساس مشروع ملتر بعد تعديله بالتحفظات ؟ . . انه اذا صرح بذلك فانى أعلن فوراً تأييدى لعدلى صراحة ، بل أعلن أكثر من ذلك وهو انى لا أرى حاجة لاشتراكى أو لاشتراك الوفد فى هذه المفاوضات الرسمية . فهل هو مستعد لان يدلى بحديث كهذا ؟

اما اذا ظل مشروع ملتر لم يعدل بالتحفظات ، او اذا لم يعد من الآن بأنه سوف يعدل على أساسها ، فانى اشعر بانى أخيب الأمة وأغرر بها حين أضع ثقتى فى من يتقدم للدخول فى المفاوضات الرسمية بغير شرط أو قيد)) .

محمد على علوبة :

((ان الوفد سبق أن قرر أنه لا يدخل فى أية مفاوضات رسمية أو يشترك فيها ما لم تقبل تحفظات الأمة وفى طبيعتها النص على القاء الحماية .

ولكن الوفد لم يقرر قط أنه سيعاكس ويحارب كل من يدخل فيها من المصريين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أرى أن الوفد مقيّد بتوكيله وهو السعى للحصول على الاستقلال التام ، وقد وضع شروطاً وقيوداً لاشتراكه فى المفاوضات الرسمية ولكن ليس معنى هذا ولا من مستلزماته أن يحارب الوفد كل مصرى يعمل ويسعى للحصول على الاستقلال بطريقته الخاصة ومن غير أن يلتزم بشروط أو قيود ، وليس للوفد فيما أعتمد أن يلزم غيره بقبول شروطه وقيوده . وليس من المعقول أن يعرقل الوفد مساعى من يريد العمل لخير البلاد فى حدود الممكن وطبقاً لأرائه ومعتقداته)) .

سعد :

((انا لا افهم مطلقا كيف يمكن للوفد أن يجرى على سياستين متناقضتين كل التناقض متباينتين كل التباين :

الاولى : سياسته الخاصة التى تقوم على أساس رفضه للمفاوضة الرسمية الا بشروط .

الثانية : سياسته ازاء عدلى وتأييده للقيام بالمفاوضة الرسمية من غير شروط .

ان العقل والواجب والمصلحة كلها تقضى بضرورة اتباع السياسة التى هى انفع واصح واحكم ، فاذا كانت خطة عدلى وسياسته خيرا من خطة الوفد وسياسته ، فلماذا لا يدخل الوفد التعديل اللازم على سياسته وخطة حتى يتم التلاؤم والتوافق ويمتنع التباين والتناقض ؟)) .

المكباتى :

((ان الوفد يجب أن يتمسك بسياسته وخطته محافظة على ((الايديال))

احمد لطفى السيد :

((ما الضرر من الدخول فى المفاوضات الرسمية بواسطة هيئة أخرى غير الوفد ؟ ان الوفد يشترط شروطا معينة لقبول هذه المفاوضات ودخوله فيها منفردا أو بالاشتراك مع غيره ، وهذه الشروط غير مقبولة الآن من الجانب الانجليزى ، ونحن نعلم أن السياسى يعز عليه أن يرتبط بشيء ما مقدما ، فما هو الضرر من ترك مسألة التحفظات الى المفاوضات الرسمية نفسها بدل التثبيت بضرورة قبولها قبل هذه المفاوضات ؟

نحن نعلم أن ملتر قال إنه لا يمكن رفض أية مسألة أو أى طلب لا ينطبق على روح المشروع ، وفى المشروع استقلال ، والاستقلال لا يوجد مع الحماية ، وقد فهمت الامة من المشروع سقوط الحماية . بهذا كله يستطيع المفاوض المصرى الرسمى أن يورط الانجليز ويحملهم على القبول)) .

سعد :

((ان كلام الاستاذ لطفى السيد لا يعتبر ردا على ملاحظاتي .

لقد قلت انه من السخافة أن يجري الوفد على سياستين مختلفتين متناقضتين ، يقبل المفاوضة بشروط ، ويبسجها لعدلى بغير شروط .
ان هذا الاختلاف وهذا التناقض لا يستسيغهما العقل .

اما كلام لطفى بك فلا يخرج عن مجرد التساؤل .

وما هو الضرر من اتباع سياستين مختلفتين متناقضتين ؟

والجواب على ذلك واضح كل الوضوح لا يحتاج الى شرح او بيان ولا الى تعليق وتعقيب)) .

عبد العزيز فهمى :

انت وحدك الذى وضعت هذه الشروط وهذه القيود ، والوفد وافق عليها فى النهاية . وما ذلك الا رغبة من الاغلبية فى تأييدك ومحافظة على وحدة الوفد ، ودرا للانقسام ولم تكن موافقة الاغلبية عن اقتناع اكيد وعقيدة جارية بضرورتها وصوابها ، وما دمت لا تريد العدول عنها فلا مندوحة من وجود سياستين مختلفتين ولا ضرر من ذلك كما ابان صديقى لطفى السيد .

اما اذا كان قصدك بالعدول عن احدى السياستين هو اتباع سياستك وحدها وقبول عدلى لشروطك وقيودك مع علمه بأن الجانب البريطانى يرفض حتى مجرد النظر فيها قبل المفاوضات ولا يرى مانعا من مناقشتها فى أثناء المفاوضات ، فهذا هو الذى نعتبره غير مقبول ولا نرى فيه أية مصلحة ، بل المصلحة فى اتباع السياستين فى وقت معا وهناك حجج وجيهة تؤيد كلتا السياستين وتسوغ وجودهما جنبا الى جنب)) .

سعد :

((الان انتم تستسيغون هذا المنطق العجيب وهذا الموقف المريب !!

الوفد يضع لنفسه شروطا وقيودا يلتزم بها وبتنفيذها بالنسبة للمفاوضات الرسمية ، ثم هو فى الوقت نفسه يخلى لعدلى الميدان بلا شرط او قيد بالنسبة للمفاوضات الرسمية .

او بعبارة اخرى : الوفد لا يثق بنفسه فيحتاط ويتحفظ ولكنه يثق بعدلى ويؤيده من غير احتياط او تحفظ .

الوفد يتخل عن مهمته الاساسية وواجبه الاول في معالجة قضية الاستقلال وخدمة البلاد ، ثم يخلع هذه المهمة وهذا الواجب على عدلى يفعل بالقضية ما يشاء .

الوفد يقضى نفسه عافدا متعمدا عن ميدان الجهاد والسياسة والمفاوضة ويقف متفرجا ثم يترك عدلى يلعب فى الميدان مؤيدا بثقة المتفرجين من رجال الوفد المسئولين .

امقبول هذا ؟ امعقول هذا ؟ هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول ؟)

وهنا سكوت الرئيس . . . وهنا اضطربت الجلسة واخذ جوها يتكهرب فتجهمت الوجوه وتوترت الاعصاب وتحفزت الالسنه للكلام ، كما تتحيز الاسنة للصدام . ولكن الله اوحى الى عبده حمد الباسل ان يقترح رفع الجلسة لينفذ الموقف من الانفجار لا سيما انها جاوزت الساعتين او كادت اذ بلغت الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .

وافق الرئيس فوراً وانتفض قائما بعد ان رفع الجلسة .

ووقف الاعضاء وبدأ الانصراف بعد سلام ليس فيه سلام .

وتفرق الاعضاء وفى النفوس ما فيها من خيبة امل وجفاء وكمد وخصام .

انى اشعر ان جلسة الامس كانت جلسة قوية غاية القوة تصارعت فيها الحجج وتصارعت فيها العقول وتصارعت فيها العواطف وتبارزت فيها الشخصيات بعد ان عبت لها القوات وتمت فيها الاستعدادات للنصر المبين ، ثم انتهت معركة الجلسة الى غير نتيجة ايجابية فكانت النتيجة سلبية تركت كل فريق فى مكانه لا يتحزج عنه قيد انمله واشعر كذلك ان ختام الجلسة كان رائعا قويا غاية القوة بصفة خاصة ، وتجلت هدية الرئيس سعد فيها اعظم جلاء

نستمع المتكلم الاول فنسلم بصحة وجهة نظره ، ونستمع الى المتكلم الثانى فنقتنع بقوة حجته ، ونصفي الى الثالث ثم الرابع ثم الخامس فنجد لكل منهم رأيا وجيها لاشك فى وجاهته ثم ينتهى سعد على غير انتظار بكلام فيه رصانة وقوة سخرية واقناع بغير اقلداع .

كانت الجلسة كأنها حفلة موسيقية سيمفونية كبرى بدأت هادئة بأنغام وأدعة ، ثم أخذت تعلو وتعلو وتتفرع وتنوع ، ثم تعلو وتزداد علوا ولا تهبط مرة واحدة ، ثم تنزح كالبحر العجاج المتلاطم الامواج ، ثم تعلو وتعلو الى ذروتها فكانها رعد وبرق ، ثم تقف فجأة وفي النفس ما فيها من آثارها الساحرة المثيرة فسبحان من وزع المواهب ، وسبحان من نوع المذاهب ، وسبحان من علم الانسان ، علمه بالقلم واللسان ، وجمله بالاخلاق والفصاحة وكمله بحسن البيان وقوة الجنان .

والموقف الآن يتلخص في جملة أو جملتين :

معسكر الأغلبية في الوفد يوافق الرئيس على سياسته القاضية بامتناع الوفد عن الدخول في أية مفاوضات رسمية أو الاشتراك فيها ما لم توافق الحكومة البريطانية على أن مشروع ملر سيعدل بالتحفظات .

ومعسكر الاغلبية هذا يخالف الرئيس في عدم تأييده لعدلى ، وعلى الاقل في عدم تركه لعدلى في سلام حتى يؤلف الوزارة الجديدة ويتولى امر المفاوضات الرسمية ، كما يخالف الرئيس لامتناعه عن اصدار بيان للامة يهدف الى تمهيد الطريق أمام عدلى .

هذه هي الازمة التى لا حل لها ولا مخرج .

وهذه هي الصخرة التى سيتحطم الوفد عليها لا محالة فلننتظر وننتظر ، عسى أن يحدث الله بعد ذلك أمرا .

رأى الرئيس في عدلى وتوفيق نسيم :

قال لى الرئيس اليوم في أثناء تناولى الشاي معه بعض المعانى الكاشفة الحاسمة :

١ - أنهم يظنون أنهم يستطيعون حملى على قبول ما لا اعتقد فيه ، أنهم يعتزون بأغليبيتهم ، ولكن لن أخضع لهم أبداً .

٢ - ((انى لا أثق في عدلى مطلقا ، وهو عندى كتوفيق نسيم وغيره من خدام رجعية السلطان واموان الانجليز ، بل لعل

هؤلاء خير من عدلى لانهم معروفون في الامة بعدواتهم لها والعمل على كيدها ، والامة لهم متريصة متيقظة ، واما عدلى فيعتبر صديقا للامة ، ولا يكون عليه من العيون الساهرة والنفوس الساخطة المراقبة كالتى تكون لغيره .)

علوبة يكشف عن اهور كثيرة :

١٤ من يناير سنة ١٩٢١ :

علمت من الاستاذ محمد على علوبة انه اعتزم العودة الى مصر هو وجميع اعضاء الاغلبية وذلك في يوم ١٩ يناير ، ونصحني وهو غاضب وساخط على الرئيس ان اتركه وان اعود الى مصر كذلك واستأنف تربية (رجال الغد) على حد تعبيره ، اى ان اعود الى مهنة التدريس ، فلم انبس بكلمة وأطرقت في سكوت وكمد .

ثم قال لى : ((انه لا يعرف ما ينبغي عمله بأموال الوفد التى هى أموال الامة .))

فسألته عن مبلغها ، فقال : ((انها حوالى ٨٠ ألف جنيه ، وان كل ما جمع من مصر لم يتجاوز ٢٠٠ ألف جنيه .

فلم ابد رأيا ، لانى لا أحب أن ابدى رأيا على البديهة وعلى سبيل التطوع والفضول .

وبعد فترة ساكنة ساهمة حزينة قال :

((اليس الخير لمصر أن يترك الوفد عدلى يسعى ويعمل من ناحيته بينما الوفد يسعى ويعمل من ناحيته الأخرى ، والمسيحان لا شك يفيدان البلاد . عدلى يخدم مصلحة عاجلة ميسورة ، والوفد يخدم مصلحة آجلة عسيرة ، والمسيحان والعمالان يتعاونان ويكمل أحدهما الآخر)) .

فقلت : ((هل تقصد أن عدلى يسعى ويحصل على ما يمكن الحصول عليه دون الاستقلال ، والوفد يسعى ويجاهد حتى يحصل على الاستقلال)) .

فقال : ((هو ذلك . ومع ذلك فمن يدرى لعل تشبث ملنر ولجنته بموقفهم هذا من رفض الموافقة سلفا على التحفظات

انما يرجع الى عدم رغبتهم في مفاوضة سعد في المستقبل نظرا لخشونته وتصلبه ، انه أخرج ملنر أكثر من مرة وضايقه ، كما ان ملنر لم يعامل سعدا كما يجب أن يعامل به كزعيم كبير، ورجل خطير . هذا ولا شك عندي في أن الانجليسز سيتساهلون مع صديقهم عدلى السياسى الناعم المذهب ويسلمون له بما لا يمكن أن يسلموا به لسعد الخشن المتشدد . ما الضرر اذا جربنا ذلك واحتفظنا بوحدة الوفد ووحدة الأمة)) .

فقلت : ((لماذا لا تؤجلون السفر حتى يتم بحث هذا الموضوع .))

فقال : ((لا يا سيدى كفى اجتماعات وانفعالات ، انبأ مسافرون الى مصر لا محالة في ١٩ يناير)) .

١٥ من يناير سنة ١٩٢١ :

انتقل الرئيس اليوم من مسكنه المؤقت في فندق الكونتنتال الى شقة مفروشة في منطقة التروكادبرو ، والشقة الجديدة بعيدة جدا عن مقر الوفد (في شارع مارييف) ، وقد قضيت النهار كله مع الرئيس لاشرافي على عملية الانتقال (العزال) . وعندما أقول (بعيدة جدا) أقصد انى لا أستطيع الوصول اليها مشيا من مقر الوفد خشية ضياع الوقت فلا بد من الذهاب اليها بالأتوبيس وهو دائما مزدحم جدا في وقت ساعات العمل التى أنتقل فيها .

جريدة المورننج بوست تشوه حديثا للرئيس :

١٦ من يناير ١٩٢١ :

جريدة المورننج بوست : الجريدة المسعورة للاستعماريين البريطانيين المحافظين نشرت اليوم خلاصة حديث ادلى به الرئيس الى (أحمد نجيب) ونشرته جرائد مصر مع جريدة الاخبار منذ يومين أو ثلاثة ، وقد تعمدت الجريدة المسعورة أن تنشره مقتضا محرفا مشوها ثم علقت عليه بأن الحديث يكشف عن تغيير أساسى في خطة التعنت التى سار عليها زغلول باشا حتى اليوم ، واعتبرته نزولا على رأى عدلى بحجة ان الرئيس سعد قد اكتفى لقبوله الدخول في المفاوضات الرسمية أن يحصل على وعد (مجرد وعد) بأن تتضمن المعاهدة المنشودة نصا بالفداء

الحماية بدل ان تلغى الحماية من الآن كشرط أساسى ابتدائى .
والرئيس لم يقل هذا ولم يقل شيئا قريبا منه كما اخبرنى بذلك
.. وسأنتظر حتى تصل الينا الجرائد الرسمية واسجل فى
مذكراتى هذه كل الحديث من اوله الى آخره . فلا فائدة من
محاولة تلخيصه الان .

قلت للرئيس : الا تريد ان تنشر تصحيحا لهذا التلخيص
والتعقيب والتشويه الذى تعتمد به هذه الجريدة الاستعمارية ؟

فقال : كلا : ان الحديث الصحيح منشور فى الجرائد المصرية ،
فليرجع اليه من شاء . سيتضح كذب هذه الجريدة وتلفيقها وسوء
نيتها بغير مجهود منى عندما يتقصى المسئولون وغير المسئولين
بحثا عن الحقيقة . وهذه الجريدة تعتمد التشويه ، وليس اسمى
من الذى لا يريد ان يرى .

الفصل الرابع

ستة أعضاء اتفقوا على العودة الى مصر

١٧ من يناير سنة ١٩٢١ :

ذهبت هذا الصباح الى مقر الوفد في شارع مارييف كالعادة ، وبعد ساعة من وصولي أو بعض ساعة حضر الأعضاء متفرقين كأنهم على موعد لعقد جلسة .

ولم يحضر الرئيس وعلى ماهر وواصف غالى وسينوت حنا .

وحضر جورج دوماني وتسلم منهم جوازات السفر وأخبرني أن الأعضاء المعارضين للرئيس قد عزموا نهائيا على السفر الى مصر يوم ٢٠ الجازي ، وأنه ذاهب الآن لشراء تذكرة السفر برا وبحرا .

وشاهدت بين الأعضاء اضطرابا غير عادي وهو أشبه بالاضطراب والحركة السابقة للسفر الى لندن .

وبعد قليل دخل صديقي محمد على علوبة مسلما بشوشا كعادته .

فقلت له : ((يظهر انكم مصممون على السفر)) .

فقال : ((ان الحالة أصبحت لا تطاق ولا تحتمل . ان الرئيس يهملنا ولا يقيم وزنا لرأي الأغلبية ، ولا يريد أن يتفاهم معنا . فالرأي رايه ، ويجب أن ننزل جميعا على حكمه ، أما هو فلا يحيد قيد شعر عن رأي كونه لنفسه ، ثم ان حديثه الأخير المنشور في مصر والذي لخصته جريدة المورننج بوست قد كشف عن سياسة جديدة له ، اذ يقول فيه ((ان الحكومة البريطانية اذا وعدت بأن تتضمن المعاهدة نصا بإلغاء الحماية فان الوفد

يتدخل في المفاوضات الرسمية . مع ان الوفد سبق ان قرر أنه لن يدخل في هذه المفاوضات ما لم تقبل جميع التجفظات . ثم استطرد فقال : سواء اكانت سياسة الرئيس الجديدة صوابا أم خطأ فليس هذا موضوع الخلاف وانما المهم انها سياسة جديدة انفرد بها واذا دعاها وكان يجب ان يأخذ رأى الوفد فيها قبل ان ينشرها)) .

فقلت : ((يقينا ليس هذا سبب عزمكم على العودة الى مصر))

فقال : ((بل هذا سبب جديد يضاف الى الاسباب العديدة الأخرى التى تبرر عودتنا الى مصر)) .

وهنا حدثتبه بما دار بينى وبين الرئيس امس بخصوص ما نشرته جريدة المورنج بوست ، واكدت له ان هذه الجريدة قد عمدت تلخيصه خطأ ونشرته بعد تشويه وتحريف .

فقال : ((ولماذا لا يسرع الرئيس ويجمعنا ويعرض علينا الحقيقة ؟ او لماذا لا يرسل الينا نصر حديثه انطلق عليه وهذا أقل ما ننتظره منه . ا «

ثم قال في مرارة ظاهرة : ((الحقيقة هى اننا اصبحنا لا نستطيع التفاهم مع هذا الزعيم وهو يعتقد أنه دائما على حق وصواب . واننا دائما على خطأ وضلال وليس بيننا حكم يحكم فيما ينسب بيننا من خلاف . وفى كل الجماعات والاجتماعات كما تعلم . رأى دائما للأغلبية ، فالأغلبية يجب أن تحترم وتطاع . والأقلية يجب ان يسمع رأيها . أى أن للأقلية الحق كل الحق فى حرية الكلام ، وللأغلبية الحق كل الحق فى تنفيذ رأيها وقراراتها بهذا تقضى القواعد الديمقراطية ومبادئها وتقاليدها، بل بهذا يقضى النظام وبغير هذا يستحيل العمل ويستحيل التضامن ويصبح الأمر استبداد وفوضى ، وهذا ما وصلنا اليه الآن . وليس هناك حال أسوأ من هذا الحال ، والاستمرار عليه من المحال « .

وهنا دخل صديقى الدكتور محمد صبرى (السوربوى) ومعه جريدة (الاوفر) الفرنسية واطلعنا على برقية مطولة نشرتها الجريدة لمراسلها فى القاهرة وخلاصتها ان الاستياء اصبح شديدا وما يزال يشتد ضد الوفد بين صفوف المعلمين وان المظاهرات قامت فى دمنهور والاسكندرية منادية بسقوط الوفد . وهاتفه بحياة الحزب الوطنى .

ولما كان قد حان موعد ذهابي الى الرئيس في مسكنه ، استأذنت من الاستاذ محمد على علوبة في أن أنقل الى الرئيس حديثه معي مخففا ملطفا ، فاجاب مسرعا بل انقله اليه بغير تأطيف ولا تخفيف .

واستأذنت من الدكتور صبرى في أن يعطيني هذا العدد من جريدة الاوفر لاطلع الرئيس على برفية مراسلها ، فلم يتردد في اعطائي اياها .

وبعد نصف ساعة كنت مع الرئيس في حجرة مكتبه وكان يطالع بعض الجرائد الفرنسية الصادرة صباح اليوم ، فلما دخلت عليه القى بها جانبا لانه يعرف انى احمل اليه جديدا من اخبار الجرائد الانجليزية كل يوم .

قصصت على الرئيس كل ما شاهدت في مقر الوفد وكل ما سمعت وكل ما عرفت وقد دهش كثيرا من قرار الاغلبية على العودة الى مصر ، واطرق مفكرا كمن سمع نبا فاجعا ، ثم رفع راسه بعد قليل وقال :

(('ولا يحق المكر السبيء الا باهله)) . يا سبحان الله : اهم الذين يتمسكون بالتحفظات الآن لا انا . وهم الذين روجوا مشروع ملنر في مصر ، وتطوعوا بالزيف والبهتان في تفسير مواده . وهم القائلون بتأييد عدلى وسياسته معروفة)) .

ثم اخذ الرئيس يضحك في سخرية واستهزاء ، بل لمحت في ضحكته شيئا اكثر من السخرية والاستهزاء : فيها مرارة وكمد ، وفيها ضيق وخرج ، وفيها ذكريات مؤلمة ومخاوف من متاعب مقبلات . ثم عبس الرئيس وتجهم وقال في جسد ظاهر :

اعمل لخير مصر

((انهم يريدون اسقاطي بمحاولة اتخاذ هذا الحديث سببا للعودة الى مصر وقد كانوا راغبين في هذه العودة من زمان طويل ولكنهم لم يجدوا فرصة ملائمة ، وقد وجدوها الآن ، انا لن اسقط ابدا لانى ما عملت ، ولن اعمل الا ما اعتقد انه في مصلحة مصر . فان كان في حركتهم منفعة لمصر فانا راض كل الرضا ، وان لم يكن فلازم ما اراد الله وقوع هذا الانقسام ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . ان هذه الازمة قد طالت واحتدت

واشئتد ولو بقيت على حالها هذا لما انحلت ، انا في الحق
على صخرة والله لآبد أن ينصرنى)) •

أحبست في هذه الكلمات ثقة بالنفس وإيماننا بالله : ثقة
لا تتزعزع ولا تتزحزح ، وإيماننا يزداد في الملمات ، ويتضاعف
في الازمات المدلهمات ، ولعل هذه من أكبر مظاهر هذا الزعيم
العظيم •

وانتهزت فرصة سكوت الرئيس لحظة وقلت : ان احتجاجهم
على خلاصة حديث نشره جريدة انجليزية استعمارية سيئة
النية معروفة المأضى في تشويه كل شيء وطنى مصرى لسخافة
ما بعدها سخافة ، وسيدركون خطاهم وسخفهم عندما يطلعون على
نص الحديث كما نشرته الجرائد المصرية فلا تحزن يا سيدى ولا
تبتس ، إنما الشيء الذى عليه مسحة من الصحة والوجاهة هو
افتزازهم بأغلبيتهم وزعمهم عدم احترام الرئيس لراى الاغلبية •

هنا قاطعنى الرئيس وصرخ في وجهى وثار كأنى انا صاحب
هذا الراى أو كأنى أو من بصحته ولم يتركنى حتى اكمل كلامى
واعبر من كل ما في نفسى ، وقال في عبوس وتجهم :
((ماذا تقول ؟ فقلت : هذا ما يزعمون وهذا ما سيبنون عليه
قضيتهم في مسألة الانقسام والعودة الى مصر)) •

الحق بين الاغلبية والاقلية

فقال في غضب :

((ان ما قاله صاحبك محمد على علوبه كلام فارغ في حالتنا
الراهنة •

هل اذا وافقت الاغلبية على بقاء الحماية ، يخضع الرئيس
لهذه الاغلبية لانها اغلبية ؟

هل اذا وافقت الاغلبية على مشروع ملئ ، يطيع الرئيس
هذه الاغلبية لمجرد انها اغلبية ؟

هل المسألة مسألة ارقام واعداد حسابية يخضع لها الانسان
ويطيع طاعة عمياء ، ام هى مسألة مبادئ وعقائد لا مجيد عنها
ولا مناص ؟

لو أن لكل أغلبية الحق المطلق في انتزاع الموافقة والطاعة لها لما حل برلمان خذلت أغليبيته رئيس الوزارة باقتراع عدم الثقة به، ولكن الرئيس الذي يؤمن بأنه على حق يحل هذا البرلمان ويلجأ إلى الشعب لاعادة الانتخابات على أساس الموضوع الذي ثار الخلاف من أجله بين الرئيس وهذه الاغلبية . وفي احيان كثيرة جدا تسفر الانتخابات عن فوز رئيس الحكومة وسقوط أعضاء هذه الاغلبية .

ولو أن كسل اغلبية تنال ما تريد ، وتحضّع لسلطانها كل رئيس مخالف لها ، وكل أقلية معارضة ، لها التآمر عدد من الأعضاء نزولاً على مصلحة مشتركة يستفيدون منها ، وكونوا منهم عصابة واغلبية في اية شركة أو اية جمعية ، وحاولوا بهذه الاغلبية تحقيق منافعهم الشخصية وخدمة أهوائهم الذاتية وادراك أغراضهم الخاصة ونيل ما يشاءون من المكاسب . ولكن المسألة ليست بهذه الفوضى ، فهناك قوة تردع الاغلبية وتكبح جماحها ، وتقلم أظفارها وهي المصلحة العامة . فإذا آمن انسان كما يؤمن بأن الاغلبية قد تنكبت طريق المصلحة العامة ، وضلت سبيل الجماعة وهو طريق الإرشاد ، وخرجت على القانون الذي يحكم أو التوكيل الذي يحدد الحدود ويقيم السدود في وجوه الطامعين والناخبين، هنا تجب الثورة على هذه الاغلبية ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق أو مخالفة القانون .

وهذا هو الحال بيني وبين هذه الاغلبية التي يعتز بها صاحبك محمد على علوية ، وأما بقية كلامه عن حقوق الاغلبية وحقوق الاقلية وواجباتها فكلام محفوظ في الكتب ويدرسه الطلبة في المدارس ويطبق في الشؤون العامة حين تخدم هذه الشؤون في حدود القانون وحدود النظام والخير العام ، اليس كذلك ؟
يمكنك أن تعود الى صاحبك محمد على علوية وتبلغه بهذه الحقائق ، وهذا لكلام الصريح »

ثم سكت الرئيس عن الكلام .

سعد يرفض

وبعد الظهر حضرت الى مسكن الرئيس وحضر على ما هـر وواصف غالى وسينوت حنا ، وانصرفوا في الساعة الثامنة وعقب انصرفهم دعاني الرئيس وقال لي :

((هل تعرف آخر الأنباء : فقلت ارجو أن اعرفها الان . فقال صاحبك : ان الاعضاء العائدين يقترحون ألا يشترك في المفاوضات الرسمية الا انا وعبدلى على أن أظهر الرضا عن ذلك . فرفضت ذلك رفضا باتا)) .

فقلت : ((حسنا فعلت)) . ثم أخذ يضحك من أعماق قلبه .



١٨ من يناير سنة ١٩٢١

انى اشعر شعورا غامضا بان أحداثنا جساما ستقع في الايام المقبلة .

بهذا الشعور آويت الى فراشى ليلة امس ، وصحوت اليوم متخادلا الاعضاء ، ولا عجب فقد كان نومى غرارا ، فيه ارق واحلام .

وفي الساعة الثامنة والنصف صباحا كنت في مقر الوفد جالسا امام مكتبى اطالع الجرائد الانجليزية ، واجمع ما فيها من مصر واترجمه الى العربية لأعرضه على الرئيس كالعادة . وفي الساعة التاسعة والرابع دخل صديقى الدكتور حامد محمود ، فسلم مهلا على طريقته ، وبعد قليل من سماعى اخبار غزواته تذكرت ما كان من أمره او ما توهمته في أمره ، فسألته لا سؤال الجاهل المستفسر بل العارف المتبصر .

- لماذا يا حامد سمحت لنفسك أن تخبر الرئيس بأن محمد على علوبه صديقى واننى كثير الاجتماع به ؟

فقال : اليس هذا صحيحا ، وهل تنكر ذلك أو تريد أن تخفيه)) .

فقلت : كلا . . انا لا انكر ذلك ولا اخفيه .

فقال : ولماذا اذن تعالبنى وقد أخبرته بعد أن سألنى .

فقلت : أنا لا أعاتبك وانها أريد أن أعرف المناسبة التى قبل فيها ذلك .

حامد : ((هل تذكر يوم أن مسكونى فى المصيدة : يوم أن نزلت الى كافيه فوكيه للجلوس معك .

وكان هناك محمد على علوبه والمكبائى وحمد الباسل وسالونى وضايقونى واهرجونى بمناسبة سفرى الى انجلترا لمقابلة مستر بلنت ، ولم أجب على أسئلتهم وانكرت كل شيء ؟))

فقلت : اجل اذكر كل ذلك ، وكان هذا في يوم ٨ يناير مساء .

حامد : في اليوم التالي قابلت الرئيس وقصصت عليه كل شيء فسالني .. هل كامل معتاد الجلوس مع هؤلاء الاعضاء الثلاثة ؟

فقلت : كلا .. كامل معتاد على الجلوس مع محمد على علوبة فقط وهو صاحبه .

فقلت : ((يا حامد .. انت تعرف اني انزل بعد الغشاء للجلوس في كافيه فوكيه للراحة من تعب اليوم واعماله . ثم اعود للنوم . فاذا اتى احدهم وجلس معي فهل معنى ذلك انه صديقى ؟))

حامد : ((هل انت مستاء منى ؟))

فقلت : ((كلا لست مستاء منك ؟))

حامد : ((ولماذا هذه المناقشة ؟))

فقلت : كلما ورد اسم محمد على علوبة على لسان الرئيس نظر الى وقال (صاحبك) ثم يوجه الانتقادات اليه .

حامد : انا انصحك ان تقلل اجتماعاتك به وبغيره .

فقلت : «لن افعل ذلك ، والرئيس يعلم اني اريد ان اكتب تاريخ المفاوضات وحياة الوفد في لندن وباريس ولا بد ان احيط علما بكل التفاصيل ومن جميع الاطراف »

والآن قد حان موعد ذهابي لمقابلة الرئيس في مسكنه .

وبعد نصف ساعة كنت مع الرئيس اعرض عليه ما ترجمته هذا الصباح فلما فرغت . املى على الخطاب الاتي لارساله الى طاهربك اللوزى في القاهرة :

خطاب الرئيس الى طاهر اللوزى :

باريس في ١٨ من يناير سنة ١٩٢١ :

عزيزى طاهر بك

أهديك سلامي وبعد ، فقد وصل خطابك الاخير واستفدت منه الشيء الكثير ويسموؤنى أن أخبرك بأن الخلاف اشتد في الوفد اشتداد تعذر تلافيه مع ما بذلت من جهد ، وما وسعت من صدر

وما ضيقت من حق ، وما ضحيت من شعور ، ونقطة الخلاف الأخيرة تنحصر في أن المخالفين يريدون تأييد عدلى في خطته وأريد القضاء عليها ، لأنها مضرّة كل الضرر بالبلاد ولا يترتب عليها وعلى اتباعها إلا تأييد الحماية وضياع الاستقلال . وقد عزم المخالفون على العودة الى مصر بعد أن أعياهم الجهد في حملى على اعلان الثقة بعدلى وذلك لى يقوموا هم بهذا التأييد علنا أن مكنتهم احوال الامة منه ، أو سرا اذا لم تساعد هذه الاحوال . أما أنا فثابت في موقفى ، مصر على البقاء فيه ولو تغلى عنى جميع قومى ، لانه خيرا لى أن يتغلوا عنى من أن أخونهم بالجري على خطة اراها مضرّة كل الضرر بهم ، وعلى الله توكلى ومنه أستمد معونتى والسلام .

سعد زغلول

الاعضاء المسافرون يودعون الزعيم

١٩ من يناير سنة ١٩٢١

في الساعة العاشرة من صباح اليوم كنت مع الرئيس وهو في أشد حالات الانقباض وأخبرنى بأنه لم يتم ليلة الامس الا قليلا من كثرة القلق والحاح التفكير . وقال لى أنه يشعر بأنه لا يملك لنفسه أمرا وان التدبير الآن لله وحده ، ثم قال فى إيمان عظيم « ان الله هودنى أن ينقذنى من كل ضيق ، ويخفف عنى كل شدة من حيث لا أدرى فلأنظر فرجه » .

وفى هذه اللحظة دخلت الخادمة تستأذن فى دخول بعض اعضاء الوفد ، فخرجت لاستقبالهم فاذا هم اعضاء الاغلبية المسافرون الى مصر هذا اليوم .

دخل على الرئيس عبد العزيز فهمى وطفى السيد ومحمد على علوبة ومحمد محمود وعبد اللطيف المكبانى وحمد الباسل وتركتهم مجتمعين وخرجت بعد أن أغلقت باب الغرفة عليهم ، ولا شك عندى فى أنهم حضروا للتوديع .

وجلست فى مكتبى أفكر وأنا فى عاطفة دافقة من الاسى والاسف ماذا يقولون وهم متخاصمون ؟ وفى أى موضوع يتكلمون وقد قتلوا كل موضوع بحثا ودرسا بغير تفاهم أو اتفاق ؟

هل يتفاهمون الآن بعض التفاهم على بعض المسائل ثم يفترقون أقل خصاما ؟ وبهذا يتفقون على (هـدنة) حتى ينجلي الموقف وتتضح معالم الامور .

أو هل سيتعابون ويتشاحنون ثم يفترقون أعداء الداء بعد أن كانوا أصدقاء أو فياء . وبهذا تقوم في مصر (حرب الأهلية) لا يعلم مصائرهما إلا الله وهى وبيلة على كل حال ؟

كيف يتحدثون وقد سبق أن تحدثوا في كل شىء بغير نتيجة سوى الخلاف والانقسام ؟

هل يقتصرون على مجرد السلام والتوديع وما يصحب هذا وذلك من مراسم الملاطفة والابتسام ؟

لست أدري لماذا أحب دائما أن أسبق الحوادث ، وأحاول هكذا فكرت وأنا في دوامة من التفكير التنبؤ بما قد يكون أو لا يكون . لعلى أجد في ذلك رياضة للعقل وشجدا للخيال : أجد متعة في استعراض المقدمات والسير بها الى نتائجها قبل ظهورها ، وأجد متعة في تصور المواقف والاحوال قبل تطورها وطلوعها . ما أكثر الذين يعيشون في الماضي ويتحدثون عن شئون الماضي ، ولا يستعملون في كلامهم غير (الفعل) الماضي .

وأما أنا فلا أجد في الماضي إلا مخزنا (أستخرج منه بعض الشواهد والعبر والعظات) الوقت بعد الوقت ، وأحب التحدث عن شئون الحاضر ، وأميل الى استعمال (الفعل المضارع) في كلامى . وأرى في ذلك محكا للعقل والخيال ، وهذا خير صرف على كل حال .

وهنا فكرت مرة أخرى محمولا على نفس الدوامة : فكرت في موضوع آخر فكرت في الرئيس سعد وهو جالس وحيدا في غرفته بعد ليلة مؤرقة وتعب ظاهر وعلى أكتافه مخاوف وتبعات جسام . وفي أنحاء جسمه شيخوخة مضنية وجيش من السقام ثم يدخل عليه ستة من الرجال يهددونه بالانفصال عنه ، وأعلان الحرب عليه . . . ألم تكف أن الإنجليز ضده ، وأن عدلى عدوه ، وأن لعدلى أنصارا كثيرين في مصر يتزايدون يوميا بدافع المنافع العاجلة ، ألم تكف أن الاحكام العرفية البريطانية تفتك برجاله سعد وأنصار الوفد وتهدهدهم في حياتهم وأرزاقهم ؟

واليوم تخرج أغلبية الوفد على هذا الرئيس الشيخ المريض، ثم تدخل عليه في حجرته ، وهو في عزلة ووحدة، وتعلنه بالانشقاق وتنضم لنا الى خصومه وأعدائه الالاء ؟ أنها لقسوة ما بعدها قسوة ..

وان قلبى ليدوب حنانا وعطفاه عليه وهو فى هذه المحنة . وفى هذه العزلة وهو جالس وجهها لوجه يستقبل سئة من أهوانه المقربين (سابقا) ويستمتع الى أحاديثهم وليس فيها الا كل تهديد وانذار ، وما لا ينطوى الا على كل شر وبوار .

ان سعدا يحمل لسانا اشد من السياط واحد من الحسام ، ويحمل قلبا ثقلب الاسد اذا وقع الصدام . ويمتاز بعقل قوى لماح حاضر البديهة قوى الحجة . صاعق البيان لا يتلثم ولا يرتبك ولا يضطرب وهو وسط المععان .

هكذا جرى تفكيرى فى الناحية الانسانية لسعد ، وفى الناحية الموضوعية لهذا الاجتماع الكريه .

وفى هذه اللحظة فتح باب الغرفة وخرج اعضاء الاغلبية المنشقون المسافرون يتقدمهم زعيمهم عبد العزيز فهمى ، ومروا على بمكتبى مسلمين مودعين ، وطلب الى صديقى محمد على علوبة ان أقبله فى مقر الوفد بشارع مارييف ليسلمنى بعض الاوراق ، ثم تناول معه الغداء قبل سفرهم بقطار الساعة الثانية بعد ظهر اليوم ، فشكرته سلفا على دعوة الغداء وقبلتها بغير تردد .

محضر مقابلة التوديع

دعانى الرئيس فوراً بعد خروجهم فدخلت عليه ، ووجدت وجهه مكفها شديدا الاحتقان وطلب الى المجلس فجلست ، وقال انه يريد ان يملى على (محضراً) لهذا الاجتماع الاخير بينه وبين هؤلاء الاعضاء ، فلما اظهرت استعدادى للكتابة ، قال الزعيم سعد :

((حضر صباح اليوم كل من عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد محمود ومحمد على علوبة وحمد الباسل والمكبساتى فاستقبلتهم استقبالا لائقا ، وبعد الكلام فى الهواء والبرد والشتاء قال عبد العزيز فهمى اننا نريد ان نستأذن فى السفر الى مصر ثم قال لطفى السيد ونحن أيضا مسافرون كلنا «

قلت : (متى تسافرون) قال اليوم . فقلت بسلامة الله .
وقال لطفى السيد : (اننا نريد أن نبحت الحالة ونقدم لكم
تقريراً بها .
فقلت : (أشكركم ولا حاجة بى الى تقريركم فلا تكلفوا خاطركم
بذلك) .
فسكتوا جميعاً ، وبعد ذلك خضت فى حديث عن سقاسف
الامور .

ثم استاذنوا ووقفوا للانصراف .
فقلت : وما الذى تم فى امانة الصندوق . فقال محمد على
علوبة : (كما تريد) .
قلت : تعطى الى واصف بك غالى ، فقال محمد على علوبة :
كما تشاء .

قلت : (هذا ما اشأوه) .
فقال علوبة : (نبحت فى ذلك) .
واراد بعضهم أن يعود فيجلس للكلام فى هذا الموضوع ، فقلت
على الرحب والسعة ، ان هذا محلکم . فقال أحدهم : لا بل
تذهب الى الوفد .
قلت : كما تشاءون . وجاء فى كلام علوبة انه لا يغيب فى مصر
الا شهرا .

قلت : تعود امانة الصندوق اليك بعد ذلك .
فقال علوبة : (سننظر فى ذلك) .
ثم انفضوا ، وعند وصولهم الى الباب قلت : (انه لا أهمية
لذلك) .

هذا هو المحضر الذى املاه على الرئيس سعد بنفسه .
وقد اذهتنى بل اذهلنى ما فيه من ايجاز وجفاء وخصومة
صارخة مع التحدى المكشوف ، وانعدام روح المساواة والمساومة
أصابنى حزن شديد يمازجه ذهول أشد .

وقلت فى نفسى : هذا انفصال الى غير اتصال ، وهذا افتراق
الى غير لقاء . وقد انفجر الجفاء المكتوم ، والغضب المكظوم الى
عداء ليس بعده عداء ، عداً لا يعقبه سلم وليس فيه بعد اليوم
سلام .

وهذا الذى حدث فى الاجتماع الاخير : اجتماع الوداع اسوأ كثيراً مما تصورت فلا حول ولا قوة الا بالله .

وبعد ساعة خرج الرئيس من مكتبه . وذهب الى مخدعه .
وخرجت من مكتبى وذهبت الى مقر الوفد بشارع مارييف
لمقابلة صديقى محمد على علوبة حسب الوعد الذى اتفقنا عليه .

آخر مقابلة لى مع علوبة :

فلما وصلت وجدت الأستاذ علوبة جالسا فى حجرة مكتبى فى
انتظارى فاستقبلنى كعادته بابتسامته العريضة كأن شيئا يعكر
الصفو لم يقع .

ثم سلمنى خطابا وشيكا باسم واصف بك غالى .

وفى الجواب يقول ((بما أننا مسافرون الى مصر فقد قرر
الاعضاء الموجودون الآن بمقر الوفد ترك مبلغ ١٥ ألف فرنك
لعمل الوفد ، وإذا احتيج الى أكثر من ذلك لو تأخرنا عن العودة ،
ففيديونا فى الوقت المناسب لارساله ، وبرفقه خطابى هذا الشيك
بهذا المبلغ)) .

قلت : ان هذا القرار وهذا الخطاب سيفضيان الرئيس أشد
الغضب .

فقال : لا خيلة لى فى ذلك أنه اراد ان يكون واصف غالى أمين
الصندوق ولكن الاعضاء قرروا أن يعتبروه مساعداً لأمين الصندوق
فقط . وأن يودعوا عنده هذا المبلغ ، وأنا رجل دستورى أطيع
الإغلبية ، وقرار الإغلبية نافذ حسب قانون الوفد ، بل كل قانون
على ظهر الارض .

ثم خرجنا من مقر الوفد لانتناول الغداء معه بناء على دعوته .
وقد سألته فى أثناء الطريق : ما اثر مقابلتكم للرئيس فى نفسك
ونفوس زملائك ؟

فقال : ان سعد باشا رجل شديد الاعتداد بنفسه . لقد كان
صارما معنا أكثر مما ينبغى ولعله توهم ان زيارتنا له كانت واجبا
علينا نؤديه له . او أننا نريد منه خطاب توصية يزكينا لدى الأمة
ويدرأ عنا غضبها . كان يمكن أن يكون اللقاء والوداع فى جو

غير هذا الجو : فيه أسف متبادل وبعض الأمل في صلاح الحال .
ولكن التعاون مع سعد زغلول مستحيل لأنه مطبوع على التمسك
بكل ما يراه .

وقال لى في أثناء تناول الغداء :

((أن الأمة ستتهز اهتزازا شديدا بعودة ستة من الأعضاء
البارزين في الوفد لا سيما وهي عودة فجائية . ولم تسبقها
مقدمات وليس لها سبب معروف .

وسنكشف كل الحقائق للأمة ولا يخالجننا شك في أننا
سنكسب كل المتعلمين المثقفين في مصر ، فهدفنا جميعا واحد وهو
الاستقلال ، وكل ما هنالك أن سعدا يسير في طريق مسدود ،
ونحن نريد العمل في الطريق الوحيد المفتوح . وأن عدلى رجل
سياسي ، والأمل الوحيد معلق عليه)) .

وبعد أن سكث قليلا استطرد فقال :

نحن، لا نحتمل مسئولية سياسية ينفرد بوضعها الرئيس .

ونحن لا نرى رأى الرئيس في منع كل من يتصنذى لاتمام
العمل ، ومحاربة كل من هو قادر على العمل المثمر المفيد . وإذا
كان سعد قد وضع القيود للوفد . فليس له أن يفرض هذه
القيود فرضا على غيره من العاملين المخلصين .))

فسألته : ماذا تقولون للأمة عند وصولكم الى مصر ؟

فقال : ((سنقول بصراحة)) أن الخلاف في الراى بيننا وبين
سعد واقع . وأن أخبار الخلاف والانقسام في الأمة تزايدت فأردنا
الوقوف على الحقيقة واستشارة ذوى الراى من المصريين وأننا
سنعود قريبا الى باريس)) .

وهنا أنتهى الغداء . فذهبت الى المحطة : محطة الجاردى ليون
.. وحرصت على أن أكون في توديع الأعضاء المسافرين . ولم يكن
هناك من المودعين الا على ماهر وسينوت حنا وأنا وكان الفتور
باديا على الجميع .

فلما أظهرت الأسف لمحمد محمود باشا على هذا السفر قال :
((نحن في مأزق لا مخرج منه) . ولا بد من الخروج منه
نحن أو غيرنا من المصريين)) .

وفي الساعة ٢ بعد الظهر تحرك القطار المسافر الى مارسيليا
حاملًا لطفى السيد. وحمد الباسل ومحمد على علوبة ومحمد محمود
.. وكان القطار يحملهم الى الدار الآخرة .

وفي الساعة الثامنة تحرك القطار الى مارسيليا حاملًا عند
العزير فهمي وكان قطع تذكرة السفر. قبلهم ولم يجدوا في قطار
المساء هذا أماكن للنوم .، وهو أكثر راحة من قطار الصباح . وكان
في توديعه على ماهر وسينوت حنا وانا . أما المكباتى فسياسافر
فدا الى ايطاليا ومنها الى مصر .

والآن قفى الامر ، ووصلت الازمة الى نهايتها ، ولكن الرواية
لم تتم فصولها .

الفصل الخامس

سعد يقول أنا الوفد

في الساعة الثالثة بعد الظهر ذهبت لمقابلة الرئيس في مسكنه وسلمته خطاب محمد على علوبة ومعه الشيك بمبلغ ١٥٠ ألف فرنك ، فتسلمها الرئيس ستاخرا وقال : ((اننى لا اتزحج وايهانى بالله لا يتزعزع ، ان وجودهم في باريس شر من عودتهم الى مصر ،)) وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون)) .
فسالته في استحياء : ((وماذا عسى ان يشعر الانجليز الان بعد عودة الفريق الاكبر من الاعضاء ؟))

فاجاب : (لا يهمنى ما يشعرون به او ما يفكرون فيه : انا الوفد . ولا اعمل الا ما اعتقد ، وليفعل الله ما يريد .))

وفي المساء حضر حافظ رمضان لزيارة الرئيس . . . جلس معه اكثر من ساعة ، واتفق مع الرئيس على ارسال برقية منه الى جريدة الاهرام وهى تتضمن سفر ستة من اعضاء الوفد الى مصر بحجة بحث الحالة فيها ، ولكن السفر بفترة ثم بغير ارادة الرئيس . والظاهر هو ان عودتهم راجعة الى رفض الرئيس اقتراحهم بتأييد عدلى وسياسته .

الرئيس يعين واصف غالى امينا للصندوق

٢٠ من يناير ١٩٢١ :

كنت في مكنتى بمقر الوفد في صبيحة هذا اليوم اتصفح الجرائد الانجليزية كالعادة وكان معى الدكتور حامد محمود والدكتور محمد صبرى (السوربونى) واحمد نجيب مراسل

الاخبار ، وكانوا يتحادثون في أمر المنشقين الذين سافروا الى مصر أمس ، ويتنبأ كل منهم بما عسى أن يعملوه في مصر بعد عودتهم .

وفجأة دخلت (أوجستين) الخادمة الفرنسية التي تنظف وتنظم حجرات الشقة التي اتخذها الوفد مقمرا رسميا له ، وهمست في أذني بان سائق سيارة الرئيس على الباب يريد التكلم معي . فاستأذنت اصحابي وتركتهم وقابلت سائق السيارة على باب الشقة ، فقال لي أن الرئيس في السيارة ويطلب مني أن أنزل لمقابلته . فنزلنا معا ، ووجدت الرئيس جالسا في السيارة وحده فطلب مني أن ادخل الى جانبه ففعلت . ثم قال :

((خذ هذين الخطابين يا كامل واذهب بهما وحدك : احدهما الى مدير بنك دى روما ، والثاني الى مدير بنك الكريدى ليونيه . وقابل المديرين وسلم كلا منهما الخطاب المعنون باسمه)) ثم كرر الرجاء ان اذهب بهما فورا الآن .

ففعلت وبدأ لي من العنوانين انهما بخط واصف غالى . فخدمت بغير عناء انهما لا بد ينطويان على اشعار المصرفيين ((بأمين الصندوق الجديد)) .

وصدق تخميني اذ اوصلت خطاب بنك دى روما . وسألني المدير ((هل انت واصف غالى بك ؟)) فقلت : لا . انا السكرتير الخاص لرئيس الوفد . فقال ((اخبر الباشا اننا سنعتمد امين الصندوق الجديد)) . ثم اوصلت خطاب بنك الكريدى ليونيه وقال لي المدير : سنعمل بما فيه .

وذهبت الى مسكن الرئيس وابلغته ما تم ، وسألني هل ذهب معك دومباني :

فقلت : كلا ذهبت وحدتي . قال احسنت . ولا تخبر احدا .

جريدة التيمس تنتقد حديث الرئيس !

٢١ من يناير سنة ١٩٢١ :

يظهر أن الحديث الذي سبق ان ادلى به الرئيس الى احمد نجيب ونشرته جريدة الاخبار والجرائد المصرية ، ثم نشرته

- ملخصا محرفا جريدة المورننج بوست في ١٦ من يناير وأغضب أعضاء الاغلبية في الوفد ، كان حديثا مشـوها لم يفهم على حقيقته .

فقد نشرت جريدة التيمس في عددها الصادر صباح اليوم رسالة من مكاتبها في القاهرة وصف الحديث بأن فيه بعض الغموض والابهام وفي بعض اجزائه تناقض ، وان تأثيره في الرأي العام في مصر كان سيئا جدا لقلّة ما فيه من صراحة ، وقد استفاد من ذلك خصومه واستغلوها استغلالا سيئا حتى اضطرت جريدة الوفد نفسها (اى جريدة الاخبار) الى انتقاده ، وان البسخط عام لان الناس فهموا منه أن زغلول باشا مازال على اتصال مع الحكومة البريطانية وكانوا يجهلون ذلك .

ماكدت أفرغ من ترجمة هذه الرسالة حتى تذكرت أن أحمد نجيب سبيح أن قال لى : أن الرئيس هو الذى يضع بنفسه الاسئلة والاجابة عنها ، وضرب لى مثلا على ذلك ، أن الرئيس وضع سؤالا على الوجه الآتى :

((سمعت أن صديقا لمصر يسعى للتوفيق بينكم وبين الحكومة البريطانية ، فهل هذا صحيح ؟)) والرئيس يقصد بهذا الصديق مستر بلنت .

وللمرء أن يتساءل : كيف عرف مراسل الاخبار ان صديقا لمصر يقوم بهذه المهمة في الوقت الحاضر الذى تبدو كل الظواهر فيه أن الصلة مقطوعة بين الرئيس والانجليز ؟ ثم هل المراد أن ذلك فتح باب الامل امام المصريين ؟ أو ما هى الحكمة من توجيه سؤال بهذا المعنى ؟ لعل هذا هو الغموض أو الاتهام الذى أشار اليه مراسل التيمس .

انتقلت الى مسكن الرئيس وأطلعته على المنشور في جريدة التيمس ، فتألم لذلك كثيرا وأخبرنى بأنه تلقى خطابا من مصطفى النحاس بهذا المعنى كذلك .

خطاب الرئيس الى سعيد زغلول !

ثم سكّت وأطرقا وفكر ، وأملى على خطابا مسهبا الى سعيد زغلول ((وكثيرا ماكتب اليه خطابات سياسية شارحة المسائل

السياسية ومشكلات الساعة ، واقتبس من هذا الخطاب
العبارات الآتية :

١ - سافر ستة من أعضاء الوفد الى مصر لانهم ارادوا منى أن
أعلن الثقة بعدلى وخطته ، فلم يطاوعنى ضميرى لأسباب عديدة
أن أوافقهم على ذلك ، فسافروا لينفذوا فى الأمة خطتهم على
ما هو ظاهر . وما أردت أن أعلن للأمة خلافهم ولا أن أفند
للناس آراءهم استبقاء للوحدة ان كانت باقية ، وابتعاد من أكون
السبب الاول فى هدم ما بنيت ، والعامل على تشتيت الشمل
الذى جمعت ، وسأبقى ساكنا حتى تنقشع السحابة . والله ولى
الصابرين .

٢ - ولا يخالجنى شك فى أن وصولهم الى مصر سيولد كثيرا من
الظنون ، ويشير كثيرا من الشكوك وهو ما آسف له أشد الأسف ،
ولكن نقد القضاء ولا راد لحكمه ، كان الله لا يريد لهذه الأمة
خيرا فقد ضلت عقول كثيرة . واشكل عليها الجلى الواضح .

٣ - قال قوم بمناسبة حديث (الاخبار) ان الوفد غير خطته ،
وقال آخرون انه لطفها ، وبنى كل على فهمه من الاوهام ما بنى

وانى لشديد الحزن لاني لم ار من بين هؤلاء من يقول على
الحديث انه شرح خطة الوفد وجلاها : لا تليغا تشبده ،
ولا تعديلا لخطه ، بل ايضاح لحقيقة ، وقد قيل لى ان كثيرا من
المقلاء فهموها على غير وجهها .

٤ - ظننتم أو ظن أكثركم انى اطلب قبل الدخول فى المفاوضات
الرسمية أن نحصل على إلغاء الحماية فورا بحيث لا تدخل مصر
فيها الا وهى حاصلة بالفعل على تمام استقلالها ومطلقة من قيد
الحماية . والحقيقة انى طلبت قبول التحفظات ، وان يشتمل
المشروع على نص يلغى الحماية . وليس المشروع الا مجموعة
اقتراحات أو توصيات يقدمها ملئ الى حكومته . وعجيب شأن
الناس ان يتوهوا من التاكيد الذى طلبناه ، انه مجرد وعد
شفوى ، مع أن التاكيد قد يكون وعدا كتابيا أو شفويا ، وقسم
يكون رسميا أو عرفيا . فلماذا اختارت هذه العقول أخس أنواع
التاكيد ، ونسبت اليها الاكتفاء به ، وأولت ما أولت ونسبت ان
الذى يقول بهذا التاكيد هو الذى وضعت الأمة ثققتها فيه . ألم
يكن من المعقول ان يظن بهذه الثقة خيرا ، ويترك له تقدير التاكيد
ودليه ، وتتنظر بحسابه وقت الحساب ؟ اليسست المناقشة فى

هذا الموضوع وأشباهه عرضا من أعراض الهبوط الذى يقال انه نزل بالامة فتخطت في سرها ، وكأنها تريد الخلاص من قادتها . فظهرت بمظهر ألتظنن في أعمالهم . والشاك في نيائهم . وما اتوا بمشكك ولا صدرت منهم شبهة ، بل لم يزدادوا على الايام الا تمسكا بمبادئهم وتعلقا بخطتهم ؟

٥ - سامح الله هؤلاء فيما يشكون وفيما يتناولون . وسوف يعلمون انهم كانوا على خطأ عظيم وان الذى شرفوه في اول الامر بثقتهم لم يعمل الا على تحقيقها . ولم يكن له ذنب سوى كونه اعتمد على معونة من ضعفوا عن المعاونة ، ولعلموا انه ثابت في مركزه . مقيم على عهده لا يتحول عنه قيد شعرة . .

٦ - انى اعتقد ان المفاوضات الرسمية التى قيل عنها ما قيل ان هى الا خدمة . ولا يمكن ان يترتب عليها مزية أكثر من الزايا التى اشتمل عليها مشروع ملتر ، وانهم يعتمدون على نجاح هذه المفاوضات على ثلاثة عوامل : الزمن والسلطة والصيغ .

● الزمن : يولد الملل ويزيده

● والسلطة : ترغب وترهب .

● والصيغ : تقسم الآراء . فمن أخذ بظاهرها الخلاب الخداع ، ومن ناظر الى باطنها المظلم الخطير ، فاذا دخلت الامة في المفاوضات قبل تعديل المشروع بالتحفظات فانها لا تنتهى منها الا وهى منقسمة بدل القسمين اقساما ، ومصابة بدل الهبوط هزالا ، ويبدل الملل ياسا ، فتقبل ما كرهت ، وتمضى على ما رفضت .

تأليف رابطة للموظفين البريطانيين في مصر :

٢٢ من يناير سنة ١٩٢١ :

نشرت جريدة ألتيمس اليوم (بل كل الجرائد الانجليزية) خبرا خطيرا من مراسليها بالقاهرة تطير له الرئيس ، وتشاء به وقد جاء فيه :

((ان الموظفين البريطانيين الموجودين الآن في خدمة الحكومة المصرية قد عقدوا امس اجتماعا هاما انتهى بتأليفهم نقابة او رابطة) ترعى مصالحهم في الحال والاستقبال . وذلك حتى

لا يمسهم سوء أو طرد من أى نظام أو تغيير قد يطرأ على الإدارة المصرية كنتيجة للمفاوضات الرسمية المقبلة)) .

وقال لى الرئيس : ((ان هذه المسألة فى منتهى الخطورة)) .

فسألته : ((وائ خطر أو اخطار فيها ؟))

فقال الرئيس :

((لاجل ان تدرك مدى فداحة الاخطار التى اثارها فى نفسى هذا النبا يجب ان تعرف أولا تكوين الحكومة المصرية أى الإدارة المصرية فى الوقت الحاضر :

الوزراء المصريون ممنوعون من البت فى أى موضوع الا بعد ان يت فيه المستشارون البريطانيون أولا . فالوزير المصرى لا ينظر فى أية مسألة او أية ورقة الا بعد ان يؤشر عليها المستشار البريطاني ، بهذا قضى الاحتلال ، وبهذا يحكم الاستعمار .
ثم انظر بعد ذلك الى عدد الانجليز ووظائفهم فى الحكومة وعدد المصريين ووظائفهم تجد الفرق شاسعا :

١ - جميع وظائف المستشارين فى كل الوزارات يشغلها الانجليز (ولا تعرض أية مسألة على مجلس الوزراء الا بعد ان يوافق على عرضها المستشار المالى ويحضر جلسات مجلس الوزراء المستشار المالى الانجليزى . ولا يجوز الاجتماع فى جلسة فى غيابيه) .

٢ - جميع وظائف وكلاء الوزارات يشغلها الانجليز .

٣ - جميع وظائف مديرى العموم يشغلها الانجليز .

٤ - كل وظيفة سكرتير عام او سكرتير مالى يشغلها الانجليز .

٥ - جميع الوظائف الرئيسية فى الجيش والبوليس يشغلها الانجليز (والدرجات الصغرى يشغلها المصريون) .

٦ - جميع وظائف المراقبين ورؤساء الاقسام واللجان يشغلها الانجليز .

٧ - تسعة اعشار الدرجات الاولى يشغلها الانجليز (والعشر يشغلها المصريون) .

٨ - ثلاثة ارباح الدرجات الثانية والثالثة والرابعة يشغلها الانجليز (والربع يشغلها المصريون) .

٩ - الدرجات الخامسة والسادسة والسابعة وما هو اقل منها يشغلها المصريون .

١٠ - درجات الخدمة السائرة يشغلها المصريون .

١١ - حوالي ٤٠٪ من ميزانية الموظفين تذهب الى جيوب الانجليز مع ان عددهم لا يكاد يزيد على ١٥٪ من عدد موظفي الحكومة من المصريين .

١٢ - وفي السنتين الاخيرتين عين الانجليز عددا كبيرا من أبناء وطنهم الانجليز في الوظائف التي كان يشغلها المصريون قبل خروجهم الى المعاش .

فماذا يتفصح من هذا كله ؟

يتفصح ان الاداة الحكومية بما فيها الجيش والبوليس تحت السيطرة الكاملة للانجليز ، فان شاءوا شلوها بالخروج دفعة واحدة او بالاضراب جملة اذا كانت لهم طلبات وترفضها حكومة مصر المستقلة . فكل حكومة مصرية مستقلة ستكون تحت رحمتهم ، فاذا تذكرت بعد ذلك ان وراء هؤلاء الموظفين الانجليز مندوباساميا بريطانيا ينتصر لهم دائما ، وجيش احتلال يؤازرهم دائما ، امكنت ان تدرك مدى النكبة)) .

وهذا سكت الرئيس قليلا ثم استطرد فقال :

((الا تذكر ان موضوع الموظفين الانجليز في خدمة الحكومة المصرية كان من الموضوعات الهامة التي بحثناها مع ملنر ، واهتمت بها لجنة ملنر اشد اهتمام ؟

الا تذكر ان ملنر سألني ماذا تنبوى ان تصنع مصر المستقلة بهؤلاء الموظفين البريطانيين ؟ .

فاجبته بان مصر المستقلة ستكون حرة في ابقاء من تريد واخراج من تريد مع اعطائه التعويض المناسب ، وهو مرتب شهر عن كل سنة خدمة . ولكن اقتراحي هذا رفض . ومع ان لجنة ملنر نفسها قد اعترفت بان عددا الموظفين الانجليز قد زاد زيادة فادحة في السنوات الاخيرة : زيادة اكثر مما تقضى به الضرورة (على حد تعبير ملنر) . فانهم لم يقبلوا اقتراحي ، وهددوا باننا اذا اغضبنا هؤلاء الموظفين فانهم قد يتركون خدمة الحكومة المصرية جملة ومن تلقاء انفسهم ، ولو فعلوا ذلك لوقعت كارثة للحكومة المصرية .

ولجنة ملنر بعثت الينا بعد ذلك بمذكرة خاصة في هذا الموضوع ، وفيها نص اقترحتـه لكي يدمج في صلب مشروع

المعاهدة . وهو يقضى بأن الضباط البريطانيين في الجيش والبوليس والموظفين والبريطانيين الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة يجوز انهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية . وتحدد المعاهدة المعاش والتعويض الذى الذى يجب أن تمنحه الحكومة المصرية لهؤلاء الضباط والموظفين الذين يتركون الخدمة بموجب هذا النص زيادة على ما هو مخول لهم بمقتضى القانون المصرى الحالى ، ومعنى هذا فيما أراه وأخشاه :

أولا : أن تدفع لهم الحكومة ملايين الجنيهات على سبيل التعويض لخروجهم قبل سن المعاش .

ثانيا : أن تدفع لهم ملايين الجنيهات باسم مجموع ماهياتهم حتى بلوغهم سن الستين وهو سن الاحالة الى المعاش .

ثالثا : أن تدفع لهم ملايين الجنيهات باسم معاشات تدفع لهم مدى الحياة . .

رابعا : أن تدفع ملايين الجنيهات على سبيل التعويض للانجليز الذين لا يستحقون معاشا لانهم يعقود تتجدد .

والآن تتألف رابطة لهؤلاء الموظفين البريطانيين ليحددوا بأنفسهم هذه الملايين التى ستدفع باسم التعويضات ومعاشات ومكافآت وما الى ذلك فى المطامع الاشعبية ، بل هى أفدح من الاشعبية : لانها بريطانية والجشع البريطانى لا يعرف احدا . وانى أتذكر الآن ان هرست المستشار القانونى فى وزارة الخارجية البريطانية وعضو لجنة ملنر حدثنى مرة فى هذا الموضوع وأظهر العطف والرئاء لمستقبل هؤلاء الضباط والموظفين البريطانيين ووصفه بأنه مستقبل مظلم بعد استقلال مصر . فقلت له من أين تأتى مصر بكل هذه الملايين من الجنيهات لتدفعها لهم زيادة على ما هو مخول لهم بحكم القانون المصرى الحالى ؟ .

فأجاب باسماء : هذا ثمن الاستقلال : قالها بغير حياء أو خجل . وماذا يهمه أن تخسر مصر ملايين الجنيهات ليكسبها مالا حراما أبناء جلدته ، بدل أن تصرفها مصر الفقيرة لرفع مستوى أبنائها الحفاة العراة من العمال والفلاحين «

وهنا أطرق الرئيس كعادته عندما يفكر . ثم قال ((ما أحوج مصر الى حكومة قوية ، ان الاستعمار لا يفهم ولا يرحم وهو يمتص

دماء الشعوب وأموالهم وخبراتهم وكل مواردهم حتى لا تقوم لهم قائمة ، فهو سل الجنس البشرى وسرطانه .

ولا حول ولا قوة الا بالله)) . .

الرئيس يعد بيانا للامة :

٢٣ من يناير سنة ١٩٢١ :

قبل انصرافى فى الساعة العاشرة من ليلة أمس من مسكن الرئيس طلب الى أن احضر اليوم مبكرا لامر هام بدل أن اذهب الى مقر الوفد لتصفح الجرائد الانجليزية قبل زيارته .

وفى الساعة الثامنة والنصف صباحا كنت مع الرئيس فاخذ يملئ على بيانا أعده للامة بين فيه سياسته بكل وضوح ، وما قرأه عليه . وفرغنا منه فى الساعة العاشرة تماما ، وتسلمه منى ليطلع الاعضاء الثلاثة عليه (على ماهر وأصفغالى وسينوت حنا) وهم قادمون اليه بعد قليل . وانصرفت الى مقر الوفد لاطلع على الجرائد الانجليزية واترجم ما فيها عن مصر ثم أعود الى الرئيس ثانية .

وكان أهم الجرائد الانجليزية (جريدة مورننج بوست) فقد نشرت وحدها مقالة افتتاحية مطولة أبرزت فيها سياسة الرئيس سعد وسياسة عدلى ، ثم تناولت انقسام الوفد نفسه الى فريقين : فريق المتطرفين برياسة زغلول ، وفريق الاغلبية يتزعمه عبد العزيز فهمى الذى ينتصر لسياسة عدلى . ثم تناولت انقسام الامة وبلبله الراى العام المصرى بين هذين الفريقين . وهاتين السياستين . وختمت مقالتها بالتهكم المعتاد وبالزاوية الساخرة سببتها على رأس مصر والمصريين ، واتهمتهم بالجدل العقيم والتعلق بالالوهام وطبعهم الاصيل فى اغماض العيون على الحقائق البارزة ، تجاهل الواقع المموس ، وزعمت ان المصريين سيظلون منقسمين الى ابد الابد ، فان اتحدوا يوما اختلفوا شهورا ، وان اتحدوا شهورا اختلفوا بعد ذلك سنوات وسنوات بحجة أنهم غير عمليين ولم يمارسوا الشؤون العامة ولا سيما السياسية منها قبل الآن .

وفى هذه المقالة حقائق لا شك فيها عند شرح سياسة الرئيس وسياسة عدلى ولكن فى المقالة اكاذيب واباطيل ودعاوى فيها امتهان

للعقول واهانة للمصريين ، ولعنة الله على هؤلاء المستعمرين الذين ماتت ضمائرهم وعميت بصائرهم .

ولما عدت الى الرئيس واطلعت على ترجمة المقالة وكان معه الاعضاء الثلاثة ، ادهشني انهم لم يتأثروا بها كما تأثرت . بل رأى الرئيس ان نشر هذه المقالة في مصر واجب ، لان فيها بياناً صريحاً وصادقاً عن اختلاف السياستين وهو ما يجب ان يعرفه الشعب المصرى معرفة تامة . وفيها كذلك ما يلدغ كرامة المصريين ليتحدوا بعد خلاف ، ويفيقوا بعد غفلة ، ويدركوا خطر الانقسام واستمرار الخصام .

وقد كلف الرئيس (أحمد نجيب) أن يرسل هذه المقالة الى جريدة الاخبار لنشرها ، وفي المساء اجتمع الاعضاء الثلاثة بالرئيس مرة ثانية لمناقشة البيان الذى أعده ، واستمر الاجتماع ساعتين .
٢٤ من يناير سنة ١٩٢١ :

كلفنى الرئيس قبل ظهر اليوم أن أرسل البيان لتلغرافيا مستعجلا الى مصر على أن أعيد كتابة هذا البيان بالحروف الافرنية بدل ترجمته الى الفرنسية والانجليزية وذلك حتى يظهر بنصه العربى كما وضعه الرئيس ، وقد استغرقت هذه العملية ساعة كاملة . ثم أعطانى الرئيس ألف فرنك لأصرف منها أجرة إرساله الى أمين الرافعى بجريدة الاخبار ، فحملت البرقية الى مكتب التلغراف فى الشانزليزيه . فطلب منى الموظف المختص ١٠٤٨ فرنكا أجرة إرسالها مستعجلا فاستكثرت المبلغ وطلبت اليه إرسالها عادية . فتكلف ذلك ٣٩٢ فرنكا فقط ، ثم عدت الى الرئيس معتذرا عن تصرفى هذا قائلا انى لم أجد معى ٤٨ فرنكا وهى الزيادة على الالف فرنك التى أعطاها الى قلم يستأ كما توهمت ، ثم أملت على برقية أخرى لأرسالها الى مصطفى النحاس . جاء فيها : « أن المسافرين العالدين لم يكلفوا بأية مهمة وأن سفرهم كان على غير موافقته ، وطلب منه أن يطلع على بيانه الذى أرسله الى أمين الرافعى »

وفى الساعة الخامسة مساء حضر وفد كبير من الطلبة المصريين فى فرنسا لمقابلة الرئيس ، وظلوا معه قرابة ساعتين أطلعهم فيها على كل التفاصيل ، وخرجوا من عنده فاهمين مسرورين ، ولكن أسفين للحالة التى وصلت اليها قضية البلاد ، وساخطين على الاعضاء العالدين الى مصر .

٢٥ من يناير سنة ١٩٢١

حضر الرئيس صباح اليوم الى مقر الوفد في شارع ماريف ، وكان في انتظاره على ماهر الذي رجا الرئيس وتوسل اليه أن يرسل تلغرافا مستعجلا بمنع نشر « بيانه » في مصر بحجة أن المحكمة تقضى بالسكوت في الوقت الحاضر ، فضلا عن أنه ليس من الملائم أن يربط نفسه ويقيدها بخطة وسياسة معينة في بيان منشور لا سيما في الوقت الذي هو على اتصال فيه مع ملتر عن طريق مستر بلنت ، ثم حضر واصف غالي وسينوت حنا وانضموا الى على ماهر في رجائه . وأخيرا وبعد معارضة وافق الرئيس : لا عن اقتناع وانما عن رغبة في المسالمة وفي عدم اغضاب الاعضاء القليلين الباقين معه . وجاء الى على ماهر في مكتبتي وكتب معي هذه البرقية التي تمنع النشر قائلا « الحمد لله لأنك لم ترسل ذلك البيان برقية مستعجلة ، أما هذه البرقية فاني أرجوك أن تنزل فوراً وأن ترسلها مستعجلة » . ففعلت . . ولكني لم أكد أدخل مكتب التلغراف حتى وجدت الدكتور حامد محمود يلهث في الجري ورائي قائلا « لا ترسل البرقية » فعدت معه ، ولو أنه تأخر دقيقة واحدة لكانت البرقية في الهواء في طريقها الى مصر . فلما دخلت على الرئيس (وكان عنده على ماهر) غير صورة البرقية بأن جعلها (واحفظ البرقية العربية بالبيان لتستعمل منها مقالاتك ولا تنشرها الآن) . فأخذتها وخرجت ، وخرج معي على ماهر قائلا : « مادامت النتيجة أن البيان لا ينشر فلا تهمه صورة البرقية » . ورجاني أن أسرع الخطي لارسال هذه البرقية مستعجلة » ففعلت وأنا في دهشة بل في شبه ذهول مما حدث .

ولكني بعد التفكير أدركت أن على ماهر على حق ، لان أعضاء الاغلبية العالدين سيصلون الى مصر اليوم أو غدا ، وأن الضرورة تقضى بالا يصدمو صدمة أليمة مدوخة ببيان صريح من الرئيس ينشره في مصر قبل وصولهم اليها بيوم واحد فيستقبلهم المصريون بعد ذلك شر استقبال .

وصول الاعضاء الى مصر

٢٦ من يناير سنة ١٩٢١ :

أمس وصل الاعضاء الى مصر . واستقبلوا استقبالا باردا أو فاترا ، وسئلوا أسئلة محرجة . هكذا نشرت الجرائد الانجليزية

الصادرة صباح اليوم (التيمس والمورتنج بوست ووستمنستر جازيت) والعجب العجاب أنها ذكرت بالدقة أسباب الخلاف وأسباب العودة وما ينتظر من تطورات . كما ذكرت أن العائدين الى مصر اضطروا الى انكار وقوع انقسام في الوفد أو خلاف مع الرئيس ، ووعدوا تحت ضغط السائلين الملحين أن يذيعوا بيانا غدا

برقية وحديث

وقبيل ظهر اليوم تلقى الرئيس برقية من جعفر فخرى المحامى بالاسكندرية يسأل فيها عن صحة ما أذاعه أعضاء الوفد العائدون من أنهم سيقومون بمهمة وفدية . فقال لى الرئيس :

« أنا فى حيرة : هل أنشر الحقيقة وأبعث اليه بتكذيب ما زعموه وأذاعوه ، أو أتريث قليلا ؟ أنا لا يغالجنى شك فى أنهم سينضمون الى الأعضاء الثلاثة : شعراوى باشا وعبد الخالق مدكور باشا وجورجى خياط ، وهم الذين لم ننتخبهم للاشتراك مع من عرضوا مشروع ملنر ، وسيكونون تسعة ونحن أربعة هنا ، اذا أعلنت الحقيقة كنت البادى بأذاعة الانقسام والخصام ، واذا سكت افسحت لهم الطريق لينشروا ما يشاءون من دعاية جدابة خطيرة . » انهم سيقولون أن الوفد قرر بالاجماع عدم الدخول فى المفاوضات الرسمية والاشتراك فيها الا بعد أن تقبل كل التحفظات ... الخ . ويفضربون على هذه النغمة حتى لا يظهر أنهم على خلاف معي ثم يقولون : ولكن اذا أتاح الله للبلاد رجلا مثل عدلى يتعهد بأن يحقق تلك التحفظات كلها أو يستقيل ، فإن الوفد يؤيده ويساعده من الخارج ويبارك جهوده . »

ثم سكت سعد وأطرق ثم قال :

« هذه الدعاية المسمومة هي التي أخشاه وأخشى عواقبها . وذلك لانى أعرف الناس بعدلى وضعفه ، كما أعرف أنه لا يؤمن بهذه التحفظات ولا يوافق عليها . وسأرأى مضطرا عاجلا أو آجلا فى ابداء رأى صراحة ، وحيثذاك يظهر الانقسام ويتجدد الخصام »

وفى المساء حضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا وأطلعهم الرئيس على برقية الاستاذ جعفر فخرى وخاوطره وحيرته بشأنها ، ودارت بينهم مناقشة واستقر الرأى فى نهايتها على

ضرورة التريث وحكمته ، ولكن الرئيس سكت في وجوم لا سكوت
المقتنع :

خطاب هام جدا من الرئيس الى طاهر اللوزي

٢٧ من يناير سنة ١٩٢١ :

املى على الرئيس اليوم خطابا على اعظم جانب من الاهمية
لارساله الى طاهر اللوزي ، واهمية الخطاب في نظري ترجع الى
ما فيه من براعة في تصوير الواقع ، وبيان للحقائق في أسلوب
رائع وكشف لروح ابية عالية ، وثقة بالنفس ضافية ، وهذا هو
نص الخطاب :

عزيزي طاهر بك :

« اعتر المخالفون بعددهم واعجبتهم كثرتهم فشمتغت انوفهم
واستطالوا على وحدتنا فقسموها وعلى حقنا فهضموها ، فنقضوا في
اجتماع خاص بهم ماسبق ان قرره الوفد في اجتماع عام باشتراكمهم ،
رفضوا مبلغا اذنا بصرفه ، وصرفوا مبالغ ثم ناذن بها ، وابوا ان
يسلموا امانة الصندوق الى من عيناه من غيرهم ، وقرروا للصرف مدة
غيابهم مبلغا لم ياخذوا في تقديره راينا مكتفين بتقديرهم كانهم
من امرائنا وكاننا من اتباعهم ، قرروا عودتهم بدون علمنا واخبروا
اللجنة المركزية من عندهم واعلنوا بذلك للملا انقسامنا وخلافهم .
ظنوا ان الامة قد هوى الضعف بروحها ، ولوى الياس بعزمها .
واستعدت للاستسلام ، فسارعوا اليها ، لا لكي يقوموا ضعفها
بل ليستميلوها الى الثقة بمن شكت في اخلاصه ليحسن تسليمها .
والى الشك فيمن وثقت بهم ليمتنعوا عن عونها ، متوهمين انها
ستتشدد الحشود للقائهم ، وترفع البناد للاحتفاء بهم ، فلم يكن
من الكثيرين الا ان امسكوا عن مقابلتهم ، ومن غيرهم الا ان واجهوهم
بما يكرهون ، وطالبوهم ان يعلنوا في الخلاف رأيهم ، فلم يسعهم
الا ان انكروه ثم نشره معترفين بما انكروه ومنكرين ما اعلنوه .
ولا ادري اذا كانت نفوس القوم طابت بما اعلنوا ورضيت بما
نشرنا مع سكوتي عن موافقتهم ، ولكن يظهر انها لم ترض به تمام
الرضا لان بعضهم طلب مني ان انشر بلاغا الغي فيه ذلك الخلاف
واؤكد تمام الاتفاق ، فلم استحسن طلبهم لان فيه تفريرا بالامة
ومناقضة للحقيقة التي عمل المخالفون انفسهم على اعلانها ، وايدوها

بقولهم وفعلهم حتى تغنت بها الجرائد الانجليزية كما تغنت بهم وباعتدالهم . ولان هذا الخلاف لا يرجع الى اسباب شخصية حتى يهون احتماله ، ويرجى زواله ولا يضر اخفاؤه ، ولكنه يرجع الى الاختلاف فى الغاية وفى الشعور . فهم ملوا العمل وقطعوا الامل وقليل ما اعطينا كثير فى نظرهم ، وقريب ما نرجو بعيد فى اعتبارهم . والمشروع عندهم يهدى مصر استقلالها ويثبتها أشرف مركز بين الامم ونرى فيه حماية لا يبوى من المراكز الا انعساها ، ولا يفيد الا ضياع الاستقلال . فكيف يمكن التوفيق بين هذين الرايين ، وهاتين الغايتين ؟ ولو كان امره منحصرنا بيننا ، ولم يشعر به خصمنا لتسامحنا ما امكننا ، لكنه علم به على وجه يرفع الطمأنينة ويضعف كل ثقة ، ومتى انعدمت الثقة بين جماعة ، تعدر انتظام العمل بين العاملين ، فقد كتب لورد ملتر خطابا الى بعض اصدقائه ، ويبدنا نسخة منه ، جاء فيه ما نصه :

((ان اصحاب زغلول باشا ممن يطلبون نفس مطالبه قد بذلوا آخر ما فى وسعهم لاقتناعه بالقبول فلم يقبل ولم يقتنع)) . فمن اين علم لورد ملتر هذا المسمى ؟ انه لم يعرفه منى بطبيعة الحال ، ولا يخالجنى شك فى ان علم ملتر بهذا الخلاف على هذا الوجه كان له تأثير كبير جدا فيما أبداه من التشدد معنا ، خصوصا فيما يتعلق بقبول التحفظات .

تعلمون ان عدلى باشا قبل المشروع ، وسعى بواسطة اصدقائه فى الوفد وخارج الوفد فى ترويجه ، وحمل الامة على قبوله . ومع ذلك اراد اصحابه فى الوفد اخيرا ان اعلن للامة ثقتى به ، واعتمادى عليه فى المفاوضات الرسمية ليحصل على قبول التحفظات ، فرفضت ذلك رفضا باتا . اذ كيف يمكن لى ان اثق هذه الثقة بعد كل ما عندى من المعلومات ، وأن اعول على رجل فى تعديل مشروع هو يراه مقبولا بدون هذه التحفظات مهما يكن عنده من حسن القصد وسلامة النية ؟

ومن العجيب أن هؤلاء الذين يريدون أن يسلموا لمثل هذا الرجل أمور البلاد يديرها برأيه وبمساعدة من تعرفون ، لا يسمحون لي أن أرسل برقية أو كتابا يحمل شكرا على من حمل من الأعمال بدون اطلاعهم ، ويعدون انفرادى بمثل هذا العمل جارحا لشعورهم ، ماسا بكرامتهم حتى كان من أمرهم أن أرسلوا الى خطابا يحتجون فيه على هذا الانفراد . وفي عبارات جافية لا يوجهها متبوع لتابع . اتظن أن جماعة ضعفت الثقة بينهم الى هذا الحد يمكنهم أن يشتركوا في عمل ؟ وان اشتركوا هل يمكن أن يقدر لهذا العمل نجاح ؟ كلا . انهم لم يتظاهروا بموافقتنا الا انقاء لسخط الامة وتلطيفا لفضيها ، والا فانهم سيعملون في السر على بث أفكارهم وترويج مقاصدهم والدعوة الى تأييد سيدهم الذي رأوا فيه المعين على الوصول الى غايتهم التي ينشدونها كما تعلمون ، ولقد رأيناهم يقابلون بوجه هاشة بسامة كل خير يدل على ضعف النهضة الوطنية والروح المعنوية وفتور الهمم وانحلال القوى . ويعبسون للاخبار التي تدل على قوة روحها ، وكمال يقينها في حسن الاستقبال .

ان نفوسا هذه حالها يضر وجودها في الافراد فما بالك بالقواد ؟ اني كثيرا ما ضغطت شعوري الشخصي وتسامحت في حقوقي الذاتية بل لم احسب حسابا لهذه الحقوق . ولكني لا املك أن اتساهل في حق عام عاهدت الامة على الاحتفاظ به ، فلا أستطيع أن افرط فيه لعدو ولا لولي ولكني اسكت اذا لم يضر السكوت به ، أما اذا رأيت منه خطرا فواجبي يدفعني الى الجهر بالحق والله ولي العاقبة .

لا بد أن تكونوا قد علمتم أن اسم المكباتي بك كان من بين العائدين ، ولكنه لم يعد ، انه من صفهم وعلى رأيهم ولكنه لم يكن مسافرا معهم بل في عزمه اللحاق بهم ، وانما كتبوا اسمه مع اسمائهم تفخيما لشانهم ولكي يعتزوا باضافة لون آخر الى لونهم ،

حتى لا يقال أن حزب الامة قد عاد الى بدايته وانتهى الى غايته ان
الله لا يصلح عمل المفسدين » •

سعد زغلول

حاشية :

أضاف الرئيس الى هذا الخطاب حاشية كتبها بخطه وهذا
نصها :

« أرجوك أن توافيني بجميع الاخبار ما جل منها وما قل • ولا
تنتظر بالمهم منها قيام البريد ، بل أرجوك أن تسارع بإرساله
بالتلغراف وحساب النفقات على الوفد ، وأنا الذى أدفعه اليك .
فلا تكسل وانى اعتبر الاخبار بعدم وجود جديد خيرا • والسلام » •

سعد

الفصل السادس

سعد يعتزم أمرا

٢٨ من يناير سنة ١٩٢١ :

تسلم الرئيس صباح اليوم برقية بالشفرة أرسلها اليه مصطفى النحاس وقد جاء فيها : « ان الاعضاء العائدين قد نشروا بيانهم الموعد ذكروا فيه الخلاف تلميحا وأكدوا عدم الانقسام تصريحاً وأن كل جماعة يقع فيها خلاف في الآراء ، وليس معنى ذلك أن كل خلاف في الرأي يعتبر ضدعا للوحدة وانقساماً في الجماعة ، أو خروجاً على المبدأ أو ابتعاداً عن الهدف الوطنى . ثم ختمت البرقية بالرجاء « المثلث » من مصطفى النحاس ووصفا واصف والدكتور حافظ عفيفي ، أن ينشر الرئيس بياناً على الامة ينكر فيه كل انقسام ، ذلك لان بيان الاعضاء العائدين كان سالماً وتأثيره طيباً في الرأي العام في مصر ، وأن المصلحة العليا للبلاد تقتضى العمل على ازالة كل خلاف وكل انقسام أملاً في ضم الصفوف » .

وغضب الرئيس من هذه البرقية غضباً شديداً . وأمل على برقية « مستعجلة » بأنه لا يرى رأيهم في اصدار بيان بالمعنى الذى يريدونه .

وتلقى الرئيس أمس وأول أمس واليوم عدداً غير قليل من البرقيات تهدف كلها الى اظهار الثقة في شخصه والايان بصرحة خطته والتهنئة على ثباته ، ولعل هذه البرقيات كان لها بعض الشأن في سخط الرئيس على نصيحة « الاعضاء الثلاثة » ورفضه لها ، كما كان لها أثر ظاهر في عودته الى الهدوء والغبطة وقال :

« الحمد لله • ان الامة بخير ومتيقظة لكيد الكائدين ، ولم تتأثر
بختل المخادعين ولا بضعف الناصحين المتخاذلين » •

الرئيس يفكر في تعديل اللائحة الداخلية للوفد

٢٩ من يناير سنة ١٩٢١ :

فكر الرئيس في أن ينشر على الأمة نداء هذا مطلعه :

« أشكر الأمة الكريمة التي وضعت ثقتها في شخصي وهذه الثقة
تحملني مسئولية كبرى ، ولا يتأتى القيام بهذه المسئولية العظيمة
من غير أن تكون مصحوبة « بحرية القول والعمل » . فأعترض
واصف غالى وعلى ماهر وسينوت حنا على تخصيص ذكر الثقة
بشخص الرئيس لا بالوفد كهيئة ممثلة للأمة •

فغضب الرئيس وقال : « لا داعي الى هذا النداء اذن » ثم
طواه ودهش الاعضاء الثلاثة وسكتوا • وكان سكوتهم عين الحكمة
والصواب • ولا شك أن موضوع هذا الخلاف لا يسمح بمناقشة ،
ولا ينتهي بأية حجة يدلى بها أحد الفريقين ، وفي السكوت منجاة
لكل صدام وعصمة من ظهور الخصام •

وبعد خروجهم شكوا الى الرئيس من سلوكهم وانتقده في مرارة
ظاهرة فسأله : ماذا تقصد يا سيدى بعبارة ((من غير أن تكون
مصحوبة بحرية القول والعمل ؟ » •

فقال الرئيس : لقد فكرت في الايام الاخيرة في ضرورة تعديل
اللائحة الداخلية للوفد على أساس أن العضو الذي يختلف مع
الرئيس اختلافا خطيرا أو كبيرا يقدم استقالته ، فإذا امتنع
جازت اقالته •

فسكت واستطرد الرئيس قائلا :

« لا يمكن انتظام العمل في الوفد الا اذا تغير النظام الخاص
وأصبح من الممكن اخراج أى عضو يختلف مع الرئاسة اختلافا
أساسيا شديدا فإذا لم يكن كذلك استحال على العمل مع قوم
لا وفاء عندهم ، ولا حرص على المصلحة العامة » •

فأثرت استمرار السكوت ، فقال الرئيس : « لماذا تسكت ،
ولا تتكلم ؟ ان المسألة في غاية الوضوح • وما من أحد يقول انه

إذا حصل خلاف شديد بين أحد الاعضاء والرئيس يخرج الرئيس ويبقى العضو . ولعلك لا تعلم أن هذا هو النظام المتبع في جميع مجالس الوزراء في فرنسا وانجلترا وإيطاليا وألمانيا .

وهنا هبط السكوت عليه وعلى ، ولم يقطع هذا السكوت الا برقية ثانية من النحاس الى الرئيس أغضبته . . . برقية وصلت من الاعضاء الثلاثة وبامضائهم وهي بالشفرة فسلمها الرئيس الى كالعادة لأحل رموزها ، وهذا نصها :

« ان الرأي العام في البلاد في اضطراب شديد . ونرجوكم في الحاح ألا تفعلوا شيئا يكون غير قابل للإصلاح ، وأن ترسلوا إلينا ما ترونه وما تقترحونه قبل أن تنشروه مباشرة في مصر » .

الامضاءات

النحاس . ويصا . عفيفي

فضحك الرئيس في سخرية ظاهرة وقال : « ما شاء الله يا سبحان الله . هؤلاء الاعضاء الثلاثة يزيدون أن يقيموا من أنفسهم رقباء علينا » .

وفي المساء حضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا لزيارة الرئيس فاطلعهم على البرقية الرمزية الأنفة الذكر ، وكانت دهشة الرئيس عظيمة عندما رأهم يوافقون على ما فيها من رجاء ، وكانت موافقتهم من غير شرط أو قيد أو أقل ملاحظة .

فلما لفت الرئيس أنظارهم الى أنه لا يجوز أن يقيم هؤلاء الاعضاء أنفسهم مقام الرقيب عليه وعلى اخوانهم الموجودين معه في باريس قال على ماهر : هذه ليست رقابة بل معاونة ، وهم في مصر أدري منا بما فيها من شعور عام وجو سياسى . وأيده في ذلك وواصف غالى وسينوت حنا .

الحالة العامة كما أراها وأتنبأ لها

٣٠ من يناير سنة ١٩٢١ :

الساعة السابعة صباحا - في الايام الثلاثة الماضية استبدت الحالة العامة باحتكار كل أفكارى وكان تفكيرى فيها سطحيًا حينًا وعميقًا حينًا آخر ، وصحوت اليوم وقد تبلورت في نفسى مشاعر بارزة

وأصبح عقلى يقبلها قبوله للحقائق الثابتة والافكار السليمة الصحيحة فرأيت تسجيلها :

الشعور الاول : ان ميدان المعركة قد انتقل الى مصر ، وبعد أن كانت باريس ولنسبدن هما قبلة الانظار أصبحت القاهرة قبلة الانظار ومناطق الآمال ، ففي القاهرة : عدلى والاعلبية من أعضاء الوفد ، وثلاثة من أنصار الرئيس (النحاس • وويصا • وعفيفى) يريدون أن يقيموا من أنفسهم « رقيباً » على الرئيس وإخوانه فى باريس (على حد تعبير الرئيس) ، وفى مصر رأى عام وفى مصر وزارة توفيق نسيم تستعد للرحيل ، ووزارة برياسة عدلى تستعد للظهور • والدعاية السياسية لعدلى تنتشر وتنتشر دائرتها يوماً فيوماً • وأعضاء الاعلبية الوفدية يؤيدونها مع كل من يقابلهم من الاهل والاصدقاء والزائرين • وهؤلاء يخرجون من مقابلتهم لينشروا ما سمعوا ، فالصراع بين سياسة عدلى وسياسة سعد قد اشتد وتفاقم •

الشعور الثانى : أن الرئيس سعد أصبح موجوداً فى باريس ليس معه الا أعضاء ثلاثة (على ماهر • وواصف غالى • وسينوت حنا) وهم يخالفونه فى بعض أفكاره واتجاهاته ورغباته •

الشعور الثالث : إن الرئيس يعانى أزمة نفسية حادة وهى فى نظرى أشبه ما تكون بأزماته النفسية الحادة التى عانى من ويلاتها ما عانى فى الفترة السابقة لمفاوضاته مع ملتر •

الشعور الرابع : ان بقاءنا فى باريس أصبح عبثاً لا طائل تحته . فلا يمكن أن تدار معركة فى مصر وقيادتها فى باريس ، ولا بد للرئيس عاجلاً أو آجلاً من أن يقرر العودة الى مصر كما عاد المنشقون الخارجون عليه من أعضاء الوفد حينذاك ، وحينذاك فقط : يتقابل خصومه وجهاً لوجه والغلبة والنصر له لا محالة بفضل شخصيته القوية السحرية ومقدرته الخطابية • هذا فضلاً عما لديه من أسلحة فتاكة هائلة : فصاحة دافقة وشجاعة فائقة ، ونشاط عجيب وإيمان أعجب • فالحق فى جانبه وسياسته وأهدافه هى الاستقلال الذى ثارت الامة من أجله ، وعلقت عليه كل أمل وكل رجاء ، وأما خصومه فليست لهم هذه الأسلحة وهم الخاسرون بلا شك وهو المنتصر لا محالة •

الشعور الخامس : ان العوامل الحاسمة التى ستخرج الموقف من ركوده الحالى وستدفع الرئيس دفعا الى اتخاذ قرار جديد هى فى نظرى :

أولا : عندما يتولى عدلى باشا رئاسة (الوزارة) فعلا ويبدأ نشاطه الرسمي استعدادا للمفاوضة الرسمية .

ثانيا : ظهور تقرير ملنر وما يكشف عنه من نيات واتجاهات ، وغايات .

ثالثا : شعور الرئيس بعدم جدوى بقائه فى باريس ، بينما الممارك الحاسمة تدور فى مصر بين أنصاره من غير قائد ، وخصومه بقيادة عدلى نفسه ، حينذاك تتقرر بصفة نهائية (العودة) الى مصر .

هذه العوامل الثلاثة مجتمعة أو احدها منفردا ينطوى على قوة عاملة حاسمة فى وضع حد للحالة الراهنة ، والخروج من هذا الركود المضطرب وتسيير الامور فى اتجاه جديد .

الشعور السادس : ان الخروج والانشقاق على الرئيس هو المصير الذى ينتظر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا وهذا الشعور ممدى يقوم على أساسين أو اعتبارين :

الاول : ان هؤلاء الأعضاء الثلاثة الباقين مع الرئيس حتى الآن فى باريس لا يكادون يتفوقون معه على شيء بل انهم يكادون يخالفونه فى كل شيء .

الثانى : ان الرئيس اصبح شديد النفور منهم والسخط عليهم كما سجلت ذلك فى الاعتراف العشرين حيث قال الرئيس فيه : ان دوام هذا الحال من المحال . هذا وأشعر كذلك ان على ماهر وسينوت حنا سينضممان الى الاغلبية الوفدية المنشقة وأما واصل غالى فيسعتزل السياسة ويعود الى الفلسفة والادب .

الشعور السابع : ان الرئيس سعد سيجد فى نفسه الشجاعة (بعد ان يتركه بعض أعضاء الوفد) ان يختار وان يعين أعضاء جديدا يتوسم فيهم الاخلاص لشخصه ويركن اليهم فى العمل والتعاون معهم باستمرار لخدمة قضية الاستقلال ما فى ذلك شك .

وبهذا ينفذ فكرته التى كانت تهدف الى تعديل اللائحة الداخلية للوفد تعديلا يجعل العضو الذى يختلف مع الرئيس اختلافا كبيرا يستقيل أو يقال . وان سعدا لقادر على ذلك كله لانه أسد مكافح لا يلين ولا يستكين ، وسمعته فوق متناول الناقدين ومكانة سعد

في الامة لاثبت من رضوى ولأمنع من عقاب الجو ولا ترقى اليها
سهام الحاقدين والهادمين والقاتكين ، ولو كانت مكانة سعد في
الامة قابلة للهدم والزوال لكانت بريطانيا أقدر على هدمها وازالتها،
ولو كانت سمعة سعد قابلة للتشويه والتعطيم لاستطاعت الدعاية
البريطانية الفنية الواسعة الانتشار أن تصل الى هذه الغاية وتو
في الاقطار العربية والهندية والصينية الخاضعة للنفوذ البريطاني،
أو في البلاد التي تفصلها عن مصر مئات أو آلاف من الاميال حيث
لا يذكر اسم سعد الا مقرونا بالاعجاب والثناء والتقدير ، وهذه
بلاد لم تعرف في سعد غير اسمه وموجز جهاده واهدافه السياسية
فكيف ببلاد مثل مصر عرفت انه ابنها البار وزعيمها الشجاع
المكافح المنافع لتحقيق اعز امانيتها في الخلاص من ذل الاستعمار
والنهوض بها الى عز الاستقلال ؟

الشعور الثامن : ان الرئيس سعد اصبح شخصية عالمية ما في
ذلك شك فلن يتم اتفاق مع بريطانيا عن غير طريقه أو بغير موافقته،
والمسألة في ذلك واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار .

ان سعدا لن يقنع بما دون الاستقلال ولن يقبل ما يتعارض مع
هذا الاستقلال ، وأن ثقته بنفسه وايمانه بقضية الاستقلال والغاء
الحماية وانهاء الاستعمار البريطاني لمصر باتمام جلاء القوات
المحتلة للبلاد ، لا رسخ في أعماق عقله وقلبه وخلايا جسمه من أن
يصرفه عنها جبروت المحتلين ومؤامرات الحاقدين ودسائس
ألداسسين ، ومخالفة المخالفين من اعدائه وانصاره على
السواء .

ولا يعادل هذه الثقة بالنفوس ، وهذا الايمان بهذه الاهداف
الوطنية العليا الا ثقته بولاء الشعب له ، والتفافه حوله في عزم
ووعى ومثابرة بعد ثورته الكاملة الشاملة العارمة التي لم يسبق
لها مثيل في تاريخ مصر كله منذ عهد الفراغة حتى الان، وما هي
النتيجة الحتمية التي تترتب على ذلك كله ؟ هي باختصار ، ان كل
ما يرفضه سعد من عروض الانجليز ويقبله غيره مرفوض من الامة
حتما ، واذا زعم الزاعمون بأن ما يقبله غيره هو الاستقلال تساءل
السائلون من المصريين : اذا كان ما تقولون صحيحا فلماذا لم
يعرضه الانجليز على سعد ليرضى عنه ويباركه ويؤيده ؟
أم هل قدموه لعبدلى حبا في سواد عينيه ؟ - حينئذ
لن يسمح الشعب المصري جوابا يمكن أن يرضى ويقنع ، وهذا
منطق الشعب في براءته وبساطته المفعمة .

ولهذا أشعر شعورا قويا بأن المفاوضات الرسمية التي سيجريها عدلى مع الحكومة البريطانية على أساس مشروع ملنر (ويدون اشراك سعد معه) مقضى عليها بالفشل المؤكد وليس يجوز فى عقل عاقل أن تسليم الانجليز لعدلى بالغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال مع استمرار سخط المصريين عليهم وشكهم فى نياتهم ورفضهم لاعمالهم ، ولو سلموا لسعد بذلك لاطمأن الناس الى ضدقهم نتيجة اطمئنانهم الى الثقة بزعيمهم ، وبهذا ترضى مصر وينتهى كل خلاف وخصام بيننا وبينهم . ان المسألة مسألة ثقة ، وثقة الامة فى زعيمها سعد بلغت غاية الكمال .

استقالة ملنر !

٣١ من يناير سنة ١٩٢١ :

نشرت جرائد لندن اليوم أن لورد ملنر قدم استقالته من الوزارة ، وان استقالته قد قبلت وانه قد منح وسام (رتبة الساق) وهو أعلى وسام فى بريطانيا وذلك تقديرا لخدماته الممتازة لامته وللإمبراطورية البريطانية . كما نشرت جريدة التيمس مقالة افتتاحية تفيض بالاعجاب والتقدير لعبقريته وجهوده التى ساعدت على حل الكثير من المشكلات الدولية العويصة لاسيما فى مفاوضاته مع سعد زغلول والوفد المصرى .

اسباب استقالة ملنر !

لاستقالة ملنر اسباب صحيحة أثبتتها الواقع ، واسباب كاذبة من نسج الخيال .
أما الاسباب الصحيحة فقد نشرت فى لندن . وأما الاسباب الكاذبة فقد نشرت فى مصر .

ففى لندن : نشرت جريدة التيمس ان ملنر رجل أرقه العمل المتصل والجهود المضنية التى بذلها فى مؤتمر الصلح بفرساي ولجانه المختلفة ، ثم فى اعمال لجنته الخصوصية التى سافرت الى مصر للبحث والتحقيق وانتهت بالمفاوضات الطويلة المملة مع الوفد المصرى فى لندن ، وأن ملنر فى أشد الحاجة الى الراحة والاستجمام لا سيما انه قد جاوز السابعة والستين من عمره .

ونشرت جريدة نيوز أوف ذي وورلد : ان ملنر قادم على مشروع زواج وقد تزوج ملنر فعلا أرملة صديقه لورد ادوارد سسل بعد استقالته . وسافر العروسان الى جنوب فرنسا لتمضية شهر العسل .

ونشرت الدلي ميل ان ملنر قرر امتزال الحياة السياسية المضنية ذات المسئوليات الخطيرة المتعبة ان في مثل سنه ، وسيكتفى في المستقبل بالكتابة في الجرائد ، الوقت بعد الوقت .

وهذه الانباء كلها صحيحة وقد أيدها الواقع والأبنت سحتها الايام .

أما في القاهرة : فنشرت الجرائد ان خلافا خطيرا وقع بين ملنر وزملائه الوزراء وأوا ان ملنر جاوز الحد المقبول بتساهله أكثر مما ينبغي مع الوفد في اثناء المفاوضات ، وان المشروع الذي قدمته اللجنة لا توافق عليه الحكومة البريطانية في شكله الحالي لانطوائه على سخاء لمصر أكثر من اللازم .

وهذه المزاعم كلها هراء ومن نسج الخيال اذ لا يوجد في الوزارة البريطانية كلها وزير واحد أشد ضراوة في الاستعمار من ملنر نفسه ، ومع هذا نشرت هذه المزاعم في مصر وكان أول من نشرتها جرائد عدلى المؤيدة لسياسته ومشروع ملنر وذلك لايهام الناس ان المشروع في خطر وان من الخير التمسك به حتى لا تعدله الحكومة البريطانية الى ما هو أسوأ . ولعل من المصادفات التي أيدت هذه المزاعم نبأ تعيين مستر ونستون تشرشل خلفا للمنر في وزارة المستعمرات في شهر فبراير سنة ١٩٢١ .

تصريح خطير لتشرشل !

وقبل تسلمه مهام هذا المنصب رسميا القى خطبة في مأدبة أقيمت للورد ريدنج الذي عين حاكما عاما للهند تناول فيها المسألة المصرية واعتبرها من المسائل البريطانية الخاصة ، وصرح بان مصر جزء من الامبراطورية البريطانية ، كما أعرب عن امله في ان الصعاب القائمة من جانب مصر وأرلنده تتناقص بعد زمن وجيز ، وان تتولى هاتان الامتان شئونهما الداخلية في خلال السلام داخل الدائرة المرنة للامبراطورية البريطانية .

احتجاج مصر على التصريح !

أثار هذا التصريح عاصفة من الاحتجاجات في مصر ، واخذت بعض الجرائد المصرية في سداجة ظاهرة تمدح ملنر وتذم تشرشل وتظهر الأسى والاسف لاستقالة ملنر وخروجه من الميدان قبل أن يتم عمله ويقبل مشروعه وتجرى المفاوضات الرسمية بين مصر وبريطانيا الى نهايتها المرجوة ، وهكذا أصبح ملنر الاستعماري القمح أرحم وأفضل من تلميذه الاستعماري الصغير تشرشل في نظر الجرائد المصرية المؤيدة لسياسة عدائهم ولمشروع ملنر .

وهكذا أظهر فريق غير قليل من المصريين اهتمامهم وشغفهم بمشروع ملنر بعد أن كانوا يتظاهرون بمحاربتهم أو بعدم قبوله إلا بعد تعديله بالتحفظات ، ولقد حزن الرئيس سعد لهذه الحال أشد الحزن وقال في كمد : ((انها لفضيحة !!! ما اصغر عقولهم وما اضعف نفوسهم وما أخف أعلامهم ، أنهم يشيرون في نفسى التقرز والاشمئزاز)) . ثم أرسل برفيقة احتجاج شديد على هذا التصريح الى رئيس الوزارة البريطانية .

الصراع المثلث

٢ من فبراير سنة ١٩٢١ :

ما أجمل باريس انها مسرفة في الجمال حتى في هذا اليوم الابيض : كل ما أراه اليوم بياض ناصع البياض فقد غطى الثلج ليلا جميع الشوارع والطرق والشرفات ، وخرجت في الثامنة صباحا سيرا من مسكني الى محل عملي في الشانزليزيه ، والثلج مازال يتساقط كالقطن المندوف وقبعات الرجال والنساء بيضاء بما حملت من الثلج الخفيف ، ومن عجب أن البرد لا يتزايد وانما يتناقص ذلك لان البرد يستنفد طاقته اللازمة وعنفه الشديد في تحويل بخار الماء المعلق في الهواء الى ثلج يتساقط ، فالبرد محتمل ومنعش ..

في الساعة التاسعة صباحا كنت مع الرئيس في حجرة مكتبه فوجدته جالسا وسط أكوام من الجرائد المصرية يطالعها في شغف ونهم ، فقضيت معه نصف ساعة نطالع هذه الجرائد في صمت تام

من جانبه وجانبى ، ولاحظت أن المعركة ما زالت ناشبة دائرة حامية
الوطيس في مصر بين معسكرات ثلاثة :

الاول : معسكر انصار عدلى ومؤيديه ومريديه من الخطباء
والكاتبين .

الثانى : معسكر انصار الوفد ومؤيدى الرئيس من الكتاب
المتحمسين .

الثالث : معسكر رجال الحزب الوطنى المعادين ، ومن الكتاب
الساحطين وفى طليعتهم أحمد وفيق المحامى .

هذه المعركة المثلثة الاركان ليست فى الواقع الا مظهرا من مظاهر
الصراع السياسى المحموم الذى تزیده حدة نفوس مستثارة بلوافح
الفظ المتكثوم والتعصب الاصيل المكثوم وانعدام التسامح ، فهى
فى الواقع حرب أهلية يسيل فيها الحبر بدل الدماء وتنفجر فيها
الحناجر بدل القنابل وتعصف فيها الالهواء بأقوال ، بعضها جد
وبعضها هراء ، ثم ألقىت بما فى يدى من جرائد ونظرت الى الرئيس
فوجدته مازال يطالع فى تقطيب ويستمر فى المطالعة من غير تعليق
أو تغضيب ، وبينما نحن فى هذا السكوت الشامل دخل الدكتور
حامد محمود ومعه خطاب بالانجليزية مع ترجمته بالعربية وهمس
فى أذن الرئيس وسلمه الورقتين فألقى الرئيس جانبا بالجريدة التى
فى يده وقال : (خطاب آخر من مستر بلنت ماذا فيه ؟)

خطاب هام من بلنت للرئيس

والتفت الى الرئيس وقال : هذا يا كامل خطاب مستر بلنت وعليك
أن تنقح ترجمة حامد له .

وفيما يلى نص الخطاب بعد اعادة ترجمته .

عزيزى زغلول باشا ..

((تسلمت اليوم خطابا من لورد ملنر يرجونى فيه أن أكون شفيعه
لك مرة أخرى بفضل صداقتى الشخصية لك وللمصر والمصريين حتى
لا يقيم العقبات فى سبيل قيام وزارة برياسة عدلى وفى سبيل البدء
فى المفاوضات الرسمية بين ممثلى الحكومتين المصريتين والبريطانية ويقول
أن هذه المفاوضات يجب أن تبدأ قريبا ، ومن غير قيد أو شرط سابق .
على أن يكون كل طرف حرا فى أن يطلب ما يريد ويشترط فى

المفاوضة ما يشاء ، ويؤكد أن التمسك بضرورة قبول التحفظات. أولاً وقبل كل شيء ولا سيما ضرورة النص على إلغاء الحماية مقدماً. عبث لا طائل تحته بل فيه الضرر ولا خير فيه على الإطلاق ، إذ من شأنه أن يحيط كل الجهود التي بذلها ملتر معك في تلك الشهور الطويلة بل قد يترتب عليه سقوط المشروع الذي تقترحه لجنة ملنبر .

وانى يا عزيزى زغلول باشا ارى أن هذا الكلام معقول جداً. ولست ارى أى ضرر على القضية المصرية ، ولا أى احراج لك. وللمصريين فى قبوله ، لهذا أرجوك مخلصاً أن تعيد النظر وتطيله فى هذه المسألة إذ فى ذلك فوائد عملية لا يستهان بها .

هذا ولا اخفى عليك يا عزيزى زغلول باشا أن جملة وردت فى خطاب ملنبر قد استرعت نظرى لأنها تنم عن اغتباطه وسروره بالروح المعتدلة التي انتشرت بين اتباعك وانصارك داخل الوفد وخارجه ، ولا شك أن هذه الحقيقة من شأنها أن تساعدك على تعديل موقفك من التحفظات تعديلاً يتفق مع الاغلبية العامة فى تأليف وزارة الثقة فى مصر برياسة عدلى باشا والبدء فى المفاوضات بغير قيد أو شرط ، ولا حاجة بى أن أؤكد لك أن الراى الاخير سيكون دائماً راىك لانك زعيم مصر الذى لا ينازع ، وسيكون لراىك الاخير الوزن كل الوزن .

هذا وقد جاء فى خطاب لورد ملنبر كذلك أنه سيخرج من الوزارة بعد أيام ليستريح ، ولكن هذا الخروج لن يكون له اقل تأثير فى سير الحوادث على الوجه الذى رسمه حتى يتم ابرام المعاهدة بين مصر وبريطانيا على الاسس التي اقترحها ، والتي يعتقد صادقاً أنها خير ما ينبغى اتباعه فى الوقت الحاضر . هذا وانى أبعث اليك يا صديقى زغلول باشا بأخلص تحياتى))

المخلص بلنت ٢٥ من يناير ١٩٢١

ثم سلمنى الرئيس ثلاثة خطابات أخرى من بلنت وقال : لا تتبادل الراى فيها الآن وأرجو أن تعود الى فى الرابعة بعد الظهر .

برقيتان بالشفرة

عدت فى الساعة الرابعة بعد الظهر فوجدت الرئيس فى مكتبه وفى يده برقيتان بالشفرة ، وكلتاها بامضاء مصطفى النحاس

وويصبا واصف والدكتور حافظ عفيفى فقضيت حوالى الساعة فى فك رموزهما وترجمتهما الى العربية .

أما البرقية الاولى : فتحمل رجاء مكررا حارا الى الرئيس لكى ينشر كلمة كريمة طيبة عن أعضاء الوفد العائدين الى مصر لاسيما أن مسلكتهم منذ عودتهم الى مصر لا غبار عليه مطلقا وعندهم كل الميل الى المسالمة والاتفاق .

والبرقية الثانية : تحمل نص العبارة التى نشرت فى جرائد مصر بامضاء هؤلاء الاعضاء الثلاثة : النحاس . وويصبا وحافظ عفيفى ، وفيها ثناء على الاعضاء العائدين وتأكيد لروح التعاون والتضامن بين أعضاء الوفد جميعا .

الرئيس يغضب ويعتزم أمرا جلا

ما كاد الرئيس يطلع على هاتين البرقيتين حتى ثار غاضبا وتالم أشد الالم وقال فى مرارة ظاهرة :

((يا عجباً كل العجب انهم يعلمون منى تمام العلم كل التفاصيل ورأى واضح ، ولا حول ولا قوة الا بالله)) .

ثم سكت فى هم ظاهر واستطرد : لست أدري كيف يعاودون الكتابة الى فى هذا الموضوع المرة بعد المرة ، والكرة بعد الكرة ، ألا يقتنعون ؟ ألا يفهمون ؟

ثم استطرد قائلا : « لست أدري والله ما الفائدة فى ان اعلن للناس ما يعتقد الناس عكسه . وكيف اكذب على الناس عامدا متعمدا وهم يعلمون الحقيقة .. ؟ »

ان الاعلان الذى يطلبونه منى يضر ولا ينفع ولا قيمة له على الاطلاق . وسيضحك الانجليز منه سائرين ، والشعب فى مصر سيندهش من أحوالنا الصبانية فتضعف ثقته فى أقوالنا وتصريحاتنا بينما يظل المنشقون المخالفون على حالهم ، فلن يعودوا الى رأينا ولن يعدلوا عن خطتهم بل لعلهم يتخذون من كلمتنا وسيلة لترويج بضاعتهم .
ودس الدسائس ضدنا)) .

وهنا سكت الرئيس طويلا ثم قال فى حزم وعزم :

((ان من الخير أن اعلن على الناس فصلهم واستقلالى بالعمل دونهم))

بعد أن أنشر على الناس حقيقة أمرهم وما يهدفون اليه ، ان الظروف القاهرة ستضطرني الى ذلك اضطرارا لان هذا هو السلوك الوحيد المستقيم الذي لا مندوحة عنه ولا سبيل الى تفاديه ، ان معاملتهم الخاصة والعامة معي قد اقنعتني بما لا سبيل الى الشك فيه بأن الثقة بيننا قد أصبحت معدومة مئة ومتى انعدمت الثقة بين العاملين استحال العمل الجدى واستحال التعاون .

انى لأسأل نفسي كل يوم ما الذى يضطرني الى العمل مع اشخاص لا تتوافر الثقة بيني وبينهم ، واهدافهم غير اهدافي : ما الذى يجمعنا الآن ؟ كيف أعلن اتحادى مع اناس يعملون ضدى وعلى مخالفتي ويسعون وراء غاية غير غاييتي ؟ كيف أعلن الثقة فيمن انعدمت الثقة فيهم ؟ هذا تكليف بما لا يحتمل ولا يستطيع ولا يطاق ؟

انى لست ما جورا فى عمل ولا ساعيا وراء غاية ذاتية ، ولكن شعورا قويا قام بى نحو خدمة بلادى فجريت معه ونزلت على حكمه حتى تلقى الحماية ويتحقق الاستقلال .

ان هذا عهد كنيته على نفسي وساظل وفي لهذا العهد ما حييت . فلماذا يطلب منى أن أسير ضد شعورى وأخرج على عهدى وأعمل بغير رايي ؟

كيف اتحمل الهوان ممن لا احترم لهم رايًا ولا انتظر منهم فى العمل عونًا ونفعًا ، ولا أجد فى صحبتهم الا ضرا وشرا ؟ .

ان كانت الامة تريد منى أن أعمل مع انعدام الثقة واختلاف الهدف وان أوافق المخالفين ، فلتعلم الامة انى عاجز عن تنفيذ رغبتها والنزول على ارادتها فى هذا الشأن ، ولتبحث لها عن غيرى ليسعى بها الى غايتها ، اما أنا فبعد أن تحملت وتألمت مثل ما تألمت ، قد ضقت ذرعا وأصبحت لا أستطيع الصبر على ما أنا فيه ، لقد انهك الخلف قوتى . وأضعف العناد صحتى ، وقد عزم على أن أتخلص نهايتها مما أربس فيه من القيود)) .

رد الرئيس على البرقيتين

عند هذا الحد من تدفق الرئيس دخل واصف غالى وسينوت حنا مكتب الرئيس فاطلعهما على البرقيتين الشفريتين وأظهر سخطه عليهما لاسيما الرجاء الحار الذى حملته البرقية الاولى ، وانتظر من

العضوين تعليقا أو تأييدا له ، ولكنهما سكتا فانفعل الرئيس وقال :
((لابد من الرد فورا)) • ثم أملى على ما يأتي لكى أرسله بالشفرة
الى مصطفى النحاس :

((آسف أن أرفض رجاءكم ومسلك الاعضاء وبيانهم لا يستدعيان
منى أى رد ، فضلا عن أن لدى من الاسباب القوية ما يمنعنى من
الاستجابة لرجائكم ، ولعل مقاله التيمس الأفتتاحية المنشورة صباح
اليوم تنوركم فقد فضحت كل سند عن العلاقة بين الاعضاء
والرئيس)) •

ومقاله التيمس التى اشار اليها الرئيس فى هذه البرقية نشرت
ما ترجمته حرفيا :

((ان زغلول باشا قد أصبح اليوم فى واد ، واغلبية أعضاء الوفد
فى واد آخر • المعسكران مختلفان كل الاختلاف والطرفان غير متفقين
على اهم المسائل الاساسية ، وفى طليعة هذه المسائل موضوع
المفاوضات الرسمية المقبلة ، والاساس الذى تقوم عليه الاهداف
التي ترمى اليها)) •

سأل الرئيس العضوين عن رأيهما فى هذا الرد ، فسكت سينيوت
وقال واصف ((لا بأس به)) • وانصرفا ، ثم انصرفت لاعداده
بالشفرة وأرسلته فى المساء •

تعليقى على خطاب بلنت

٣ فبراير ١٩٢١ : سألنى الرئيس هذا الصباح عما اذا كنت
قرأت خطابات مستر بلنت التى سلمها الى أمس فقلت : قرأتها
فى شغف واهتمام •

فقال الرئيس : وما هو أهم ما لفت نظرك فيها ؟

فأجبت : فقرة خطيرة وزدت فى أحد هذه الخطابات وفيها يقول
مستر بلنت : ((ورد الى اليوم خطاب من لورد ملتر وفيه يقول :
« كنت أحب الا يهتم زغلول باشا بمسألة ضرورة النص على الغاء
الحماية ويتشبهت به الى هذا الحد ، اذ يكفى أن تعتبر شروط المشروع
ومواده الغاء للحماية وفى استطاعة زغلول باشا أن يقول لمواطنيه
ذلك دون أن يعترض عليه أحد هنا أو هناك (أى فى انجلترا ومصر)
هذا مع أن كثيرين من زملائه الذين يعملون معه ويسعون مثله الى

نفس الغاية وهي الاستقلال ، يحاولون اقناعه وأفهماه بعدم ضرورة هذا التشبث وترك الموضوع للمعالجة في المفاوضات الرسمية المقبلة، ولكنهم لم يوفقوا معه حتى الآن واني لارجو منك يا عزيزي بلنت أن تستخدم مكانتك الرفيعة في نفس زغول باشا فتكتب اليه لكي يتساهل ويتفق مع زملائه على عدم الضرورة في النص على الغاء الحماية صراحة من الآن ، واني أعرف أن زغول باشا يثق بك ثقة كبيرة وهو كثير التشكك في نيات كل وزير بريطاني وأن كان يثق بي شخصيا أكثر من ثقته في سائر الوزراء البريطانيين الآخرين ، واني مستعد أن أنفذ المشروع كما هو والحكومة البريطانية موافقة على ذلك تمام الموافقة ، فإذا سقط هذا المشروع بعد ذلك فلن يكون ذلك الا بسبب العراقيل التي يقيمها زغول باشا وحده في سبيل المفاوضات الرسمية وفي سبيل الاتفاق المنشود)) .

ثم قلت : ((هذه هي الفقرة الخطيرة التي لفتت نظري وأقنعتني اقتناعا تاما بأن ملتر يعلم كل العلم بالانقسام الموجود في الوفد ويعرف أسبابه وبواعثه ومداه فمن الذي أحاطه بكل دقائق الموقف الى هذا الحد غير عدلي .العليم الخبير بالحالة داخل الوفد ؟ . لاشك عندي في أن تشبث ملتر في رفض طلباتك انما يرجع الى عرفانه بحقيقة الخلاف داخل الوفد)) .

وقعت كلماتي هذه على مسامع الرئيس اجمل وقع ، وكانني به قد شعر بالغبطة . ثم أخذ يهز راسه وعلى شفثيه ابتسامة خفيفة وقال في مرارة : ((ومع ذلك ترى النحاس وصاحبيه يريدون مني أن استمر في العمل مع هؤلاء القوم وأغمض عيني عن الواقع الشائك الاليم ، كان مجرد اغماض العين عن الحقائق يزيل الاشواك او كان الكلام الطيب الكاذب يمهّد الطريق ويزيل الاخطار ويحقق الاحلام ، ان هذه سياسة النعامة)) .

ثم قلت للرئيس : في نفسى سؤال لا أعرف له جوابا . قال : ما هو ؟

قلت : لماذا لم تعقد جلسة للوفد يحضرها جميع الاعضاء قبل عودتهم الى مصر ، وتطلعهم على خطاب مستر بلنت هذا الذي يهتك المستور ولا تجدى معه مراوغة أو انكار ، انك لو فعلت هذا لكنت تخجلهم وتفجعهم أو توقظ ضمائرهم .

فقال الرئيس : سؤالك هذا يا كامل ليست له القيمة العملية التي تتصورها . ولا فائدة مطلقا في عقد اجتماع لمثل هذه المسألة ، لان

الاعضاء سوف يقولون ((وما شأننا نحن اذا كان ملنر قد عرف رأينا ورأيك في مسألة معينة أو في أى موضوع من الموضوعات ، اننا لم نذهب اليه ونخبره . فقيم اللوم والعتاب)) ، واذا قلت لهم أن صاحبكم عدلى هو الذى أخبره واطلعه على أسرار المداولات فى الوفد لانه الوحيد المطلع على هذه الاسرار ومتصل بملنر فى الوقت عينه ، أجابوا : هذا شأن بينك وبين عدلى كلمه وحاسبة واصرف رايه، ولكن لاداعى الى عقد جلسة للوفد ينظر فيها فيما لا شأن له به ؟ ومن يدري فقد يقولون أكثر من هذا . يقولون مثلاً : ان لك رأيا فى مسائل معينة ولعدلى رأى مخالف فى هذه المسائل ، وعدلى ليس عضواً فى الوفد حتى يلتزم بالتزامات الاعضاء ، فاذا سألته ملنر عن رأيه الخاص هل كان من الممكن أن يكتمه ولا يبيح به بملنر لانه مخالف لرأيك ؟ واذا سألته ملنر عن أى الرايين : رأى عدلى أو رأى سعد يحظى بموافقة أغلبية أعضاء الوفد هل كان من الممكن أن يمتنع عدلى عن الاجابة بأن رأيه الخاص أرجح كفة من رأى سعد ؟

ثم استطرد الرئيس فى تدفقه وكأنه يلقي كلاما محضرا أو يقرأ من ورقة مكتوبة: ولو أنى عاتبت عدلى أو وجهت اليه الاتهام لانكر الاتهام واستنكر العتاب ولاجانبى باننى انما أحكم بالقرائن والشبهات وليس لدى دليل حاسم سوى سوء الظن والاستنتاج ، وما الذى يمنع ملنر من أن يكتب ما يشاء الى صاحبه بلنت أو غير بلنت ؟

ان المسألة يا كامل ليست بالبساطة التى تصورتها وليست لها فى الواقع أية فائدة عملية ، بل الضرر منها انها ستزيد العلاقات سوءاً بينى وبين عدلى ان كان وراء سوءها الحال متسع للزيادة)) .

أصغيت الى الرئيس وهو يتحدث فى سهولة ويسر ، ثم قلت عند انتهائه من كلامه لقد اقتنعت . ولكنك يا سيدى قد جاوزت حدود الاقتناع ووصلت ببيانك الى حدود الاقحام . فابتسم وقال : هذا أسلوب جميل فى التعليق .

حياة بلنت

٤ من فبراير سنة ١٩٢١ :

لقد لعب مستر بلنت دورا على أعظم جانب من الاهمية على مسرح العلاقات المصرية البريطانية ، وكان موضع الاحترام والتقدير من جميع

الزعماء المصريين قديما وحديثا .. وأرى من واجبي أن ألخص حياته وبواعثه وأهدافه عرفانا بفضلته وتنويعها بذكره وتبييننا لماثره وآثاره .

ولد (بلنت) في سسكس في ١٧ أغسطس عام ١٨٤٠ وكان والده ضابطا اشترك في معركة الجزيرة ، واسرته ارسنقراطية وغنية ومحافظنة .

في سن ١٨ التحق بالسلك الدبلوماسي سكرتيرا في السفارة البريطانية بأثينا ثم مدريد فباريس ثم البرتغال وسويسرا وأمريكا الجنوبية ، وقضى في هذه الخدمات الدبلوماسية حوالى ١٢ سنة .

اعتزل خدمة الحكومة البريطانية عند زواجه من لادى آن حفيدة الشاعر المشهور بيرون .

في ١٨٧٢ ورث بعد وفاة اخيه الاكبر ضيعة ضخمة في مقاطعة سسكس واشتغل بالكتابة في الصحف وبالتأليف شعرا ونثرا ، وبدأت تبرز مواهبه المتعددة الجوانب ، فاشتهر اسمه كاتبا نابها وشاعرا مبدعا ومتحدثا بارع الحديث ، فكثرت أصحابه المعجبون به .

أحب السياحة فزار استنبول والجزائر ومصر والعراق والجزيرة العربية .

في شتاء عام ١٨٧٦ كان أول لقاء بين بلنت ورجال مصر في ذلك الحين فشهد الثورة العربية وصاحبها ، وكان يعطف على المطالب القومية المصرية اشد العطف ، كما استنكر بلسانه وقلمه في الصحف السياسة البريطانية الاستعمارية اشد الاستنكار اذ رآها رأى العين تحريك المؤامرات وتلجأ الى كل أساليب الختل والكذب والخداع تمهيدا لتدخلها واحتلالها لمصر ، وكان صديقا حميما لعرابي والشيخ محمد عبده ، وأجرى معهم أحاديث متنوعة وعرف نواياهما وأهدافهما فاعجب بهما ، وأرسل رسالة ضافية الى جلادستون رئيس الوزراء البريطانية بخلاصة أحاديثه مع عرابي ، وقد اشترك معه في وضع هذه الرسالة الشيخ محمد عبده نفسه وأطلع عليها عرابي قبل ارسالها الى لندن ، وكان عمره في ذلك الوقت ٤٢ سنة وعمر سعد زغلول ٢٢ سنة وقد تعرف به سعد في منزل الشيخ محمد عبده واعجب به .

ظل بلنت يعطف على قضية مصر طوال حياته وظل جزينا على مرون السنين بسبب احتلالها ، وقد ألف بلنت كتابا ضخما بعنوان (التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر) وطبعه ونشره عام ١٩٠٧ .

وقد ضايق هذا الكتاب (بأسراره الخطيرة المكشوفة) الحكومة البريطانية حتى أنها حاولت مصادرته ومنع انتشاره بشراء كل النسخ المعروضة فى الاسواق حتى لا يطلع عليه الناس خارج بريطانيا .

وعندما فشلت ثورة عرابى واحتل الانجليز مصر عام ١٨٨٢ قام بلنت بنشاط كبير فى لندن للدفاع عنه ، فأختار المحامى الانجليزى القدير برودلى ليكون محامى عرابى فى أثناء محاكمته ، كما قابل رئيس الوزراء جلاستون وولى العهد وكثيرين من أعضاء البرلمان ، ولما فشل فى انقاذ عرابى من مخالب السياسة الاستعمارية ومخالب الخديو توفيق الذى كان يريد اعدام عرابى من فرط غيظه وحقدته عليه ، نظم فى عرابى قصيدة طويلة بعنوان (الريح والعاصفة) .

ودرس بلنت (اللغة العربية) وأتقنها وأحب الادب العربى ، وكان يرى أن العرب هم ورثة مدنية عامرة بالبطولات والادب الحى الجميل .

ومما هو جدير بالذكر أن المحامى برودلى (بعد عشرة أيام من بدء محاكمة عرابى) أرسل برقية الى بلنت جاء فيها ان أزمة خطيرة قد ظهرت اذ علم من ثقة أن الخديو مصمم على شنق عرابى وأنه لن يرضى بأقل من ذلك مقوبة ، فهاج بلنت وماج وكتب مقالا ضافيا فى جريدة التيمس هاجم فيها الخديو واتهمه علنا بأنه سبب كل المتاعب ، كما اتهمه صراحة (بالارغبة) فى اعدام عرابى الوطنى المصرى ، فثار الرأى العام فى انجلترا حتى اضطرت الحكومة البريطانية أن تنصح الخديو ألا يتدخل وأن يعدل نهائيا من رغبته فى شنق عرابى فعدل كارها .

ولما صدر القرار بنفى عرابى الى جزيرة سيلان مع بعض صحبه
هزت الاريحية بلنت الى السفر الى سيلان فى ٢٠ من اكتوبر عام
١٨٨٣ لزياره عرابى * (١)

واخيرا وليس هذا بالاقل اهمية من كل ما سبق . .

ما كاد بلنت يعلم بوصول سعد زغلول الى لندن لمفاوضة ملنر
حتى ارسل اليه خطابا يعرض فيه خدماته ويقول أنه يكون
سعيدا جدا أن يكون فى خدمة قضية مصر فى هذه المرحلة وفى
خدمة الوفد ورئيسه رغم شيخوخته وكثرة أمراضه (وكان بلنت
فى الثمانين من عمره عام ١٩٢٠) ، فكان رد سعد على هذا الخطاب
الرفيق الكريم أن سارع الى زيارته فى بيته الجميل فى مقاطعة
سسكس وقد صحبت الرئيس فى هذه الزيارة .

سألت الزعيم سعد زغلول عقب عودتنا الى لندن عن مشاعره
بعد هذه الزيارة ، فقال : ((هذا الرجل تحفة نادرة)) بين الانجليز
وقد بلغ من نبلة وشهامته أن تمرد على الظلم ومكائد الاستعمار
البريطانى فى مصر . من فرط حبه للحرية والكرامة الانسانية
وأنصاف المصريين من بنى أبناء وطنه وطفقيانهم ، وكان صديقا وفيئا
غاية الوفاء لعرابى ومصر وأبناء مصر ولا أعرف له هفوة واحدة فى
صدق خدمته لنا ، انه رجل مثالى فى عصر ضاعت فيه المثاليات ،
وأنا لا أعرف نبلا أعظم من نبلة فى خدمة قضايا الضعفاء ضد الاقوياء
وأية ذلك أنه تبنى قضايا التحرير فى مصر وايرلندة والهند)) .

(١) * ملاحظة : (كان الحكم قد صدر على عرابى وصحبته
بالنفى فى ٣ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ وأخرجوا من مصر الى المنفى
يوم ٢٧ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ وعاد من المنفى فى سبتمبر سنة ١٩٠١
وكان يسكن فى شارع خيرت . فحضر بلنت الى مصر فوراً لزيارة
عرابى والاطمئنان على حاله فى اكتوبر سنة ١٩٠١ وظل يزوره
يومية طوال شهر كامل ومعه الشيخ محمد عبده ، وتوفى عرابى فى
٢٢ سبتمبر عام ١٩١١

وقد سجل عرابى رأيه فى بلنت اذ قال : ((هذا رجل عظيم
كريم لم يدخر جهداً ولا مالا فى معاونته لى فى ساعة محنتى وحاجتى
القصى الى المعونة ، بعد أن تخلى عنى اصداقائى المصريون الذين
كانوا يلازموننى ولا يتركوننى فى أيام اليسر)) .

وقد ظل بلنت الى آخر يوم في حياته يشجع كل مصرى يقابله
وبينارك كل مجهود يبذل لخلاص مصر من الاحتلال البريطانى الذى
اعتبره وصمة في جبين بريطانيا ومظهرا لحقارة السياسة البريطانية
الاستعمارية المخالطة المخادعة *

خطاب من الرئيس الى النحاس

أملى على الرئيس سعد صباح اليوم خطابا منه الى مصطفى
النحاس جاء فيه ما نصه :

((كنت انتظر منكم ان تحيطونى علما من آن لآخر بتفصيلات
الاحوال عندكم خصوصا ما يتعلق منها بقدوم اصحابنا فلم ترسلوا
الا ذلك التفغراف الذى اجملتم فيه تلك الاحوال ، ولكنى الى الآن
لم اعلم ما قالوه لكم في الاجتماع الذى عقدتموه مع أعضاء الوفد ،
ولا السبب الذى حمل القاعدين منكم على الاشتراك مع العائدين
في ذلك البلاغ ولم يطلب من القاعدين بيان وانما الذى كلف به
العائدين كما لم اعلم السبب في عدم الاجابة على بلاغى الذى نشرته
الاخبار اذا كان معنى الاثنين واحدا ، ومهماهما واحدا ، وكيف
وافقتم انتم على هذا الخلاف وهل اعتقدتم معهم ان العدلين
الذين أشعلوا نار الخلاف بما كتبوه في الجرائد خصوصا في جريدة
الافكار والاهرام ، كانوا يروجون سياسة الدخول في المفاوضات
على اساس المشروع حبا للوطن ورغبة في الصالح العام كما ورد في
ذلك البلاغ ؟ هل اعتقدتم ان تلك المناقشات بريئة ان الامر خطير
وستظهر الايام ما كان خافيا)) .

برقية من النحاس

٦ من فبراير سنة ١٩٢١ :

في الساعة السابعة صباحا جاءتنى اشارة تليفونية من الرئيس
ان اذهب اليه فوراً في منزله ، وبعد دقائق معدودات خرجت

✽ توفي بلنت عام ١٩٢٢ وهو في سن الثانية والثمانين .
وقد قابل المصريون وفاته بالاسف والحزن الشديد . وكان
أول اكليل من الورد والازهار وضع على قبره في سسكس هو اكليل
سعد زغلول زعيم مصر الذى عذبه الانجليز ونفوه أخيرا كما فعلوا
مع عرابى الذى سبق أن حاربوه ونفوه من قبل الى جزيرة سيلان

مسرعاً من حجرتى وذلك لانى تصورت ان الرئيس قد يكون مريضاً
وفى حاجة قصوى الى ولا معنى لاضاعة دقيقة واحدة ان أمكن .
وجدت الرئيس فى حجرة مكتبه وكل ما هنالك ان تلغرافاً بالشفرة
وصله من النحاس سلمه الى لاجل رموزه ، ونصه كما يلى :

((لم يعمل أى عضو من العائدين حديثاً بعد البلاغ الذى صدر ،
والامة منتظرة بفارغ الصبر بلاغا منكم وعسى أن يكون قراركم
النهائى سائماً ومرضياً)) .

وما كاد الرئيس يطلع على هذه البرقية حتى أمر بحفظها وقال :
((هل تعلم ان عبد العزيز فهمى ولطفى السيد وحمد الباسل
ومحمد على علوبة لا يكونون الحب لمصطفى النحاس . . انها
الحقيقة الاليمة)) .

بريد من مصر

وصلت جرائد مصر الآن وأنا جالس مع الرئيس وتسلم معها
بضعة خطابات منها اثنان من النحاس وفيهما وصف استقبال
الأعضاء وما بدله من مجهود كبير ليمنع وقوع أية مظاهرات عدائية
لهم ، وأن نقابة المحامين قررت عدم ارسال نائبين عنها لاستقبالهم
بعد أن سبق أن قررت ذلك ، وأن النحاس وحافظ عفيفى وويصا
واصف أرسلوا برقية لاسلكية الى ظهر المركب يرجون فيها الأعضاء
بالألا يدلوا بأى حديث أو تصريح عند وصولهم حتى يقابلوهم ،
وليس فى الخطابين شئ مطلقاً عما قاله الأعضاء لهم عند لقائهم
ولا ما جرى فى اجتماعهم الذى انتهى باصدار بلاغهم .

هذا وقد لاحظ الرئيس ان جرائد (الامة والحروسة والاهالى)
طعننت فيه اشد الطعن كما نشرت برقيات زعمت انها وصلت اليها
من أنحاء البلاد بسحب التوكيل منه وكتب أحمد وفيق المحامى
(حزب وطنى) مقالا جاء فيه : ((ان سعد زغلول لم يتشبث بعدم
الدخول فى المفاوضات المقبلة كدافع وطنى ، وانما لمجرد معاكسة
عدلى الذى أظهر ملنر الميل اليه دونه)) .

سعد يقول : عودتى لمصر ضرورية !

٧ من فبراير سنة ١٩٢١ :

تناولت الشاى مع الرئيس اليوم ثم قال وعلى وجهه ابتسامة خفيفة ((عجباً !!! أن بعض جرائد مصر قد أخذت الآن تنتهجم على والأدهى من ذلك أن المدعو اسماعيل بك لبيب (من الحزب الوطنى) قد أرسل برقية الى مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية بأن الشعب المصرى لا يؤيدنى وبأنى لم اعد امثل مصر ، وأن كل اتفاق معى لا قيمة له ولن تقبله مصر ، هكذا بلغت الحماسة والخيانة بعض الناس ، وكان الوطنية فى نظرهم هى أن يظعن بعضنا على بعض ، وأن نسقط كل زعيم يحوز ثقة الأمة حتى لا يرتفع رأس وحتى تضيع كل ثقة . الثقة لا بد من الثقة فهى سر نجاح الانجليز اذ تتوافر الثقة بين أبنائها ، ولا خير فى امسة لا تحترم قادتها . تصحيحهم ان اخطاوا لا أن تقتلهم قتلا ، واسفا على مصر ما دام فى بعض أبنائها هذا الطغام الحافد الاعمى الذين لا يدركون انه ليس من السهل ايجاد الزعماء الأكفاء فى المراحل الحاسمة من مراحل التاريخ)) .

بهذه النغمات تحدث الزعيم ، ولكن سرعان ما انتفض اقوى ما يكون وقال : ((هؤلاء ليسوا هم الأمة وانما هم انتهزيون لا فى العير ولا فى النغير ، ولا وزن لهم ولا تأثير ، وفطرة الشعب المصرى سليمة يمكن الاعتماد عليها . ثم قال :

((ان الحكمة والضرورة تقضيان بعودتى الى مصر لانولى المعركة بنفسى بعد أن أعيد تنظيم الوفد من جديد . انها معركة ضارية قاسية . انظر الى جرائد المتأمرين تحد الاهالى والمحروسة والمنبر ولا هم لها فى جميع مقالاتها الا مهاجمة الوفد ومحاولة اثبات تقصيره وهى تهدف من وراء ذلك كله الى اسقاط التوكيل عنه وفض الناس من حوكة ، وهى فى كل ذلك لا تتعرض للانجليز بكلمة نقد واحدة . . ولا شك فى انها جرائد ماجورة من الانجليز الذين يفدون عليها المصاريف السرية بسخاء واسراف . وللانجليز اسلحة مختلفة لمحاربة الشعوب ، فقد اتخذوا الوطن والمنبر ليمدحا كل ما عرضه الانجليز حتى التى تخدم الاستعمار البريطانى بشكل مكشوف لا ثقة للناس بها ، لذلك لجأ الانجليز الى نوع آخر من الجرائد ، وهى جرائد الحزب الوطنى .

انها جرائم تنطرف في الوطنية وتطلب المخال السودان وملحقاته والصومال وزيلع بلا قيد ولا شرط وهي تمطر الوفد وابلا من التهم الباطلة وليس لها قصد في ذلك التطرف والتظاهر بالوطنية الجامحة الا زعزعة ثقة الناس في الوفد ورئيسه، ثم هي لا تتعرض للانجليز باى سوء او نقد . لقد تتبعت كل ما كتبت فلم احدها تعرضت ولا مرة واحدة للاعضاء العائدين بكلمة نقد ، وانما النقد الشديد محصور ومركز كله على سعد زغلول بغير اى ذاع او مسرر، ولكن عداها السافر نحوى لا سيما وهم يرون ثقة الامة بشخصي ثقة فريدة معدومة النظر .

حتى جريدة الاهرام اصبحت مملوءة بكتابات العدلين وانصار الاعضاء العائدين وتحبيذ مشروع ملتر ، ان عودتي اصبحت لازمة واني لقادر على تحطيم كل هؤلاء القادرين والمنحرفين)) .

سفر ثلاثة الى لندن فجأة

١٩ من فبراير سنة ١٩٢١ :

تقرر اليوم سفر على ماهر وسينوت حنا الى لندن ومعهم الدكتور حامد لان البرلمان سيفتح في ١٥ منه ، ويحسن مقابلتهم لبعض أعضاء مجلس العموم من حزب العمال العاطفين على مصر لكي يضعوا أسئلة محددة لكشف الطريق عن نيات الحكومة البريطانية ازاء مصر في ضوء تقرير ملتر الذي لم ينشر بعد . وفي أثناء تناولي الشاي مع الرئيس سألته عن الحكمة في ارسال سينوت حنا وهو لا يعرف الانجليز فابتسم وهز رأسه وقال : ((لا تنس ان لسينوت شهرة في مصر من أيام مقالاته المشهورة)) .

هذا وقد وضع الرئيس مذكرة عن التحفظات المراد تعديل مشروع ملتر على أساسها وطلب مني أن أترجمها الى الانجليزية حتى يأخذها على ماهر معه .

١٢ من فبراير سنة ١٩٢١ :

سلمت الرئيس الترجمة الانجليزية للتحفظات فسلمها بدوره الى على ماهر ، وعند الانصراف في الساعة الواحدة بعد الظهر رجاني احمد نجيب ان اكلم الرئيس في مسألة اذاعة خبر سفر على ماهر وسينوت بواسطة مراسل الاهرام لا الاخبار وأفهمني ان

عملا كهذا قد يقتله. ويقتل الاخبار لا سيما أن الاهالى قالت انه سخر لخدمة الرئيس وانه لا يجوز بعد التضحيات الكثيرة التي تحملها أن يعامل اليوم على هذه الصورة ، فضحكت وقلت لاهل الرئيس أراد أن يثبت للاهالى أنك غير مسخر لخدمته وخدمة سياسته ، فكرر الرجاء . وفي المساء كلمت الرئيس فدهش كثيرا وقال : ((كيف عرف نجيب هذا الخبر بهذه السرعة)) ثم قال متعجبا ((لم يستطع اصحابنا كتم شيء ، ان الحقيقة هي انى لا اريد أن أعلن عن سفرهم حتى لا تؤمل الامة املا باطلا ، فتساءل عن القصد من المهمة وعن نتيجتها بعد عودتهم الى باريس ، وانى اشرت عليهم أن يسافروا بلا إعلان منى فى الاهرام او الاخبار، ولكن ما الحيلة ، وقد تسرب الخبر ؟)) .

مهمة محمد محمود باشا فى أمريكا

١٣ من فبراير سنة ١٩٢١ :

علمت من الرئيس فى أثناء تناولى الشاى معه أن محمد محمود باشا كان قد ذهب الى أمريكا ومعه ٣٥ ألف جنيه من اموال الوفد، وبعد إودته قدم تقريراً للرئيس أوضح فيه أنه اتفق مع مستر فولك المحامى على أن يفلق مكتبه ويتخصص لخدمة القضية المصرية معه مقابل ألف جنيه فى الشهر .

وبعد أيام من وصوله الى باريس أراد محمد محمود أن يسافر الى إنجلترا للدعاية هناك ، ولكن الرئيس رأى تأجيل النظر فى هذا الاقتراح فوافق أعضاء الوفد على ذلك .

١٤ من فبراير سنة ١٩٢١ :

سافر صبيحة اليوم على ماهر وسينوت حنا وحامد الى لندن وأرسل نجيب الى الاخبار برقية قال فيها : ان سفرهم كان بناء على دعوة خاصة من بعض اصدقاءهم من أعضاء البرلمان الانجليزى .

تفنيش واستجواب

١٦ من فبراير سنة ١٩٢١ :

فى الساعة الواحدة من بعد الظهر عدت الى البانسيون للغداء كالعادة ، واذا بخطاب من الدكتور حامد محمود ينتظرنى وهو بتاريخ أمس ١٥ من فبراير وهو اليوم التالى لوصولهم الى لندن

فأسرعت الى فضه واذا بداخله خطاب خاص مفلق باسم الرئيس فحملته اليه بعد الظهر وفتحه ، فاذا مطلعته : ((عزيزى كامل)) فقال لى الرئيس هذا لك واخذ يقرأه بصوت مسموع وعلمنا منه ان ثلاثتهم (على ماهر وسينوت وحامد) كانوا مراقبين أشد المراقبة على ظهر السفينة من (كاليه الى دوفر) . وما أن نزلوا الى شاطئ دوفر حتى تقدم اليهم موظف بريطانى وطلب منهم أن يتبعوه الى مكتبه ، وهناك أخذ فى استجوابهم : سأل الدكتور حامد عن سبب قدومه الى إنجلترا وعلاقته بالوفد وما ينوى عمله ومدة الإقامة فيها ، ثم سأل على ماهر عن مهمته. وعن المدة التى يريد قضاءها فى لندن ، ولما أجابه بأنه يريد التفتيش على مكتب الوفد فى لندن ومراجعة حساباته سألته عدة أسئلة فى هذا الموضوع ، ثم جاء دور سينوت خنا ووجهت اليه نفس الاسئلة وبعد ذلك فتنش هذا الموظف الدكتور حامد تفتيشا دقيقا حتى بطانة ملايسه وقبعته ، كما فتشت أمتعتهم جميعا ومثر فيما عثر من أوراقهم على الترجمة الانجليزية للتحفظات وشرحها بقصد طبعها وتوزيعها على أعضاء البرلمان ، واستمر التفتيش طويلا حتى فاتتهم القطارات المخصصة لسفر الركاب من باخرة دوفر الى لندن .

واخيرا اضطر الموظف الى مصاحبتهم الى فندق ليقيموا فيه الليلة حتى يستشير لندن ، وفى صبيحة اليوم التالى (وكانوا يتناولون طعام الفطور ويتباحثون فى هل يعودون الى باريس فورا ويقيمون فى الفندق ليلة أخرى) حضر الموظف واعتذر لهم طويلا ، وفى أدب جم سمح لهم بالسفر الى لندن ، وانتظر على الرصيف حتى تحرك القطار بعد أن كرر الاعتذار .

اطلع الرئيس على كل هذه التفاصيل وهو فى ذهول من هذه المعاملة الجافة الخشنة الوقحة ، واستاء منها أشد الاستياء وتطير لها كثيرا فى تشاؤم وانقباض . وقال فى دهشة : ((كيف علم الانجليز بسفرهم قبل وصولهم الى دوفر ؟)) .

فقلت يا سيدى ان دومانى قد ذهب بجوازات سفرهم الى القنصلية البريطانية وحصل منها على التأشيرات اللازمة لزيارة إنجلترا ، فلا يستبعد أن يكون القنصل الانجليزى قد أبلغ حكومته بذلك ، بل لعله استأذن حكومته أولا قبل اعطائهم الفيزا اللازمة

فقال الرئيس : اذن نحن مراقبون هنا فى باريس وأصبحنا مشبوهين فى نظر الانجليز ؟ .

فقلت : أما المراقبة فمؤكدة . بدليل ما حدث من قرائنها ،
ولا شك أن الحكومة البريطانية تخشى من حركاتك وسكناتك
لا سيما والبرلمان البريطاني على وشك الاجتماع ، وقد بدأت فعلا
دورة انعقاده أمس وبدأت أسئلة الاعضاء تنهمر على الوزراء . ثم
قلت : ((ولكن الذى لا أفهمه يا سيدى لماذا قال على ماهر انه يريد
التفتيش على مكتب الوفد فى لندن ومراجعة حساباته ولم يقل
الثلاثة بايجاز أنهم قادمون للزيارة ، مجرد الزيارة وتمضية أجازة
قصيرة فى لندن ؟)) .

فقال الرئيس باسمنا : ((المتهم يرتبك دائما وقل أن يقول
الحقيقة ويرى فى غيرها منجاة له)) ..

تصريح رئيس الوزراء البريطانية فى مجلس العموم

١٧ من فبراير سنة ١٩٢١ :

أدى رئيس الوزارة البريطانية فى مجلس العموم أمس بيان
جاء فيه أن حكومته لا تبت بقرار فى مسألة مصر إلا بعد استشارة
الحكومة المصرية ، فأرسل الزعيم خطابا ظهر اليوم الى على ماهر
جاء فيه : ((أن أعضاء البرلمان لا شك يعترفون أن وزارة مصر
لا تمثل أى جزء فى الأمة ، ولا هى من الحزب الذى النفوذ فى البلاد ،
وانها لا تعبر الا عن رأى أشخاصها وكلهم تكرات ولا وزن لهم
فى البلاد)) .

وقصد الرئيس فى هذه العبارة أن يلفت على ماهر نظر بعض
انصارنا من أعضاء البرلمان الى هذه الحقائق وأن يسألوا فى ذلك
حكومتهم .

برقية رئيس اللجنة المركزية للوفد الى رئيس الوزارة البريطانية :

١٨ من فبراير :

لاحظ الرئيس فى ضيق ظاهر أن محمود باشا سليمان رئيس
لجنة الوفد المركزية فى مصر أرسل برقية احتجاج الى رئيس
الوزارة البريطانية على تصريحه الاخير ، كما سبق أن أرسل برقية
احتجاج على تصريح تشرشل وزير المستعمرات الجديد ، فأملى
على الرئيس خطابا موجه الى مصطفى النحاس جاء فيه :

((لاحظت مع الاسف ان رئيس اللجنة المركزية ارسل باسمه وعن أعضاء الوفد الموجودين في مصر ، برقية الى لويد جوج رئيس الوزارة البريطانية ، وهي اول مرة تخاطب اللجنة المركزية سلطة اجنبية خارج مصر . وكانت خطتها من يوم تأليفها مراسلة الوفد بما يعن لها من الآراء والافكار ، وهو يتصرف فيها بحسب ما يراه وذلك طبقا للاتحة الوفد التي تشكلت بمقتضاها ، ولم يترتب على هذه الخطه من يوم وضعها الا ما قدر لها من وحدة العمل وانتظام السير . ولم تبد من الامة (خصوصا في هذه الايام) الا مايؤيدها ويؤكد صفة من يمثلها ، فلماذا اختارت في هذه المرة طريقة غيرها ولا تتفق مع نظام العمل ؟

ان كان المقصود ان تحل اللجنة محل الوفد ورئيسها فحل رئيسه فلا يكون ذلك الا بارادة الامة ، وما دامت هذه الارادة غير موجودة فلا يتأتى لي ان اتخلي عن المسؤولية التي القيت على عاتقي ، واذا كنت قد سكوت حتى الآن لعدم تاكدي من هذا القصد فاني لا ابيح لنفسى السكوت عنه اذا تكرر العمل وتأكد القصد والسلام))

توقيع

سعد زغلول

اذاعة تقرير ملنر :

١٩ من فبراير سنة ١٩٢١ :

نشر اليوم تقرير لجنة ملنر . ظهر في لندن بالانجليزية وظهر في القاهرة مترجما الى اللغة العربية . وفي المساء وصلت الينا نسخة بالانجليزية ارسلها الينا على ماهر بالطائرة من لندن ، فكلفني الرئيس أن أقوم بترجمة التقرير كله الى العربية بأسرع ما يمكن ولو أسهر الليل كله ، وذلك حتى يطلع على ما فيه اذ لا يطيق الانتظار حتى ترد اليه الترجمة العربية الرسمية من القاهرة . وبعد العشاء عدت الى شقة الرئيس كالعادة في الساعة التاسعة مساء بعد أن اشتريت في طريقى جريدة التيمس . وقد وجدت قد نشرت مقالة افتتاحية عن مصر وخلاصة موجزة من آراء اللجنة ملنر الواردة في التقرير .

سعد يقول انها حماية مقنعة

وقد ترجمت كل هذا شفويا للرئيس وهو مصبغ اتم اصغاء بلا سؤال منه أو استفسار ، فلما فرغت من الترجمة قال :

((يا عجباً !!! ايمكن ان يشك اى انسان فى ان هذه حماية مدعمة مستوررة حيناً • وعارية حيناً آخر ؟ اشتراك فى الادارة الداخلية والخارجية ، وشئون التشريع وابقاء قوة عسكرية لها فى البلاد فى غير منطقة قنال السويس ، ثم موظفون بريطانيون يملأون الوزارات الحكومية ومصالحها واستخدام لكل وسائل النقل والمواصلات فى مصر ، وحمايتها مدة السلم والحرب ؟ فماذا عملنا بعد كل جهودنا فى لندن ؟))

ولما اكفهر وجه الرئيس غضبا وسخطا وبعد صمت قليل طلب الى ان انصرف فوراً لاتصفح التقرير كله لكى أخبره فى الصباح باهم ما ورد فيه من آراء ومقترحات خطيرة ، ثم أبداً بالترجمة على وجه السرعة .

خرجت وأنا حائر مذهول كيف أقرأ هذا التقرير الطويل العريض المسهب لكى اكتشف اهم ما فيه مما اعتقد أنه يعنى الرئيس أن يعرفه فوراً ؟ ثم كيف أترجمه فى أيام قلائل والرئيس يريد على ما يظهر ان تتم الترجمة فى ساعات ؟ ان التقرير وثيقة من اهم الوثائق وكل كلمة فيه موزونة بميزان الذهب، والسرعة فى الترجمة تضر ولا تنفع الا قليلاً ، ومع ذلك سأفعل ما أستطيع ولا يكلف الله نفساً الا وسعها .

وبأعجباً مرة أخرى كما قالها الرئيس عند انتهائى من ترجمة ما نشرته التيمس فقد رأيت ضوء الفجر يثسرب الى حجرة نومي وأنا أعدو فى قراءة التقرير عدوا وأطوى صفحاته طياً حتى وصلت الى ثلثه الاخير . ثم نظرت الى الساعة فاذا هى الخامسة صباحاً ، ولم أكن لحظة واحدة فقد نسيت النوم ونسيت نفسى ، ولم أذكر الا التقرير وواجبى ازاءه وازاء الرئيس وازاء وطنى مصر ، فلما رفعت عيني من التقرير لاستريح قليلاً نظرت الى المرأة فاذا عيناى مختفنتان يكاد الدم يقطر منهما ، واذا برأسى يكاد ينفجر من شدة ما فيه من حرارة فغسلته بالماء البارد بلا فائدة ثم بللت منديلاً بالماء البارد ووضعت على وجهى وعلى عيني عساه يتمكن بالتبخير من تخفيف ما أعانيه من حرارة كأنها حرارة حمى ضارية .

كنت فى اثناء قراءة التقرير ممسكاً بقلم أحمر واضح علامة او إشارة على كل كلمة او عبارة او فكرة أظن ان الرئيس يجب ان يعرفها اذ محال ان اذكر كل ما قرأت ولكن هذه العلامات الحمراء تساعد الذاكرة على ما استوحيته فى المطالعة السريعة حيناً بحين وقت التلخيص للرئيس بلا أفرط او تفريط .

انقضت ساعة كاملة وأنا منصرف الى عملية تخفيض حرارة رأسي واحمرار عيني بطريق التبخير ، ثم استأنفت القراءة السريعة الملهوفة حتى الساعة الثامنة صباحا فحضر الفطور ولا أدري كيف التهمته .

وفي الساعة التاسعة صباحا كنت في شقة الرئيس ، واذا هو جالس في مكتبه ينتظرني بفارغ الصبر ، فحدثته عما اكتشفته في هذا التقرير . واستغرق حديثي معه ساعتين كاملتين وهو مطرق لم ينظر الى وجهي مرة واحدة ليدرك ما في عيني من احمرار مسرف ودون أن يسأل كيف حملت ذاكرتي كل هذه البيانات والمعلومات ، فلما فرغت ونظر الى اظهر اعجابا واشفاقا وتقديرا دمعت له عينا ، وطلب الى أن اذهب فورا الى الفراش لاستريح قليلا ثم أبدأ في الترجمة الحرفية لكل هذا التقرير وأن أعود اليه في المساء بعد العشاء كالعادة ومعنى ما ترجمته .

لا حاجة الى تسجيل كم دقيقة نمت واسترحت وكم ساعة ترجمت وأرهقت ، هذه أمور يصفها الخيال بالقصور ويعجز القلم عن إيفاء حقها في الوصف والبيان ، ثم هي مسائل شخصية لا تهم أحدا غيري فلأنصرف عنها الى ما هو إجدي وأقوم .

٢٠ من فبراير الى ٢٥ فبراير ١٩٢١ :

في ستة أيام كاملة بنهارها ولياليها فرغت من ترجمة هذا التقرير العتيد . كل فقراته المهمة ترجمتها ترجمة حرفية دقيقة كاملة ، وما عداها وهو قليل لخصتها تلخيصا يعطى فكرة دقيقة عنها . .

قرأ الرئيس الترجمة في نهم وحماسة أولا بأول فلما فرغ وانتهى منها اشتد سخطه والله وضيقه بهذا التقرير في كثير من فقراته وقال بصوت مرتفع ((هذا كذب كذب ، لم أنصو لحظة ان ملنر يمكن أن يهبط الى هذا الحضيض من الكذب والبهتان)) . . ولاذكر على سبيل المثال لا الحظر ما وصفه الرئيس بأنه تجرد من الصدق والامانة من مبارات التقرير :

١ - ان أعضاء الوفد عادوا الى مصر لظهار ما في المشروع من فوائد ومزايا ولحمل الناس على قبوله .

٢ - ان مبداء ابقاء قوة عسكرية في القطر المصري مسلم به من الوفد ولم يبق الا تعيين مكانها .

٣ - ووصفه الوفد بأنه كان يسلم أحيانا بعدالة الحجج الانجليزية ولكنه كان يخشى من حكم الناس عليه في مصر ، وكان يخاف أن يتهم بالخروج عن توكيله .

برقية الرئيس الى مصطفى النحاس

أرسل الرئيس يوم ٢٤ من فبراير بريقة الى مصطفى النحاس يطلب فيه :

((ان ينشر مشروع الوفد الاول لانه ابلغ رد على مقترحات تقرير لجنة ملنر فيما ينسبه الى الوفد من الرضا عن مشروعه لا سيما فيما يختص بمبدأ بقاء قوة عسكرية بريطانية في مصر والعلاقات الخارجية والداخلية بين البلدين)) .

فورد الرد من النحاس يوم ٢٥ من فبراير جاء فيه :

((ان جميع أعضاء الوفد هنا يرون تأجيل النشر حتى يتم درس التقرير كله وكانت الموافقة بالاجماع على هذا الرأي)) .

- ما كاد الرئيس يطلع على هذه البرقية حتى ثار ثورة عاتية خشيت أن يصاب بعدها بمكروه .

وفيما يلي أبرز ما ورد في تقرير ملنر مما دارت بشأنه المفاوضات واستطالت عدة جلسات ، لاهميتها ، وهي :

- ١ - سياسة بريطانيا ازاء السودان .
- ٢ - رأى ملنر في زيارة المندوبين الأربعة لمصر .
- ٣ - مصر والتمثيل السياسى .

ملنر والسودان

فقد جاء فى التقرير عن موضوع السودان ما نصه :

((يجعل بنا فى هذا المقام أن نورد بالايجاز الاسباب التى نرى أنها تقضى باستحالة تسوية مسألة السودان على المبادئ التى يراد تسوية المسألة المصرية عليها ، وأشير فى الوقت نفسه الى الخطة العامة التى يلوح لنا أنها اصلح من سواها لسد حاجات السودان الحالية فنقول :

((ان الاكثرية الكبرى من اهل مصر متجانسة بالنسبة الى سواها
واما السودان فمقسوم بين العرب والسود وفي كل من هذين
الجنسين الكبيرين اجناس وقبائل يختلف بعضها عن بعض اختلافا
عظيما ويضاد بعضها بعضا كثيرا . اما عرب السودان فيتكلمون
باللغة التي يتكلم بها اهل مصر وتجمع بينهم جامعة الدين .
والاسلام اخذ في الانتشار في السودان حتى بين الاجناس غير
العربية من اهلهم ، وهذه المؤثرات تطف ما بين اهل البلد من
التضاد والتنازع ولكنها لا تقوى عليه بعد ما زادت ذكريات سوء
الحكم المصرى الماضى قوة وشدة)) .

((اما الروابط السياسية التي ربطت السودان بمصر في فترات
مختلفة من الزمان الماضى فكانت دائما روابط واهية ، فان الفاتحين
المصريين اجتاحوا اقساما من السودان بل السودان كله ، ولكن
مصر لم تخضع السودان قط اخضاعا حقيقيا ولا ادغمته فيها
وجعلته بعضها منها بمعنى من المعاني ، وكان فتحها له في القرن
الماضى نكبة كبيرة على البلدين معا وانتهى امره بفتنة المهدي التي
قلبت السلطة المصرية راسا على عقب في اوائل العقد الثانى من ذلك
القرن ، ولم يبق للسلطة المصرية اثر في السودان مدة اكثر من
عشر سنوات الا في مقاطعة صغيرة حول سواكن ، فاضطرت بريطانيا
العظمى من جراء ذلك الفشل أن تجرد عدة حملات انفتت عليها
اموالا طائلة لنجدة الحاميات المصرية والدفاع عن مصر التي كانت
عرضة لسيل عصابات المهدي الجارفة ، واستلمت الايدي
البريطانية زمام حكومة السودان فعلا منذ فتحت القوات البريطانية
والمصرية البلاد بقيادة قواد بريطانيين في سنتى ١٨٩٦ - ١٨٩٨
وبات السودان تحت الحماية البريطانية المصرية في سنة ١٨٩٩ لان
الحاكم العام وان كان يعينه سلطان (وسابقا خديو) مصر
فالحكومة البريطانية هي التي ترشحه ، وكل مديرى المديرات
وكبار الموظفين هم من البريطانيين فتقدم السودان تقدما صحيحا
ماديا وادبيا تحت رعاية الحكومة المنظمة هذا النظام لاننا اذا حسبنا
حساب كل ما تقضيه بساطة هذه القضية وهي ادخال المبادئ
الاولية لحكومة منظمة متمدنة الى بلاد اهلها لا يزالون في اول عهد
السداجة ، حكما بأن النجاح العظيم الذى نجحته بلاد السودان فى
المدة الطويلة التي كان فيها السير رجند ونجت حاكما عاما عليها
يعد امجد صفحة في تاريخ الحكم البريطانى على الشعوب المتأخرة
.. اما الحكومة الحالية فمقبولة ومحوبة عند اهل السودان ،
والسلام والتقدم مخيمان على تلك البلاد الا فيما ندر)) .

((غير انه وان تكن مصر والسودان بلدين متمابين أحدهما عن الآخر وارتقاؤهما يكون على منهاجين مختلفين ، فلمصر مع ذلك مصلحة عظيمة جداً في السودان وهى ان النيل الذى يتوقف عليه وجود مصر وكيانها يجرى مسافة مئات الاميال في بلاد السودان ، فمن اهم الامور لمصر منع أى تحويل لماء النيل يمكن أن يقلل مساحة أراضيها الزراعية الحالية أو أن يمنعها من اصلاح أراضيها التى تبلغ مساحتها حوالى مليونى فدان وتصبح قابلة للزراعة اذا خزن ماء النيل وزاد ما يرد منه للرى عما هو عليه الآن . وقد كانت كمية المياه التى يأخذها السودان رأساً من النيل قليلة حتى الآن ، ولكن كلما زاد عدد سكان السودان احتاجت بلادهم الى ماء أكثر لاجل تقديمها ، وقد يفضى ذلك الى التضارب بين مصالحهم ومصالح أهل مصر ، ولكن الامل وطيد أنه اذا حفظت مياه النيل جيداً ووزعت كذلك ، كلفت لرى كل الاطيان التى يمكن أن تحتاج الى الرى سواء كانت في مصر أو في السودان . ولكن التحكم في مياه النيل وضبطها للرى مسألة فى أعظم مكان من الاهمية والقضايا التى تنطوى تحت ذلك فنية كانت أو غير فنية صعبة ومعقدة جداً بحيث يقتضى في رأينا تعيين لجنة دائمة من خبراء من الطبقة الاولى وأيضاً من رجال ينوبون عن كل البلدان التى لها علاقة بهذا الامر وهى مصر والسودان وأوغندا لتحل كل المسائل التى لها مساس بالتحكم في ماء النيل وضبطه ولتضمن توزيع الماء بالقسط .

ولتجاور مصر والسودان ولاشتراكهما في المصلحة في النيل يحسن أن تكون بينهما رابطة سياسية على الدوام ، ولكن هذه الرابطة لا يمكن أن تكون صورتها خضوع السودان لمصر ، فبلاد السودان قابلة للتقدم والارتقاء حسب مقتضى أوصافها واحتياجاتها مستقلة بنفسها ويحق لها أن تكون كذلك أيضاً ، ولم يحسن الوقت بعد لتعيين الحالة السياسية التى تكون عليها في آخر الامر وكيفية لقضاء أغراضها في الوقت الحاضر الحالة التى عينت لها باتفاق سنة ١٨٩٩ بين بريطانيا العظمى ومصر حيث ينص على الصلة السياسية اللازمة بين مصر والسودان من دون تأخير السودان عن الترقى والتقدم مستقلاً عن مصر .

والضرورة تقضى الآن بأن يكون السودان كله تحت سلطة واحدة عليها ولكن لا يستحسن أن ينحصر الحكم كله في حكومة مركزية ، بل الواجب ألقاء مقاليد أدارته بقدر الامكان الى حكام

من الوطنيين حيثما وجدوا تحت المراقبة البريطانية نظرا لاتساع أرجائه واختلاف طباع أهله وأخلاقهم ، فالحكومة البيروقراطية المركزية لا تلائم السودان على الإطلاق وإنما تلائمه اللامركزية واستخدام العناصر الوطنية حيث يستطيع لقضاء الاعمال الادارية البسيطة التى تحتاج اليها البلاد فى الحالة التى هى عليها من التقدم لان ذلك يقلل نفقاتها ويؤيد فى كفاءة رجالها وحسن ادارتها . والموظفون الآن من أهل البلاد لا يزالون قليل العدد بجانب الذين يؤتى بهم من مصر وهؤلاء لا يحبون الخدمة فى السودان ، ولكن هذه الصعوبة ستدلل كلما تقدم التعليم فى السودان وزاد عدد الذين يصيرون كفاءا من أهله لتقلد الوظائف الرسمية . والواجب فى الوقت عينه الانتباه الكلى الى أمر التعليم حتى لا يرتكب فيه الخطأ الذى ارتكب فى مصر بإدخال نظام إليها لا يؤهل التلامذة لعمل يذكر سوى الاعمال الكتابية والوظائف الادارية الصغيرة وتخريج جمهور كبير يفوق الحاجة من الذين تطمح أبصارهم الى الاستخدام فى الحكومة . فليس فى السودان مجال لجيش من صغار المستخدمين ولذلك يجب أن يوجه التعليم بحيث يربى فى السودانيين القابلية والميل الى الاعمال الأخرى كالزراعة والصناعة والتجارة والهندسة اذ حاجة تلك البلاد الآن هى الى الترقى المادى ، وفى وسعها الاستغناء عن نظام ادارى على غاية من الاتقان . .

ان القواعد العسكرية التى لا تزال تستخدم فى السودان كبيرة جدا . نعم ان وجود جيش كبير فى تلك البلاد كان لازما لاثام فتحها ولاستتباب السكون فيها ، ولكننا نرى أن الزمان قد حان لاعادة النظر فى مسألة القوات العسكرية فى البلاد وتنظيمها وتخفيف العبء المالى الواقع على عاتق مصر من بقائها هناك . ثم أن وظيفتى الحاكم العام على السودان والقائد العام للجيش المصرى لا تزالان مجتمعتين فى شخص واحد ، وكانت الاسباب التى تقتضى ذلك وجيهة فى الماضى ولكن لا يمكن الدفاع عنه اذا أريد أن يكون كذلك دائما ، ولذلك يجب تعيين حاكم عام ملكى عند سنوح أول فرصة .

ويقال بالاجمال أن الفرض الذى ترمى اليه السياسة البريطانية يجب أن يكون اخلاء جانب مصر من كل مسئولية مالية للسودان وتقرير العلاقات بين البلدين فى المستقبل على قاعدة تضمن ارتقاء السودان ارتقاء مستقبلا ومصالح مصر

الحيوية في ماء النيل . فلمصر حق لا ينازع فيه في الحصول على
أيراد كاف مضمون من الماء لرى أراضيها الزراعية الحالية ، وعلى
نصيب عادل من كل زيادة في أيراد الماء يتيسر للبراهة الهندسية
أن تأتى بها ، فإذا صرحت بريطانيا العظمى رسمياً باعترافها بهذا
الحق وانها عاقدة النية على المحافظة عليه في كل حال ، سكنت
بذلك روع المصريين وخففت عنهم القلق المستحوذ عليهم من هذا
القبيل . ورأينا أن هذا التصريح يفي بالغرض المقصود اذا تم في
الوقت الحاضر)) .

حول زيارة المندوبين الاربعة لمصر

أما ماسجله ملنر في تقريره عن زيارة المندوبين الاربعة لمصر
وبيان مهمتهم فنصه كما يلى :

((بعد انتهاء المناقشات التى أسفرت عن مشروع ١٨ أغسطس
سافر زغلول باشا وسائر رجال الوفد وعدلى باشا أيضاً من لندن
الى باريس ، ثم سافر في الحال اربعة من أعضاء الوفد وهم (محمد
محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك وعبد اللطيف المكباتى بك
وعلى ماهر بك الى مصر طبقاً لما تم الاتفاق عليه لكي يحصلوا من
مواطنيهم على تأييد المشروع . وكانت خلاصة هذا المشروع قد
وصلت الى الجرائد مع بعض الاخطاء الطفيفة في تفصيلها ، وقد
قوبلت خلاصة المشروع هذه في مصر بعبارات الرضا والاستحسان

وحوالى ذلك الحين نشر في مصر بيان طويل من زغلول باشا
نوه فيه بصفة الوفد النيابية التى يمثل فيها الامة وبما لقيه من
تأييدها ، وأشار الى المسامى التى بذلها الوفد لعرض القضية
المصرية على مؤتمر الصلح وعلى العالم كله ، مدعياً أنهم اكتسبوا
شيئاً كثيراً من الميل والعطف في البلاد الاجنبية .

ثم استطرد تقرير لجنة ملنر الى مقاطعة الشعب لاعضائها
بسبب اصرارها على بقاء الحماية ، وما جرى بعد ذلك حتى أفضى الامر
الى زيارة الوفد المصرى للندن والمناقشات التى جرت فيها .
وأعلن في الختام ان الاقتراحات التى نشأت عن تلك المناقشات
ستعرض على الامة على يد رسل مندوبين لذلك ، فاذا قوبل
المشروع بالاستحسان عين ممثلون للمفاوضة في عقد معاهدة على
القاعدة المقترحة)) .

بريطانيا والتمثيل السياسى

وأوضح ملنر في تقريره موقف بريطانيا من الموضوع الثالث الخاص بالتمثيل السياسى كما يلى :

((كنا ولا نزال نرى من المبادئ الاساسية أن تكون علاقات مصر الخارجية تحت ادارة بريطانيا العظمى بوجه عام وجميع عقلاء المصريين يدركون عظم قيمة الضمان الذى ينالونه من محالفة بريطانيا العظمى لهم مهما كانت ميولهم شديدة الى الحركة الوطنية . . . واضح أنه لا يمكن أن ينتظر من بريطانيا العظمى أن تحمل على عاتقها مسئولية الدفاع عن سلامة مصر واستقلالها من جميع الاخطار اذا تركت مصر وشأنها فى اتباع السياسة الخاصة بها ولو كانت ضارة بالسياسة البريطانية وغير مطابقة لها ، وهذه أولية لم ينازعها فيها أحد من المصريين الذين كنا نناقشهم ، بل كلهم كانوا مستعدين أنهم عند عقد معاهدة المحالفة يعطون كل الضمانات اللازمة لمنع مصر من كل عمل يمكن أن تعمله اذا كان يوقع بريطانيا العظمى فى ارتباك ، ولم يقع بيننا وبينهم خلاف فى الراى فى هذه النقطة عند المناقشة .

واستطرد فقال : المسألة الحقيقية التى كانت موضع الاخذ والرد لم تكن : هل يجوز أن تكون مصر حرة فى اختيار سياسة أجنبية مستقلة عن بريطانيا العظمى اذ لا خلاف فى أن موافقتنا على هذه المسألة ضرب من المحال ، وإنما كانت هل يتضمن هذا المبدأ وجوب أن تبقى ادارة جميع علاقاتها الخارجية فى أيدى بريطانيا ؟ ، هذه المسألة كنا قد اتفقنا فيها على قرار نهائى قبل أن نناقش المصريين فيها . وهذا القرار هو أن تقتصر السيطرة البريطانية على علاقات مصر السياسية ، وأما مصالح مصر التجارية وسواها من مصالحها الخارجية غير السياسية فالأفضل تركها فى أيدي المصريين ، وهذه المصالح كثيرة وعددها آخذ فى الازدياد ، فاتساع نطاق التجارة والمواصلات وازدياد عدد المصريين الذين يسافرون الآن الى البلدان الخارجية وقيمون فيها وخصوصا فى غرب أوروبا ، والعلاقات العديدة التى تحصل لهم هناك تحتاج هذه كلها الى حماية رسمية ، فإذا ظل سفراء بريطانيا العظمى وقناصلها يرعون مصالح جميع المصريين خارج بلادهم ثقلت أعباء ذلك جدا عليهم ، ولذلك رأينا فى بادىء الامر أن تعيين مصر لممثلين لها فى الخارج يكون عين الصواب ولكن الذى

كلنا نقصده في الاصل هو أن تكون صفة هؤلاء الممثلين صفة فنصلية فقط لا سياسية . فلما دارت المناقشة في لندن بيننا وبين المصريين عدلنا رأينا في هذه النقطة بعد تردد وتمنع مع جانبنا ، ذلك لأن المصريين أجمعوا على أن انكار الصفة السياسية منع الممثلين المصريين يفسد فكرة التحالف ويحمل أبناء وطنهم على رفض التسوية التي كنا نفكر فيها . ثم رأينا نحن أنهم مصيبون فيما يقولون لأننا أدركنا ونحن في مصر أن المصريين جميعهم والسلطان ووزراءه في جملتهم يرغبون في أن تمثل بلادهم سياسيا في الخارج مهما اختلفت آراؤهم في المسائل الأخرى . وكانوا كلهم متعاضين من الغائنا منصب وزير الخارجية المصري عند اعلاننا الحماية وتسليمنا زمام وزارة الخارجية الى العتمد السياسي البريطاني . وكذلك كانوا كلهم يرجون أنه متى آن الاوان لتسوية العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر تسوية دائمة يعين وزير مصرى في وزارة الخارجية المصرية ويتلقى ممثلو مصر في البلدان الخارجية اعتمادهم من حاكم مصر رأسا . وكانوا يلحون على هذا المبدأ أيضا بعد زوال السيادة العثمانية أن الذين ترسلهم مصر الى البلدان الأجنبية ليمثلوها فيها تكون لهم الصفة السياسية التي تكون لممثلى الدول الأجنبية في مصر .

فلذلك لم يخامرنا ريب في أن أعضاء الوفد المصرى كانوا يعبرون عن رأى بلادهم كلها في هذه المسألة . . كانوا يقولون لنا قولا صريحا بأننا إذا لم نوافقهم على هذه النقطة فلا أقل أمل في تسوية العلاقات بطريق الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر في المستقبل . واما اذا اعترفنا بها لمصر أرضينا المصريين إرضاء تاما بمراعاة عزة نفوسهم ، فيسهل ذلك قبول سائر شروطنا . وتساءلوا قائلين : لماذا أنتم حائقون ؟ فقد اعترفتم أن لمصر مصالح كثيرة خاصة بها في البلاد الأجنبية يحسن المصريون رعايتها أكثر مما يحسنها غيرهم . ولا مزية لبريطانيا العظمى من الضن بالصفة السياسية على الذين يعينون للاعتناء بتلك المصالح لانهم لا يستطيعون أن يعملوا عملا يضر بالمصالح البريطانية أو يناقض السياسة البريطانية ما لم يخرقوا المعاهدة التي تم الاتفاق عليها . هذا فضلا عن أن عدد الممثلين السياسيين الذين يمثلون مصر في الخارج سيكون قليلا جدا لأن مصر لا تروم أن يكون لها ممثلون منهم الا في بلدان قليلة إذ لا يسمعها أن تقوم بنفقات كثيرة ، وفيما عدا ذلك ستوكل مصر بريطانيا العظمى برعاية مصالحها وكفى بذلك دليلا على متانة العلاقات وحسنها بين البلدين .

فلم يسعنا الا الشعور بقوة هذه الحجج الوجيهة ومع ذلك فالامر واضح وقد قلناه لهم واكدناه على مسامعهم وهو انه متى وجد ممثلون سياسيون من المصريين ولو في قليل من عواصم أوروبا . . ووجد ممثلون سياسيون من الاجانب في مصر انفسح بذلك المجال لدسائس يمكن أن تكون عواقبها وخيمة ، لان قلة وجود أعمال يعملونها ضمن الدائرة السياسية قد يغريهم بتعدى حدود وظائفهم حتى لا يقال انهم لا يجدون شغلا يشغلهم . ولكن رجال الوفد لم يسلموا بأنه يخشى في حدوث أمر كهذا بل كان رأيهم ان المصريين يرتضون ويسرون بالمركز الذي نالته مصر بعقد المعاهدة فيكونون آخر من يوافق على دسائس يمكن أن تفتح للاجانب سبيل التدخل في شئون بلادهم . وان أعظم ضمان يقينا شر هذه الدسائس هو ان المصريين يوافقون من صميم أفئدتهم على مخالفة يعترف فيها بحالتهم القومية وكرامتهم الوطنية ، هذه هي الادلة والبراهين التي حملتنا على إعادة النظر في مركزنا ازاء مسألة الصفة السياسية مع علمنا تمام العلم كما قلنا للوفد صريحا ان تساهلنا في هذا الامر قد يلقي الرعب المقلق في دوائر الرأي العام البريطاني يخشى منه ان يمنع الشعب البريطاني من قبول الاتفاق برمته . واذا بنينا حكمنا على ما نشأ عنه في الانتقاد والاقوال الدالة على عدم الرضى عنه في دوائر كثيرة اتضح اننا أصبنا ولم نخطيء في توقعنا له المعارضة الشديدة ، ومع دفعه ذلك فنحن لا نزال نرى كفة الحجج الراجحة هي في جانبه بلا مشاحة . لانه ما دام الجفاء والخلاف ضارين اطنابهما بين بريطانيا العظمى ومصر . فنحن نظل معرضين لعداوة المصريين لنا في البلاد الاجنبية . . فالجمعيات التي أنشئت لنشر الدعوة ضد انجلترا تنشرها بجهد واجتهاد منذ أهوام في سويسرا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا .

ولا علاج لذلك الا باعادة علاقات الوداد . ونحن نعد السياسة التي اوضحناها هنا كفيلة بتحقيق ذلك فاذا تمت لنا هذه النتيجة ، فاعطاء الصفة السياسية لممثلى مصر في الخارج نافع لنا لا محالة لانه اذا بقى قوم من المصريين غير واصين بالمصالحة وبقوا مصريين على اقامة الدعوة ضدنا كما هو المنتظر اضطر الممثلون الرسميون المصريون أن يسعوا في كبح جماحهم وابقائهم عند حدهم اذ لايسع معتمدا مصريا الا الاعراض عن كل عمل يعمل به ابناء وطنه ضد حليفة مصر والنفور منه والا قصر في الواجب عليه وتعرض للعزل من منصبه))

الحكم في قضية عبد الرحمن فهمي

وفي ٢٥ فبراير كذلك علمنا مما نشرته جريدة التيمس أن الحكم في قضية عبد الرحمن فهمي بك قد صدر أمس وهو يقضى بعقوبه ١٥ سنة أشغالا شاقة بعد أن كان الحكم عليه بالاعدام ، ولاحظ الرئيس أن صدور الحكم في نفس الوقت الذي ظهر فيه تقرير ملتر ذو مغزى كبير ، لقد بدأت المحاكمة في أثناء المفاوضات في لندن وكانت المفاوضات مهددة بالقطع بعد أن تعثرت في أزمة حادة ، فكانت المحاكمة جزءا من سياسة الإرهاب للامة وللوفد .

والآن يظهر التقرير في نفس الوقت الذي يصدر فيه الحكم الظالم القاسي ، وهذا التوقيت العجيب ملاحظ فيه كذلك أن يكون استمرارا لسياسة الارهاب والتحذير معا . . .

ولعله يهدف فيما يهدف اليه الى حمل الوفد والامة على الطاعة والاتفاق والاستسلام بدل المعارضة والمقاومة والاستنكار ، وكان لسان حال الانجليز يقول (يا أيها الناس اذا أردتم الخلاص مما أنتم فيه من كرب وظلم وعسف وارهاق ، فما عليكم الا أن تقبلوا مشروع اللجنة) .

لقبذ ثار الرئيس في سخط وإلم وانفعال ليس الى وصفه من سبيل وقال : (أن الحكم ظلم وقسوة هائلة ولا يستند الى دليل ، وليس له من سبب سوى مجرد الإنتقام والتشريد والارهاب لطلاب الاستقلال في مصر)

هذا وقد ارسل الرئيس برقية الى على ماهر في لندن كي يطلع بعض انصار الوفد من اعضاء مجلس العموم على حقائق هذه القضية وخفاياها وما انطوت عليه من ظلم صارخ حتى يخرجوا حكومتهم ويكشفوا سوءاتها ويفضحوها أمام شعبها وأمام العالم .

خطاب من حافظ عفيفي الى الرئيس !

ولما عدت للرئيس بعد العشاء أبلغني أنه تلقى خطابا من الدكتور حافظ عفيفي جاء فيه : (انه من رأى الرئيس وسياسته ، وأنه معه قلبا وقالبا) . ولكنه ختم خطابه بسؤال ماكر اذ تساءل عن الخطة العملية الواجب اتباعها الآن بعد أن وقف الوفد هذه الوقفة الحاسمة .

ثم ابتسم الرئيس ساخرا وقال :
 ((لماذا لا يفكر حضرتك ويقترح علينا ما هداه اليه عقله الرجيع
 اذا كان يؤمن حقا بوجوب اتباع سياستي ؟؟ انه يعلم تمام العلم
 ان مشروع ملنر في ذمتي واعتقادي مشروع حماية . فلا يمكن
 لي مطلقا ان احسنه للامة باية طريقة . وليس امامنا الآن من طريقة
 عملية بعد رفضه ، الا استمرار الكفاح واستئناف الثورة والجهاد
 بالطرق السلمية وغير السلمية . المشروعة وغير المشروعة ،
 ومحاربة كل من يتصدى لتأييد الحماية ومشروعها الجديد ،
 واستمرار الاحتجاج على بقائها في كل فرصة وكل مناسبة وغير
 مناسبة ، ثم التشجيع المستمر على الاستعمار البريطاني لبلادنا في
 الداخل والخارج ، في الداخل للانهاء المستمرة ، وفي الخارج
 لابقاط الضمير الدولي على مخاذاي الانجليز في مصر والتنكيل
 برجالاتها الوطنيين .

هذا هو برنامجي ومنهaji حتى ياتي الله بالفرج ، ولا يجوز
 مطلقا ان نسمح للياس ان يتسرب الى قلوبنا ولا للضعف ان يتسلل
 الى نفوسنا ، كما لا يجوز ان ننسى اهدافنا العليا وهي الحرية
 والاستقلال والجلء التام عن البلاد .

ولابد ان ياتي يوم يعاوي فيه الحق على الباطل ، هذه سنة الله
 وسنة الطبيعة ودرس التاريخ وليس العجز يعد على الامم ، وانما
 العار كل العار ان تضع الامة غل الاستعمار في عنقها ، وان تقبل
 المهانة في استسلام وان تدل نفسها برضاها لعزة الاجنبى))

عودة الثلاثة من لندن

في ٢٦ من فبراير : عاد من لندن الى باريس على ماهر وسينوت
 حنا والدكتور حامد محمود وقد استقبلتهم في المحطة نيابة عن
 الرئيس ، او بعبارة أدق بناء على تكليف من الرئيس

وفي المساء وصلت النسخة العربية الرسمية لترجمة التقرير
 ارسلها مصطفى النحاس مع خطاب رجاء فيه الا يتعجل بابداء رأى
 في التقرير حتى يتمكن اعضاء الوفد من دراسته وتبادل الرأى معه .
 أما الاعضاء الثلاثة فكان معهم تقرير ملنر بالانجليزية .

مصادمة عنيفه مع على ماهر

٢٧ من فبراير : أعد الرئيس بيانا ليرسله الى النحاس بخصوص
 تقرير ملنر وكلفني بدعوة الاعضاء الموجودين في باريس للاجتماع
 به في مقر الوفد ، وهم على ماهر وسينوت حنا وواصف غالى .

وما كاد الرئيس يفرغ من تلاوة بيانه حتى انبرى على ماهر بالكلام ورجا في الحاح تأجيل إرساله يومين أو ثلاثة حتى يرد من مصر شيء جديد . فقال الرئيس : ((وما الذى يعنى أن يكون بيانى برأى تحت نظر الاعضاء في مصر حتى يكون قرارهم في ضوء بيانى بالموافقة أو المعارضة أو التعديل ؟)) فأجاب على ماهر : (انتظر يوم أو يومين خير من العجلة حتى نتم نحن أيضا دراسة التقرير) ، فانفعل الرئيس وقال غاضبا : ((ليس من المعقول أو المقبول أن تمنعوني عن العمل وتشلونى حتى تفوت الفرصة المناسبة . لقد مضت تسعة أيام على ظهور التقرير ولم يخبرنى أحد في مصر برأيه ، فأنا في حل أن أنصرف بها اراه ، لا سيما أن جريدة التيمس نشرت اليوم كلمة لمراسلها في مصر زعم فيها حسن استقبال الناس للتقرير واغتباط السياسيين المصريين به فلا بد أن أبدي رأى)) .

فكرر على ماهر رجاءه في هدوء وادب جم فازداد الرئيس انفعالا وصدمه بصراخه المبهودة : ((ما هذا يا على بك ؟ يظهر أن ما قاله عبد العزيز فهمى عنك صحيح من أنك هنا تمنعني عن العمل)) فتألم على ماهر واهتز الى أعماقه حتى أشفقت عليه من هول الصدمة وقال : (لا يا باشا ، هذه قسوة) ثم وقف وهم بالخروج ، فدعاه الرئيس أن يعود ويجلس . فعاد وأطاع وجلس وقال : (افعل ما تريد يا باشا فليس لى رأى بعد اليوم) . فرأى الرئيس تأجيل الجلسة الى الفد ودعانا جميعا لتناول الشاي معه في منزله الساعة الرابعة بعد الظهر .

لم يحضر على ماهر لتناول الشاي بعد الظهر واعتذر عنه سينوت حنا بحجة أنه متوقع أثر نوبة عصبية أصابته أسالت دموعه بالبكاء بمناسبة الحكم القاسى على عبد الرحمن بك فهمى ، فظهر الرئيس الأسفاق عليه ، واستبعد جدا أن هذا هو السبب .

برقية الرئيس الى النحاس برأيه في التقرير !

٢٨ من فبراير : ارسل الرئيس صباحا برقية الى النحاس وكلفنى ان اتولى إرسالها بالتلغراف المستعجل جاء فيها : (ان التقرير خيب كل آمال ، وكشف نيات الانجليز ازاء مصر ، وهو يخول بريطانيا المراقبة فى الداخل والخارج يديرها مندوب سام مستند الى قوة

عسكرية موجودة فى البلاد ، وهو ما لا نقبله بحال من الاحوال .
وسبق أن رفضناها أكثر من مرة) .

وحوالى الظهر حضر واصف غالى وسينوت حنا فأطلعهما
الرئيس على البرقية ووافقا عليها ، وكلفنى الرئيس بمخابرة على
ماهر بعد الظهر للسؤال عنه وهو فى فندق كلارنج فقابلته بعد
الغداء مباشرة وهو متأثر غاية التأثير ويريد العودة الى مصر فطبيت
خاطره وأبلغته ان الرئيس يحبه ويقدره ويعتبره من اخلص الناس
اليه ، فاستراح قليلا .

راى سعد فى عبد العزيز فهمى !

وردت برقية من على الشمسى يقول فيها ان عبد العزيز فهمى
نشر مقالة فى الاهرام انتقد فيها التقرير وجاء فيها أنه يمهّد لحماية
فى شكل جديد فتعجب الرئيس غاية التعجب وقال : ((ان عبد
العزيز هذا قال عن مشروع ملتر فى لندن أنه (استقلال ونص) .
ثم رفض اقتراح الرئيس بمقارنته بمشروع ملتر الاول . وهنا
سكت الرئيس قليلا ثم قال : ما رأيت رجلا فى حياتي مثل عبد
العزيز فهمى أنه رجل غرار ومفرور . كذاب فى صورة صادق ،
وجبان فى صورة شجاع . ومفرور فى متواضع . وحقوق فى راض
وطامع فى قانع ، وسفيه فى صريح ، وأناى فى وطنى ، ومن يدري لعل
انتقاده للمشروع الآن هذا رغبة فى كسب ثقة الناس ليعبث بها
فيما بعد وليستخدما فى مآرب أخرى)) .

برقية النحاس عن مشروع تأليف وفد رسمى !

اول مارس :

كنت فى مكتبى فى مركز الوفد فى الساعة الثامنة صباحا وإذا
بالرئيس يكلمنى بنفسه تلفونيا من بيته ويرجئنى أن اذهب اليه
فورا . وبعد دقائق كنت معه فأعطانى برقية بالشفرة من مصطفى
النحاس لاحتلها وتتلخص فى أن مظلوم باشا تحدث مع على الشمسى
واخبره بأن السلطان كلفه بان يكون رئيس الوفد الرسمى
للمفاوضة ، وأنه انتخب معه رشدى باشا وعدلى باشا وتوفيق
نسيم باشا ومحمد سعيد باشا ويوسف وهبه باشا واسماعيل
سرى باشا ، وان مظلوم اقترح على السلطان اسم سعد باشا
لقبل ويرجو الا يرى الرئيس مانعا فى القبول ، هنا انفجر الرئيس
بالضحك حتى أغرورقت عيناه ثم قال ساخرا (كتر نخيرك يا مظلوم

والله ما نستناش) . وختم النحاس برقيته بعبارة ، أنه علم
أن الفاء الحماية سيتم في المفاوضات الرسمية .

سكت الرئيس قليلا وتجههم ثم قال لى : (هل زال الحياء من
هذا العالم أو هذه لؤثة أصابت هؤلاء الناس في مصر ؟ رجال
من أسوأ الناس صفات ، يجمعون في شكل وفد لبث في مصائر
البلاد ، ليس فيهم رجل واحد وطنى رشيد ، انهم ما بين منشىء
للحماية أو مجند لها ، أو مؤيد للانجليز أو هو صنيعه لهم ، انهم
جميعا خونة ومجرمون وأنا أربأ بنفسى أن أجلس معهم فى وليمة ،
فما بالك بالاشتراك معهم فى أى عمل يمس البلاد ؟ ما هذا الهراء
وهذا التخريف ؟) ..

مصادمة مع المكباتى !

٢ من مارس :

كلفنى الرئيس بدموة الاعضاء الثلاثة لمقابلاته فى مقر الوفد ،
فحضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا قبل وصول الرئيس
بدقائق ، ثم حضر المكباتى على غير انتظار وبغير دموة ودخل
قاعة الجلسة ، ولم تمض دقائق حتى وقع صدام عنيف بينه
وبين الرئيس .

قال المكباتى فى جد ظاهر (ان الحالة تستدعى التفكير والعمل
المفيد كوضع حد لانقسام الامة ، وانى أرى ضرورة الاسراع
بدموة الاعضاء الذين سافروا الى مصر ليعودوا الى باريس فوراً) .
فأجاب الرئيس سائخرا : (أى انقسام فى الامة تعنى ، ليس
فى الامة انقسام مطلقا ، أما عن العائدين فلا تتكلم عنهم ، وتكلم
أنت عن نفسك وأحوالك بصراحة) .

المكباتى : أنت تحاول أن تستفزنى وتثيرنى بدل أن تعمل على
توحيد الصفوف .

الرئيس : اسمع انا أصارحك بانى لا أستطيع أن أعمل معك
لانى لا أثق بك .

المكباتى : (قال مرتبكا مضطربا) لا يا باشا الثقة موجودة
والحمد لله .

الرئيس : كلا انها غير موجودة وكذلك تنكر الواقع الملموس .

المكباتى : أنا ما جئت اليوم لأهان ، وليس لدى أى منىل
للمصادمة معك .

الرئيس : أنا لا أهدف الى اهانتك وإنما أنا أقرر الحقيقة الواقعة الملموسة فإذا كنت مصرا على انكارها فأجبنى لماذا سافر أصحابك فجأة بعد أن تصافحنا ؟

المكبائى : سافروا لانك لم تقبل رأيهم فى تأييد عدل .

الرئيس : أنا لا يمكننى مطلقا أن أخالف ضميرى وعقيدتى .

المكبائى : وأنا أيضا لا أخالف ضميرى وعقيدتى .

الرئيس : حسن جدا أنا ما طلبت منك أن تخالفهما ولكنك أنت الذى تطالبنى بمخالتهما . إذا كان ضميرى وعقيدتى عكس ضميرك وعقيدتك فليس من المعقول أن نعمل معا ، وإذا عملنا فليس للعمل ذرة من أمل فى النجاح .

فوقف المكبائى وانصرف غاضبا هائجا وانتهت جلسة الوفد فى هذا الجو المكهرب .

وبعد الظهر عدت الى الرئيس فى منزله ، وفى اثناء تناولى الشاى معه قال لى :

((لقد شهدت ما حدث فى جلسة الصباح فما رايت فيه ؟ فقلت يا سيدى : هذا المكبائى رجل شاذ وهو مستهتر معتز بغناه ، وقد أثبت اليوم غيابه بحضوره من غير دعوة وبعد مقاطعة طويلة لك ، ثم بتقديم اقتراح سخيف لا يمكن أن يقبل .

الرئيس : علام احتمل هذا الرجل ، ليست فيه صفة واحدة تحب فلا هو كاتب قدير يحتاج الى قلمه ، ولا هو مفكر يحتاج الى رايه ، ولا هو مؤدب يؤنس اليه . وإنما هو جاهل وسخيف ومتكبر لا عمل له الا ان يحاول تعليم الناس الوطنية وهو مجرد منها ، ان فى عبد العزيز فهمى ولطفى السيد مواهب ومزايا يحتاج اليها الانسان ، وقد يقفر لهما بعض ضعفهما أو مخازيهما ، ولكن هذا المكبائى خلو من كل فضيلة وكل موهبة وكل مزية ، انه زارنى مع العائدين موهما انه عائد معهم ، ثم بقى فى باريس ، وارسلوا برقية الى مصر بعودتهم وذكروا اسمه ضمن اسمائهم لبيان كثرتهم ورغبة فى التأثير بانهم الاغلبية ، وارنكب غير ذلك من الاساءات ولم يعتذر مرة ولم يتأسف)) .

وهنا حضر زائر فرنسى فخرجت الى مكتبى .

خطاب وبرقية بقرار الحكومة البريطانية

٣ من مارس :

وصل خطاب إلى الرئيس من الدكتور حامد جاء فيه : (أنه علم من مستر رامزى ماكدونالد ان الحكومة البريطانية قررت إلغاء الحماية وانها أرسلت في ٢٦ من فبراير دعوة الى السلطان بواسطة النبی لكي یؤلف وفدا رسميا لمفاوضتها ، والوصول الى اتفاق يحقق المطالب المصرية ويضمن المصالح البريطانية ، وسيعمل إلغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية ، وذلك لتسهيل الدخول في المفاوضات واثباتا لحسن نية الحكومة البريطانية) .

ثم وصل تلغراف مطول الى الرئيس من مصطفى النحاس وهو يحمل نص خطاب النبی الى السلطان وقرار الحكومة الانجليزية الذي يقضى لأول مرة باعتبار الحماية علاقة غير مرضية بين مصر وبريطانيا ، وامتاز خطاب النبی بهذه الجملة وهي (ان الحكومة البريطانية اظهرت حسن النية بقبولها التساهل في أمر إلغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية) .

وفيما يلي نص هذا الخطاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي صاحب العظمة السلطان - سراى عابدين ..
 ((يا صاحب العظمة ، لم أأخر عن ابلاغ حكومة جلالته الرأي الذي أبديته مرارا عن ضرورة وصول الحكومة الى قرار في موضوع اقتراحات لورد ملتر يتفق مع آماني مصر والشعب المصري . تلك الاماني التي اشتهر عطف عظمتكم عليها ، ويسرني ان ابلغكم قرار حكومتى ، وانى متأكد ان هذا القرار يطابق رأى عظمتكم ويسهل المهمة العظيمة الشأن التي عهد فيها الى عظمتكم : وهي تعيين وفد رسمى لاجل الشروع فى تبادل الآراء مع حكومة جلالته فيما يختص بالاتفاق المنوى عنده ، وانى أود بصفة خاصة ان أوجه نظر عظمتكم الى روح حسن النية الذي أظهرته حكومتى بقبولها التساهل في أمر إلغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية ، وستقدرون عظمتكم ان هذا التساهل الكبير دليل على الاهمية التي تعلقها حكومتى على اقامة علاقاتها مع الشعب المصرى على أساس ودى ودائم وهذا نص قرار حكومتى الذى كلفت بابلاغه الى عظمتكم :

((ان حكومة جلالة الملك يعد بدرس الاقتراحات التي اقترحها لورد ملنر استنتجت ان نظام الحماية لا يكون علاقة مرضية تبقى فيها مصر تجاه بريطانيا العظمى ، ومع أن حكومة جلالتهم لم تتوصل بعد الى قرارات نهائية فيما يختص باقتراحات لورد ملنر ، فانها ترغب في الشروع في تبادل الآراء في هذه الاقتراحات مع وفد بعينه مظمة السلطان للوصول اذا أمكن الى ابدال الحماية بعلاقة تضمن المصالح الخصوصية التي لبريطانيا العظمى وتمكنها من تقديم الضمانات الكافية للدول الاجنبية ، وتطابق الاماني المشروعة لمصر والشعب المصري ..

وانى أفتنم هذه الفرصة فأكرر لعظمتكم تأكيد احترامى
الفائق)) ..

((النبى))

راى سعد فى التبليغ البريطانى

٥ من مارس :

حضر الرئيس الى مركز الوفد في الساعة العاشرة صباحا وكنت قد اتصلت بليفونييا بالاعضاء الثلاثة فحضروا مبكرين في الساعة التاسعة والنصف وحدثهم بما علمت بنيا قرب الغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية فلما تم الاجتماع كلفنى الرئيس بتلاوة ترجمة نص التبليغ البريطانى ، واستمرت المناقشة وتبادل الراى فيه ساعة كاملة ثم امل على الرئيس مشروع برقية لأرسلها فوراً الى النحاس فى مصر وهذا نصها :

((فى التبليغ البريطانى معنى عظيم الاهمية وهو الحكم على الحماية بالفشل وقرب الانتهاء ، ولكنه فيما عدا ذلك لم يات بجديد ولم يخرج عما جاء في التقرير ولا فيما صدر به ملنر مشروعه الاول الذى رفضه الوفد ، ومع ذلك اصبح الدخول في المفاوضات بناء على هذا التصريح لا يعتبر قبولا للحماية ، ولكن الهدف مازال قائما وهو تحقيق اغراضها في العلاقة الجديدة التي يراد الوصول اليها ، والراى عندنا ان نتيجة المفاوضات المقبلة ستوقف على صفات المفاوضين)) ..

وافق الاعضاء الثلاثة على هذه البرقية بالاجماع ، وخرجت

مسرعا لارسالها .

٦ من مارس :

أملى على الرئيس الخطاب الى مصطفى النحاس تفسيراً لما
أوجزه في برقيته السابقة :

((. . ان هذا التبليغ البريطانى يراد به خداع المصريين وايهامهم
بفائدة ما لا نفع فيه ، ويحاول استمالتهم بعد وقت الى الرضا ،
لا أقول بما لا ينفعهم فيه ، بل بما يضرهم ، انه تضمن عدم
الرضا من الحماية ، ولكنهم لم يعين الجهة الانجليزية لانى اذا قلت ان الشئ
والاسلوب يدل على أنها الجهة الانجليزية لانى اذا قلت ان الشئ
الفلانى غير مرض فصدت بذلك انه ليس وافيا بالغرض المقصود
منه ، ويحتمل ان يكون المعنى منه انه غير مرض للطرفين كما نشرت
التيهس ، ويحتمل كذلك ان يكون المراد به الجهة المصرية كما تدل
عليه الظروف ، على ان هذا الإبهام في ذاته يقلل كثيرا من أهميته ،
ولا يجعل للمصريين فيه نصيب الا بنسبة واحد الى ثلاثة ، وكذلك
تضمن ان هذه الحماية لا ينبغي دوامها ، ولكنه لم يعلن مع ذلك
الفاءها وقال باستبدالها ، وهذا الاستبدال يكون في شكل علاقة
جديدة تضمن مصالح إنجلترا وتمكن الحكومة البريطانية من تقديم
الضمانات اللازمة للدولة الأجنبية . واذا راجعت تقرير ملتر وجدت
شرح هاتين النقطتين بما نتأكد منه ان ذلك مضر كل الضرر بالمصريين
ان هذا الاستبدال ليس جديدا بل كثيرا ما عرضت علينا صيغة
المختلفة وهو ما صدر به ملتر أول مشروع قدمه للوفد ورفضناه
رفضاً باتاً . أما ماتضمنه خطاب اللبى للسلطان فلا يمكن ان يكون
له معنى أزيد من معنى التصريح او القرار ، بل يمكننى ان أذهب
أبعد من ذلك وأقول بأنه سد كل باب للأمل فى الغاء الحماية الغاء
صريحا يجعله غاية النجاح فى المفاوضات المقبلة . ولا يمكن ان يكون
اللبى قد قصد فى خطابه أكثر من الاستبدال الذى ذكرته حكومته .
نعم ان المفاوضات صارت بهذا التبليغ حرة فى أساسها ولا يعد
الدخول فيها قبولا للحماية ولا لمشروع ملتر ، ولكنه يعد قبولا
للاغراض التى تصبغت لها وهى ضمان المصالح الإنجليزية ، ويمكنها
من تقديم الضمانات للدول الأجنبية للمحافظة على مصالحها ،
فالمفاوضون المصريون لا يمكنهم اذا دخلوا المفاوضات على هذا

الاساس الا أن يعطوا انجلترا حقوقا تمكنها من اضمانة هذه المصالح
 .. وهذه المسألة من أهم المسائل لان انجلترا اذا نالت من المصريين
 حق حمايتها لهذه المصالح على طريقة ملنر تكون قد ملكت حق
 التدخل فى كل شئون مصر بحكم أن هذه المصالح متشابكة بمصالح
 المصريين وشاقعة كل الشفوع فيها ، ولهذا أرى أن الموقف دقيق
 جدا ويستوجب أشد الحذر والسلام)) ..

سعد زغلول

روح التردد والهزيمة فى نظر الرئيس

٧ من مارس :

قال لى الرئيس فى حديثه معى أثناء تناول الشاى ما خلاصته :
 ((ان العائدين من أعضاء الوفد عدلى وكل أنصار عدلى من
 صحفيين وكتاب فى الصحف ، ينشرون فى مصر روح الهزيمة
 والتردد يوما بعد يوم اذ يقولون وينشرون ويكررون القول والنشر
 بضرورة الاتفاق مع انجلترا الآن وعدم تضييع هذه الفرصة لان
 بريطانيا قوية غاية القوة ومصر ضعيفة غاية الضعف وليس لها
 أى عون أو سند فى الخارج ، ثم يردفون هذا كله بالدفاع عن
 أنفسهم خشية اتهام الناس لهم بالسعى وراء المنافع العاجلة على
 حساب الوطن وقضية البلاد . فيقولون انهم لا يريدون أية وزارة
 ولا أى منصب ولا أى مكسب ، وانما يصرحون بما يعتقدون أنه فى
 مصلحة مصر الضعيفة المسكينة البائسة .. الى آخر هذا الهراء)) .
 فسألت الرئيس : وهل تظن أن لمثل هذه الدعاية تأثيرا فى نفوس
 بعض الناس الى حد أن يخلطهم على الانضمام اليهم ؟ .

فاجاب الرئيس على الفور : ((من غير شك .. هذه دعاية
 مسمومة وسينتأثر بها كثيرون ، لان هذا الإيعاء المستمر بضعف
 مصر والمصريين وقوة بريطانيا وجبروتها وفقدان العون والنصر ،
 كل ذلك يؤثر فى النفوس الميالة بطبعها الى الضعف والتشاؤم .
 ولذلك فأنى أفكر جديا فى العودة الى مصر ، لان المعركة كلها قد
 انحصرت الآن داخل مصر فلا معنى لبقائنا هنا فى باريس ولا يمكن
 أن ادبر معركة بالبرقيات الموجزة الفالية الثمن أو الرسائل
 المطولة التى لا يقرؤها الا أصحابها ومن حولهم من الاصدقاء .
 ما هكذا يكون الكفاح ولا هكذا تدار المعارك .

برقية شفرية من النحاس وويصا واصف وحافظ عفيفي

٨ من مارس :

وردت في المساء برقية مطولة بالشفرة وهى بامضاء النحاس وويصا وحافظ عفيفي يقولون فيها ، بأنهم لم ينشروا برقية الرئيس لانها غير وافية في نظرهم ويرجون منه أن يصدر بلاغا أو بيانا بتلغراف مستعجل بشأن التبليغ البريطاني لان في البلاد تيارات مختلفة ، فريق يرى وجوب الدخول في المفاوضات الرسمية بأى شكل ، وفريق يرى وجوب الوقوف الوحد على الحياد مع العطف والتشجيع للمتفاوضين ، وفريق يرى وجوب استمرار الوفد وحده بالقيام بالمفاوضات الرسمية أسوة بالمفاوضات الماضية مع ملر وان الاعضاء الثلاثة هم من الفريق الآخر وهم يناشدون الرئيس ان يعيد الوحدة ويدعو أعضائه للعودة الى باريس .
وانتهت البرقية برجاء الرئيس ان يسرع ببيان رأيه تفصيلا في كل ما يشغل بال الناس في مصر .

هنا أطرق الرئيس قليلا ثم قال : (علام هذه السرعة وهذه الهولة وهذا الإلحاح ، ان الوفد لم يدع للمفاوضات حتى يشترط لها شروطها ويتخذ الخطوات اللازمة للنهوض بأعبائها والدعوة موجهة للسultan ، والسultan لم يتخذ بعد أية خطوة . . ان أمرهم لعجيب) .

ثم سألني : ((متى أرسلنا البرقية ومتى أرسلنا الخطاب الذي يبين الرأي تفصيلا في التبليغ البريطاني ؟ فقلت : أرسلت البرقية في الخامس من مارس والخطاب في اليوم التالي مباشرة أى منذ يومين ، ولا يصل الى مصطفى النحاس الا بعد خمسة أيام اخرى . فقال : حسن . . لا داعي للعجلة)) .

بيان للرئيس (أرسل الى النحاس) :

٩ من مارس :

عدت الى الرئيس في الصباح فوجدته أعد بيانا لارساله الى النحاس لاذاعته فورا ، وكلفني بدعوة الاعضاء فدعوتهم وتلا عليهم البيان الآتى فوافقوا عليه ما عدا على ماهر ونصه كما يلي :

((ليس في التصريح الصادر من الحكومة البريطانية بالدعوة الى المفاوضات الرسمية للوصول الى استبدال علاقة الحماية بعلاقة

أخرى أن أمكن ، ما يشجع الوفد على تأييدها ، فقد أغفل الكلام عن التحفظات التي أبت الأمة الدخول في أية مفاوضات رسمية قبل قبولها . نعم انه أعلن عدم الرضا عن الحماية ولزوم انتهائها ، ولكنه لم يجعل الغاية من هذا الانتهاء الغاءها بالنسبة لجميع العلاقات الدولية ، بل مجرد استبدالها بالنسبة لما يختص بعلاقة مصر ببريطانيا فقط ، وهو بهذا المعنى ليس بجديد ولا مفيد . فقد كان هذا أول مبارزة صدرت بها لجنة ملنر مشروعها الأول ورآه الوفد غير صالح للقبول فرفضه ، وذلك ما يرمى اليه المشروع الأخير كما صرح به ملنر في الخلاصة العامة في تقريره تصريحاً له يترك للشك مجالاً في أنه استبدال لنص الحماية مع استبقاء معناها وجميع أركانها ، ومن هذا يتبين أن غاية ما تصل اليه المفاوضات الرسمية أن نجحت ، هي البداية التي رفضت ، وهذا الاستبدال سبق أن أجمع الكل على استهجانه . ولهذه الاعتبارات يرى الوفد أن الأمة لا يمكن أن تؤيد هذه المفاوضات ولا أن تعتبر المتفاوضين الذين يتعينون لغاية هذا الاستبدال ، نواباً عنها ، فهم لا يمثلونها وإنما يمثلون السلطة التي تمثل الحماية القهرية للبلاد))

برقية وود

١١ من مارس :

وردت برقية للزعيم سعد من على الشمسي هذا نصها :

((ان جميع أعضاء الوفد العائدين يريدون السفر اليكم في باريس ما عدا عبد العزيز فهمي الذي لا تساعد صحته على السفر معهم . . والجميع هنا يرجونكم اظهار العطف والترحيب بقدمهم اليكم وبعودة الوفد الى سابق اتحاده ووحدته ويستحسنون أن يعلن الرئيس أنه لا يعارض الوفد الرسمي اذا كان مكوناً تكويناً سليماً)) .

امتعض الزعيم من هذه البرقية وأملى على ردا بالفرنسية وكلفني بإرساله فوراً وهذا نصه :

((متأسف لعدم قدرتي على مشاركتكم في أية فكرة من الافكار التي احتواها تلافراكم)) .

برقية شفرية من الرئيس الى النحاس

١٢ من مارس :

املى على الرئيس بريقة مستعجلة لارسالها الى النحاس بالشفرة وهذا نصها :

((أرجو أن تنشروا في أنحاء البلاد وبكل الوسائل المختلفة البيان الذى أرسلته اليكم لانه هو خطة الوفد ورأيه ، والتأخر فى نشره الى ما بعد تكوين الوفد الرسمى قد يكون عرضة لسوء التأويل ، وان بياننا فى المعنى الذى اقترحتموه لا أقره ولا فائدة فيه ، ثم أنه قد يساعد المتفاوضين الآخرين الذين لا خير فيهم)) .

حولت هذه البرقية الى (الشفرة) ونزلت مسرعا لارسالها وكانت الساعة قد بلغت الخامسة بعد الظهر . فاعتذر عامل التلغراف من قبولها قائلا بأن عنده تعليمات رسمية من ليلة أمس بالا يقبل بركات شفرية ترسل الى مصر ، وان كل البرقيات يجب أن تكون مكشوفة منذ اليوم . فعدت الى الرئيس وأبلغته ما حدث فبهت مذهولا ، ثم هز رأسه وقال مبتسما فى سخرية ظاهرة : ((انهم يريدون إلغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال ، ليست هذه عظات لمن يمكن أن يتعظ ويريد أن يواجه الحقيقة الكالحة مواجهة صريحة فى شجاعة !))

وفى هذه اللحظة دخل واصف غالى وعلى ماهر وسينوت حنا فأخبرهم الرئيس بالمنع الجديد فدهشوا وذهلوا مثله بل أكثر منه . وقال واصف : ((أنا لا أفهم هذا الشدود فى وقت السلم ، لو كنا فى وقت الحرب لسلمنا به)) . فقال الرئيس : ((ان الاحكام العرفية البريطانية مازالت مبسوطه على مصر وفى ظلالها الثقيلة يفعلون ما يشاءون ، ولكن العجيب أن تنزل على رأبهم حكومة فرنسا القومية الحرة بلا حياء)) .

الرقابة تمنع بركات سعد

١٤ من مارس :

وردت بريقة من النحاس بأن الرقيب أصدر الاوامر الى الصحف بالا تنشر أى شىء يرد من الرئيس من الآن فصاعدا . .

استقالة وزارة توفيق نسيم

١٥ من مارس سنة ١٩٢١ :

وصلت برقية من النحاس تحمل انباء استقالة وزارة نسيم
الفيضة وان عدلى يكن باشا كلفه السلطان بتأليف الوزارة الجديدة
كما كان منتظرا وسيتم تأليفها الرسمى غدا ، وقامت مظاهرات
تهتف للرئيس والوفد .

تأليف وزارة عدلى باشا

١٧ مارس :

صدرت المراسيم الخاصة بتأليف وزارة عدلى وهى مكونة من
(عدلى رئيسا وحسين رشدى باشا نائبا للرئيس ، وعبد الخالق
ثروت باشا وزيرا للداخلية ، واسماعيل صدقى باشا وزيرا للمالية
والاحمد زيور باشا وزيرا للمواصلات ، وجعفر والى باشا وزيرا
للمعارف ، واحمد مدحت يكن باشا وزيرا للاوقاف ومحمد شفيق
باشا وزيرا للاشغال والحربية ونجيب بطرس غالى باشا وزيرا
للزراعة وعبد الفتاح يحيى باشا وزيرا للحقانية .

واذاع عدلى برنامج وزارته وبواعثه واهدافه من تأليفها وجاء
فيه ما نصه :

((ان الوزارة ستجعل نصب عينيها فى المهمة السياسية التى
ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين
مصر ، الوصول الى اتفاق لا يجعل محلا للشك فى استقلال مصر ،
وستجرى فى هذه المهمة متشعبة بما تنوق اليه البلاد ، ومسترشدة
بما رسمته ارادة الامة ، وستدمو الوفد المصرى الذى يرأسه سعد
زغلول باشا الى الاشتراك فى العمل لتحقيق هذا الغرض . ومما
يوجب الارتياح ان تصريح الحكومة البريطانية بان المفاوضات
ستجرى على اساس الغاء الحماية من شأنه ان يسهل مهمة
الوزارة من هذه الوجهة ، فان ذلك التصريح الذى يدل على حسن
استعداد بريطانيا العظمى مما يدمو الى الامل بان المفاوضات
التى ستحصل بهذه الروح ستفضى الى اتفاق محقق للامانى

الوطنية ويكون فاتحة عصر جديد بين البلدين شعاره المودة وتبادل الثقة ، وسيكون للامة على لسان الممثلين لها في الجمعية الوطنية القول الفصل في هذا الاتفاق ، وبما ان هذه الجمعية ستكون ايضا بمثابة جمعية تأسيسية فان الوزارة ستأخذ على عاتقها تحضير مشروع دستور موافق للمبادئ الحديثة للانظمة الدستورية ، وستحاط الانتخابات لهذه الجمعية بكل الضمانات التي تكفل تمام حريتها وتنظيمه بكيفية تحقيق رأى الامة تمثيلا صحيحا ، وفي هذا المقام تعرب الوزارة من اعتقادها بأن الظروف الحاضرة تبرر الاسراع في الرجوع الى النظام العادى ، وبأنها ستتمكن بفضل نفوذ عظمتكم من رفع الاحكام العسكرية والغاء الرقابة في القريب العاجل ، وانا نعتد على حكمة الامة في تسهيل هذا العمل الذى يحقق نجاحه أحر أمانى الوزارة .

واننا لنندرك حق الإدراك ما تحتاجه البلاد من الاصلاحات الكبرى بيد أننا لئلا نتمسكنا باشتراك الامة في وضعها ، نمتنع عن كل تغيير جوهري قبل تنفيذ النظام النيابى الجديد، على أننا بنأيد عظمتكم لنا سنعنى بإدارة أمور البلاد ولنشط بها في خير الطرق واصلاحها للمحافظة على مرافقها ولتوسيع نطاق رقيها ، وستكون المسألة الاقتصادية الحاضرة موضوع اهتمامنا العظيم . هذا وان الوزارة لعلى يقين من أن هذا المنهاج يوافق المقاصد التى ما زالت عظمتكم تصبون اليها لخير رعاياها ، وهى مع ما تشعر به من عبء المسؤولية الملقاة على عاتقها ، تأمل الوصول بمهمتها الى النجاح المنشود ، معتزة بمعطف وتمسيد عظمتكم ، ومعتمدة على ثقة البلاد ، وانى لعظمتكم العهد الخاضع المطيع والخادم المخلص الامين)) .

عدلى يكن

برقية من عدلى الى الرئيس

١٨ من مارس :

تسلم الرئيس برقية من عدلى رئيس الوزارة الجديدة تحمل تحياته ورجاءه الى الرئيس فى كسب معونته الودية لتحقيق الفرض المشترك الذى فصله فى برنامج تأليف وزارته، فرد الرئيس عليها ((بالشكر وتمنى له كل توفيق فى تحقيق قبول التحفظات حتى يؤيده)) .

وبرقية من حافظ رمضان الى الرئيس

١٩ من مارس :

تسلم الرئيس برقية من حافظ بك رمضان رئيس الحزب الوطنى قال فيها ان الوزارة الجديدة مرضت عليه أن يكون فيها واحدا عن الحزب الوطنى ، فرفض الحزب وطلب من الرئيس رايه فى ذلك ..

فعقب الرئيس قائلا : ((ان الحزب لم يفعل الا ما ينطبق على مبادئه)) .

ثم ضحك وقال : ((لا اظن هذا صحيحا ، واذا كانوا لم يطلبوا الى الوفد نفسه فكيف يطلبون ذلك من الحزب الوطنى)) .

خطاب من عدلى لسعد

٢١ من مارس ١٩٢١ :

تسلم الرئيس خطابا رقيقا من عدلى باشا وبرقية برنامج الوزارة السياسى الذى قدم الى السلطان يوم تأليفها (وقد سجلته هنا بتاريخ ١٧ مارس) وما كاد الرئيس يتم قراءته حتى قال :

((هذا بيان مكتوب بدهاء سياسى بارع وان عدلى لم يرتبط فيه بشيء قط . خذ مثلا قوله ((والوزارة ستتمكن بفضل نفوذ عظميتكم من رفع الاحكام العسكرية والغاء الرقابة)) ، وهو كلام لا ينتم عن وعد أو تعهد برفعها ولا بالغائها)) .

ثم أخذ يملأ كلمة لارسالها الى عدلى مطلعها :

((بيانكم بديع فى أسلوب بليغ يشف عن رغبتكم فى التمشى مع ارادة الامة وتحقيق مطلبها من الاستقلال وانتم أعلم الناس بانها لا تريد الاستقلال تاما أى استقلالاً دوليا وصريحا ، وقد استقر رأينا على العودة الى مصر . لتبادل الآراء فى عملية انتخاب أعضاء الوفد الرسمى)) ..

وهنا دخل واصف غالى وسينوت حنسا فطلب الى أن اتلو عليهما ما أملاه على فلما فرغت سكوت واصف وقال سينوت ان واصف كتب كلمة فى هذا الموضوع فطلب الرئيس أن يسمعها وهي :

((قرأنا باهتمام بالغ بيانكم الممتع ، وانكم لتعلمون ان البلاد لا تريد الا إلغاء الحماية الغاء صريحا لا غامضا ، ودوليا لا خاصا بين مصر وبريطانيا وحدهما ، والامتراف بالاستقلال التام ، وان الغاء المراقبة ورفع الاحكام العرفية يجب ان يتم أولا قبل الانتخابات، ولكن قبل البدء في المفاوضات الرسمية ولا شك ان الامة بفضل ثباتها وإيمانها قد وصلت الى ما وصلت اليه من تأليف وزارة سياسية تعلن احترامها لارادة الامة ، على أن يكون مفهوما ان الاغلبية من عضوية الوفد الرسمي تكون من أعضاء الوفد المصرى وأن تكون الرئاسة له)) .

وعقب الرئيس على هذا قائلا : ((لا يا واصف انا اميل الى كلمتى الموجزة التى مطلعها رقيق وفيها أهم نقطة فى كلمتك وهى ((الاستقلال الدولى)) ..

وهنا طلب الى الرئيس ان اكلف جورج دومانى بترجمة كلمة الرئيس الى الفرنسية ثم أرسلت البرقية الى عدلى فى المساء كما أرسلت صورة منها الى النحاس لنشرها..

٢٢ من مارس :

وردت برقية من النحاس جاء فيها ان الرقيب منع نشر رد الرئيس على برقية عدلى ..

واخيرا تمت اجراءات العودة لمصر

٢٣ من مارس :

منذ عشرة أيام تقريرا استقر رأى الرئيس نهائيا على ضرورة العودة الى مصر بعد أن ثبت له ان المقام فى باريس أصبح ميبثا بل شرا من العيب . فكلف دومانى بشراء التذاكر اللازمة للسفر برا وبحرا قبل آخر هذا الشهر ، واليوم عاد دومانى ومعه كل التذاكر اللازمة وبهذا تقررت مواعيد السفر كما يأتى :

السفر من باريس يوم ٢٩ مارس الساعة السابعة والنصف .

الوصول الى تريسنا يوم ٣٠ مارس الساعة ١٢ ظهرا .

الوصول الى الاسكندرية يوم ٤ ابريل (ومبيت ليلة واحدة)

الوصول الى القاهرة يوم ٥ ابريل .

وفي أثناء تناول الشاي مع الرئيس الساعة ٢٠ ر بعد الظهر قال لي : ان عدد الحقائق له ولحرمة ١٤ حقيقه وصندوقان يحتويان على كتبه وأوراقه ومذكراته ، وأنه يخشى ضياع شيء منها في زحمة الاستقبال أو في الجمر ، ولذلك يرى أن أسافر أنا قبله ببضعة أيام ومعى كل هذه الحقائق والصندوقان وأسلمها جميعا إلى سعيد زغلول في منزل الرئيس عقب وصولي إلى القاهرة .

فرحبت بهذا الرأي واتخذت الاجراءات لتغيير تذاكر سفرى الذى تقرر أن يكون يوم ٢٥ مارس وأبرقت الى مصطفى النحاس بمواعيد سفر الرئيس من باريس الى الاسكندرية مع زملائه أعضاء الوفد .

وحوالى الساعة ١٢ ظهرا دخلت على الزعيم مستأذنا في الانصراف حتى أتمكن من اعداد حقائقى بمناسبة سفرى غدا صباحا ، فطلب الى الانتظار لانتناول الغداء معه ومع السيدة الجليلة حرمة ، وكدت أعتر لولا حياء غلبنى أن أخالفه ساعة الفراق ، وقال لى في أثناء الغداء متلطفا ، ((أنا اهتديت الى صيغة جديدة بسيطة يفهمها كل انسان في مسألة الغاء الحماية وسأعلنها في مصر لأول مرة)) سأقول تنتهى الحماية التى أهملت سنة ١٩١٤ وأن يعترف باستقلال مصر فى الداخل والخارج .

انها صيغة بسيطة واضحة يفهمها رجل الشارع ، فاذا قبلت حل كل اشكال ، وكفى الله المؤمنين القتال ، ولكن هيهات هيهات ((

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر ودمت الزعيم والسيدة الجليلة حرمة في تأثر شديد ، وانصرفت . . لتقابل مرة أخرى في مصر ان شاء الله .

في انتظار دخول الزعيم

وأضيت في الاسكندرية ثلاثة أيام للاستجمام انتظارا لمقدم الزعيم غدا واستعدادا لان اكون أول صاعد على الباخرة للقائد والتحدث اليه بأهم ما رأيت وما سمعت في مصر ، وذلك بناء على طلبه منى قبيل سفرى من باريس ، كما سيصعد الاستاذ مصطفى النحاس السكرتير العام للوفد وفتح الله بركات باشا اللدان وصلا اليوم الى الاسكندرية .

وفي اليومين الاخيرين لاحظت هنا ظاهرتين يلفتان النظر . .

الظاهرة الاولى : اختفاء الانكليز مدنيين وجنودا من شوارع الاسكندرية ، اما المدنيون منهم فقد عادا أكثر هم الى القاهرة مسرعين ، واما الجنود والضباط فقد اختفوا من الميادين والشوارع والحدائق وانسحبوا الى ثكناتهم فعادوا الى قواعدهم سالمين ، فازدادت الاسكندرية روعة وجمالا وجهلا بهذا الجلاء المبكر للمحتلين واستراحت عيون المصريين .

والظاهرة الثانية : ازدياد مطرد في عدد سكان الاسكندرية بسبب كثرة الوافدين اليها ليكونوا في استقبال الزعيم يوم وصوله ، وقد علمت ان جميع القطارات قد نقلت الى الاسكندرية الاف الوافدين من القاهرة والوجه القبلى ومديريات الوجه البحرى حتى ازدهمت المقاهى والمطاعم والشوارع والحدائق ، كما شاهدت كثيرين ينامون على الكراسى فى المقاهى وفى الحدائق العامة ، ولولا ان الاستاذ مصطفى النحاس قد فطن الى ذلك الزحام الهائل لما حجز سلفا أربعة فنادق كبرى بأسماء البارزين من القادمين وكان فى طليعتهم أعضاء اللجنة المركزية للوفد وأعضاء الجمعية التشريعية وأعضاء مجالس المديريات والبلديات وممثلو نقابات المحامين والاطباء والعلمين وغيرهم .

حسبى الآن أن اذكر بعض أسماء البارزين الذين نزلوا فى فندق ريجينا ((وندسور الآن)) حيث كنت أشغل غرفة بثلاثة سراير لى ولصديقى أحمد أمين وأخى حسين كامل سليم ، وحجرات مثلها يشغلها الاساتذة عباس العقاد وابراهيم المازنى وأمين يوسف وطاهر اللوزى وبهى الدين بركات وصبرى أبو علم ويوسف الجندى وسلامة ميخائيل وفخرى عبد النور ومرقص حنا ومكرم عبيد والدكتور نجيب اسكندر وراغب اسكندر ونجيب الفراىلى وتوفيق دياب وعلى الشمسى وصادق حسنين وعبد الرحمن الرافعى وأمين الرافعى وسلامة موسى وعبد الخالق مذكور وغيرهم وغيرهم .

تجديد البيعة للزعيم

ما معنى هذا كله ؟ ما مفزاه ؟ ما السر فيه ؟
لا سر هناك ولا خفاء ، فالشعب المصرى بايجاز أراد أن يجدد البيعة للزعيم سعد زغلول .

لقد سبق أن سجلت في مذكراتي التي طبعت ونشرت في كتابي الثاني ((أن الخلاف بين سعد وأعضاء الاغلبية قد استعصى على كل حل ، فالزعيم والاقلية متمسكون بمبدأ الاستقلال التام لا يحدون عنه قيد أنملة ، وأن أعضاء الاغلبية يقولون أنهم كانوا على هذا المبدأ كذلك حتى راوا تغير الظروف والاحوال وأنسداد كل المنافذ والابواب في سبيل تحقيق هذه الغاية ، وانهم لذلك اعتقدوا بأن الخير هو في قبولهم مشروع ملنر الذي هو دون الاستقلال)) .

وقلت في مذكراتي : ((ان هذه أزمة حادة ولا مخرج لها الا بأن ينفسم الوفد علنا وفي صراحة تامة ثم يلجأ كل فريق الى الاحتكام الى الامة في عملية استفتاء عام ، وأنه ليس أخطر من وضع الورق على الجدار المشقق المتهدم لستر شقوقه وتغطية هدمه)) .

ثم ختمت رأيي هذا قائلا : ((لا بد من مواجهة الازمات بروح ايجابية فعالة لايجاد الحلول الحاسمة لها بدل التستر عليها بروح سلبية والا فسنخرج من أزمة الى أزمة ، ومن عذاب الى عذاب، وهذه حالة لا تطاق)) .

والآن يتحقق الاستفتاء وتتجلى الحقائق الحاسمة .

سبق أن عاد عدلى الى مصر ليؤلف وزارة جديدة، فلم يستقبله الا عشرات من أنصاره ومريديه والطامعين فيه ويفضل مساعدة الزعيم له بعد أن تم الصلح بينه وبين عدلى قبيل سفر عدلى من باريس .

ثم عاد أعضاء الاغلبية الوفدية المعتزون بأغليبتهم ، فلم يستقبلهم احد الا أقرب المؤيدين لهم من ذويهم وأهلهم ، وقد حاصروهم الصحفيون وبعض المعلمين من المصريين ، حاصروهم بالاسئلة المخرجة لماذا عدتم ؟ ماذا وراءكم ؟ وأين الزعيم ؟ هبل أنتم راجعون اليه مرة ثانية في باريس ؟ وما الى ذلك من الاسئلة مما هو أشد احراجا وازعاجا وتضييقا للخنفاق ، وكان عليهم أن يجيبوا بما وسعتهم الحيلة واللباقة وقوة الخيال أكثر من اعتمادهم على الصدق والصراحة والامانة والتعبير الصحيح عن واقع الحال

وأخيراً، وما أدراك ما أخيراً !! يصل الزعيم بسعد زغلول عائداً
إلى الوطن بعد غيبة طويلة فيقابلة الشعب كله .. لقد جاء عن
بكرة أبيه ليستقبله استقبالا منقطع النظير في تاريخ هذه البلاد .

هل هناك استفتاء أعجب وأكمل واشمل من هذا الاستفتاء
الحافل ؟ أليست هذه هي البيعة التي قل أن يكون لها شبيه أو
نظير ؟

نعم إنها البيعة الكبرى .

الفهرس

صفحة	
٣	● المقدمة
٩	● الفصل الاول سعد وعدلى :
٤٧	● الفصل الثانى سعد يقول : لا ألق فى أعضاء الوفد :
٦٥	● الفصل الثالث خطاب خطير الى سعد :
١١١	● الفصل الرابع ستة أعضاء انفقوا على العودة الى مصر :
١٢٥	● الفصل الخامس سعد يقول أنا الوفد :
١٤١	● الفصل السادس سعد يعتزم أمرا :

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٢٢٦٩ / ٧٦
الترقيم الدولي - ١٦ - ٧٠٤١ - ٩٧٧ ISBN

(مطابع الاخبار - ٢٦٢ - ٢٦٣ / ٧٦)

مارس ١٩٧٦



Library of the Alexandria Library (DAL)

كتاب اليوم القادم

عصر الفضاء

بقلم

لواء مهندس

سعد شعبان

رئيس تحرير مجلة القوات الجوية

وعضو لجنة الفضاء بالاتحاد الدولي للطيران والفضاء بباريس

يصدر أول ابريل



هذا الكتاب

هذا ثالث كتاب للمؤلف في سلسلة تاريخية متصلة
الحلقات .

الكتاب الاول : « ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها »
والكتاب الثاني : تناول « صراع سعد زغلول في
أوروبا » وجهاده بعد خروجه من المنفى والمفاوضات التي
دارت بين الزعيم والوفد من جهة ، ومانر واجنته من
جهة أخرى .

وهذا الكتاب الثالث: يتناول أحداثا مثيرة وتحولات
خطيرة بعيدة المدى ، عميقة الآثار . .

● خصومات ومصادمات عنيفة بين سعد وعديلى
قبيل عودة عدلى إلى مصر . .

● خصومات ومشاحنات ومصادمات أشد عنفا
بين سعد وأغلبية أعضاء الوفد . ثم عودة هذه
الأغلبية إلى مصر في غضب ظاهر وخصومات
استتالت معها كل محاولة للعمل .

● ظهور تقرير ملنر واثاره الوبيلة .

● تأليف وزارة مصرية برئاسة عدلى ، ونبأين
المشاعر وتبلييل الأفكار في مصر .

● اضطراب الزعيم إلى العودة إلى مصر حيث
انتقل ميدان الصراع وبدأت المعارك الجديدة . .

يجد القارئ كل التفصيلات المثيرة المذهلة في
هذا الكتاب .